

الفصل

مجلة ثقافية شهرية
AL FAISAL MAGAZINE

ISSUE 42 OCTOBER - NOVEMBER 1980.

العدد (٤٢) - ذو الحجة ١٤٠٠ هـ. السنة الرابعة - تشرين الأول (أكتوبر) / تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٠ م



الفصل

رئيس التحرير

علي طه الصافي

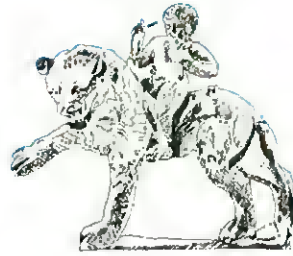
مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفیصل الثقافية

العدد (٤٢) ذوالحجة ١٤٣٠هـ السنة الرابعة تشرين الأول (أكتوبر) / تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٨٨م

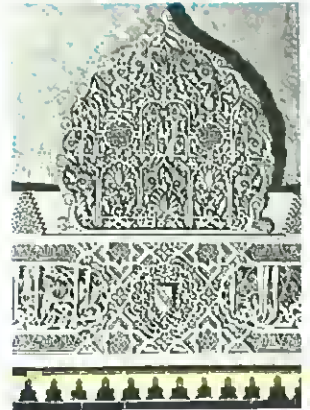
فخذ العدد

- ٤ من كتاب هذا العدد
- ٥ الحركة الثقافية في شهر
- ١٧ المسلمون في العالم (بمناسبة القرن الخامس عشر الهجري) عمود شاكر
كيف تتحقق لنا حضارة إسلامية معاصرة
- ٢٤ (بمناسبة القرن الخامس عشر الهجري) د. محمد فتحي عثمان
الحضارة الأندلسية خلال لثانية قرون
- ٣٠ (بمناسبة القرن الخامس عشر الهجري) محمد عبدالله عثمان
الرقعة .. البطيخ الأحمر (مدينة وتاريخ) د. عبد الرحمن حمدة
- ٣٥ (لغاه مع) .. عبد الرزاق نوفل أعد الحوار: محمد منبوي
من رصيد رحلة الأربعة عشر قرناً
- ٥٥ (بمناسبة القرن الخامس عشر الهجري) د. عماد الدين خليل
الدعوة والدعاة في الإسلام (بمناسبة القرن الخامس عشر الهجري) د. حسين فوزي النجار
- ٦٠ أضواء على الطريق (بمناسبة القرن الخامس عشر الهجري) د. محمد عبد المنعم خفاجي
- ٦٨ الغزالي .. وفلسفته جلال العشري
- ٧٢ واقع ومستقبل الثقافة الإسلامية واللغة العربية في إفريقيا
- ٧٦ (بمناسبة القرن الخامس عشر الهجري) أحمد يوسف القرعي
- ٧٩ الزهراوي .. الرائد الأول للجراحة علي عبدالله الدفاع
حضارة العرب ومراحل تطورها عبر العصور
- (رحلة في كتاب) عرض وتلخيص: عبد الجبار محمود السامرائي ٨٣
المصحف الشريف .. وتطور الخط العربي
- ٩١ (بمناسبة القرن الخامس عشر الهجري) د. سعد ظلام
- ١٠٤ سحب .. سحب (لوحة وقتان) أيوب حسين
- ١٠٧ موقعة إجماع د. عبد العزيز محمد القبصل
- ١١٣ زخارف التوريق .. من روائع الفنون الإسلامية د. عبد المجيد وافي
مع الهجرة .. على مشارف القرن الخامس عشر
- (بمناسبة القرن الخامس عشر الهجري) .. (قصيدة) محمد منذر لطفي
- ١٢٠ المراعي وأخطار التصحر د. عبد الحليم منتصر
- ١٢٣ عهد للجزيرة (بمناسبة القرن الخامس عشر الهجري) (قصيدة) علي محمد محاسنة
- المقتصد السمكي العربي إعداد: شريف عبد اللطيف فنج سالم ١٢٧
- ١٣٣ اللغاه .. الذي كان (قصيدة) عبد المنعم عواد يوسف
- ١٣٤ تاريخ الشرطة في الإسلام محمد الحسيني عبد العزيز
- ١٣٩ الثلج .. (قصيدة) خليل السواحري
- ١٤٢ جذور الشجرة .. (قصيدة) محمد كمال محمد
- ١٤٤ جدار من نفود .. (قصيدة) محمد فكري أنور
- ١٤٧ أخلاق الطبيب .. (من كتب التراث) جاسر أبو صفية
- ١٥٠ دائرة معارف .. مناسك الحج د. محمد
- ١٥٤ مناقشات وتعليقات د. محمد
- ١٥٦ ردود قصيرة د. محمد
- ١٥٨ كتب وردت إلى المجلة د. محمد
- ١٥٩ مسابقة مجلة القبصل د. محمد

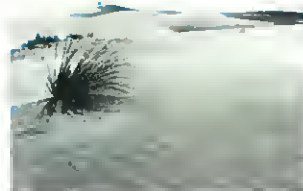
★ شبه جزيرة العرب هي مهد الحضارة العربية وموطن الساميين الأوائل ، ولكن كيف اكتسبت هذه الحضارة صفة الديمومة والاستمرار دون أن تضمحل أو تتلاشى وما سر تماسكها ؟ طالع ص (٨٣) ★



★ تستغل كثير من مصطلحات الفن الإسلامي على غير المتخصصين كزخرفة التوريق مثلاً وغيرها من التعبيرات الفنية . فما التوريق ؟ وما دلالاته الاصطلاحية ، وكيف يُدر له الانتشار حتى أفاصي متاحف الغرب الأوروبي والأميريكي ، وكيف ترقى غير العصور . طالع ص (١١٣) ★



★ إن مراعي المناطق الحارة الخافقة تنهدها خط التصحر ويؤثر على أعداد الماشية الراعية ، فوق جفاف التربة ويُعد الماء وزحف الرمال . ما التصحر ؟ وما أشكاله ؟ وكيف نصده ونتغلب عليه . طالع ص (١٢٣) ★





د. عبد الحليم منتصر

- ★ عضو الجمع العلمي المصري .
- ★ رئيس الجمعية المصرية لتاريخ العلوم وعضو الجمع المصري للثقافة العلمية ، وعضو لجنة التراث في المجلس الأعلى للفنون والآداب .
- ★ شارك في تأليف عدد من الكتب ، كما ألف كتاب « تاريخ العلم ودور العلماء العرب في تقدمه » .
- ★ عضو المجلس الاستشاري لمكتب تنسيق التعريب في الرباط بالمغرب .
- ★ أستاذ ورئيس قسم النبات وعميد كلية العلوم بجامعة عين شمس (سابقاً) .
- ★ عضو الأكاديمية المصرية للعلوم .
- ★ عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة .
- ★ عضو جمعية البيئة النباتية البريطانية .
- ★ عضو الجمعية الجغرافية الأميركية .
- ★ رئيس تحرير مجلة رسالة العلم - القاهرة .
- ★ عضو جمعية البيئة الصحراوية بالهند .
- ★ رئيس الجمعية المصرية لعلوم البيئة .
- ★ رئيس الاتحاد العلمي العربي .



خليل السواحري

- ★ رابطة الكتاب الأردنيين منذ تأسيسها عام ١٩٧٤م ، وحتى الآن .
- ★ صدر له مجموعتان قصصيتان وكتاب نقدي .
- ★ المحرر الثقافي ومحرر شؤون الأرض المحتلة في جريدة الدستور الأردنية بالإضافة إلى عمله رئيساً لشعبة الدراسات في المكتب التنفيذي لشؤون الأرض المحتلة .
- ★ من مواليد القدس ١٩٤٠م ، فلسطين .
- ★ ليسانس في الفلسفة والعلوم الاجتماعية من جامعة دمشق .
- ★ مارس التدريس والكتابة في الصحافة .
- ★ يشغل منصب أمين سر



د. أحمد فتحي عثمان

- ★ من مواليد المنيا في مصر عام ١٩٢٨م .
- ★ دكتوراه - جامعة برنستون في أميركا .
- ★ تخصص حضارة إسلامية ، وتاريخ فكر إسلامي .
- ★ يجيد الإنجليزية والفرنسية واللاتينية .
- ★ عمل مدرساً بجامعة وهران في الجزائر ، وفي الرياض ، وفي برنستون ، وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .
- ★ يعمل حالياً أستاذاً بكلية العلوم الاجتماعية ، ومديراً لمركز البحوث بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في الرياض .
- ★ له عدد كبير من المؤلفات المطبوعة .



د. أحمد الدين خليل

- ★ من مواليد الموصل في العراق عام ١٩٣٩م .
- ★ دكتوراه في التاريخ الإسلامي .
- ★ عمل مشرفاً على المكتبة المركزية لجامعة الموصل ، ثم محاضراً ، فمدرساً ، فمستأذاً مساعداً في كلية آداب جامعة الموصل ، ثم باحثاً علمياً في المؤسسة العامة للآثار .
- ★ يعمل حالياً باحثاً علمياً .
- ★ حضر عدداً من المؤتمرات العربية والدولية .
- ★ له عدد من المؤلفات المطبوعة .



د. أحمد عبد المنعم خباجي

- ★ من مواليد المنصورة عام ١٩١٥م ، مصر .
- ★ حصل على الدكتوراه من جامعة الأزهر عام ١٩٤٦م .
- ★ حقق العديد من كتب التراث ، وأخرج موسوعة كاملة عن الأدب العربي في جميع عصوره ، وكتب في التاريخ والتقدم والإسلام والتفسير واللغة وغير ذلك من الفنون .
- ★ عضو في كثير من الجمعيات الأدبية .
- ★ يكتب في مختلف الصحف والمجلات العربية .
- ★ شغل وظائف علمية في جامعة الأزهر .
- ★ أشرف على العديد من رسائل الدكتوراه والمجستير .
- ★ عميد وأستاذ في جامعة الأزهر .



* * من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وأدبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحا شهييا لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب ، بل في «العالم» الانساني .
أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارئ .. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا ، والله الموفق * *

● في الوطن العربي

- ندوة فكرية عن الثقافة العربية في بغداد .
- مجلة جديدة باسم «الثقافة الأجنبية» .
- مجلة «لفن التشكيلي» تصدر في دمشق .
- «فصول من النقد» مجلة جديدة تصدر في القاهرة .
- الاحتفال (بالمحافظ) رائد الفكر العربي الموسوعي .
- وفاة الشاعر السوري محمد الحريري .

● في العالم

- معرض فني عن عسير يقام في سويسرا .
- وفاة صاحب أشهر قاموس فرنسي .
- ترجمته قصص عربييه إلى الإنجليزية .
- وفاة المدير الأدبي للمسرح الوطني بإجلترا .
- إقامة معرض للفنانين العرب في روما .



★ عبد حريز ★

... سب جديدة *

- «دراسات في النقد الأدبي والبلاغة»، تأليف الدكتور عبده قلقيلة، صدر عن دار العلوم.
- «أبو مسلم الخراساني - صاحب الدعوة العباسية»، تأليف صالح بن سليمان الوشمي، صدر عن نادي القصيم الأدبي.
- «ذكريات وأصدقاء»، مجموعة شعرية للدكتور وليد قصاب، صدرت عن نادي الرياض الأدبي.
- «الكاتب والأفكار»، تأليف عبد الله أبو العينين، صدر عن دار الشروق بجدة.

- «لكي يكون حياتنا معنى»، تأليف عبد الله أبو العينين، صدر عن دار الشروق بجدة.
- «فيلسوف»، تأليف الشاعر محمد حسن فقي، صدر ضمن سلسلة المكتبة الصغيرة، وهو عبارة عن سلسلة مقالات.
- «أمواج وعيون»، مجموعة قصص قصيرة تأليف أحمد شريف الرفاعي، صدرت عن مؤسسة تهامة للنشر.
- «ألوان وأصدقاء»، تأليف أحمد شريف الرفاعي، صدر عن مؤسسة تهامة للنشر.

- «القرود والضب»، تأليف يعقوب إسحاق، كتابان صدرا ضمن سلسلة «لكل حيوان قصة» للأطفال، التي تصدر عن إدارة النشر بمؤسسة تهامة للنشر.
- «الإبحار في ليل الشجن»، ديوان شعري للشاعر محمد فهد العيسى، صدر ضمن سلسلة «الكتاب العربي السعودي» التي تصدر عن إدارة النشر بمؤسسة تهامة.

- «عواطف إنسانية»، ديوان شعري تأليف مريم البغدادي، صدر ضمن سلسلة «الكتاب العربي السعودي» التي تصدر عن إدارة النشر بمؤسسة تهامة.
- «ليلة في الظلام»، قصة تأليف محمد زارع عقيل، صدرت عن نادي جيزان الأدبي - طبعة ثانية.
- «مع الشباب - في تنمية القدرات والمواهب»، محاضرة أعدها الدكتور زاهر عواض الألمعي، صدرت عن نادي جيزان الأدبي.

مسابقة في الفنون المسرحية والشعبية

رغبة في تشجيع ودعم الحركة المسرحية بين الشباب والنهوض بالتذوق الفني لديهم وإتاحة الفرصة لهم لاكتساب تجارب وخبرات جديدة، ومحاولة لمعالجة مشاكل البيئة، ومن ثم إيجاد الحلول الصحيحة لها ودعم وتأكيد السلوك القويم النابع من تعاليم ديننا الحنيف، فقد أعلن المكتب الرئيسي لرعاية الشباب بالمنطقة الغربية عن (مسابقة الفنون المسرحية والشعبية) وذلك بين نوادي المنطقة لعام ١٤٠٠ / ١٤٠١ هـ، والتي تشتمل على مسابقة في (الدراما التمثيلية)، و (مسابقة في المنوعات) مثل الموسيقى والفنون الشعبية. ويعتبر الاشتراك في هذه المسابقة إجباري لجميع النوادي.

دار نشر جديدة

فتحت في الرياض دار جديدة للنشر لتعمل مع دور النشر الأخرى، خدمة للقراء وللعلم، لا تقتصر مهمتها فقط على نشر الكتب بل ستقوم بتقديم أبحاث تاريخية ووثائق علمية ودراسات أدبية ومواقف فكرية. اسم هذه الدار «الفاخرية للنشر»، وكان أول عمل لها كتاب «مقررات مؤتمر طهران - يالطا - بوتسدام» نشرته بالاشتراك مع دار الكاتب العربي في بيروت.

نادي القصيم والمسابقة الأدبية

تمشياً مع الهدف الذي أنشئ من أجله فقد أعلن نادي القصيم الأدبي عن مسابقته الثقافية الأولى لعام ١٤٠٠ هـ، وذلك في مجال القصة القصيرة، والمقال الأدبي، والشعر الموزون المقفى، وفتح المجال للأدباء من الجنسين، وسيكون آخر موعد بالنسبة للقصة هر ١٤٠١/١/١٥ هـ، والمقال الأدبي ١٤٠١/٢/١٥ هـ، والشعر ١٤٠١/١/٢٢ هـ، وترسل المسابقة إلى النادي الذي يتخذ من (بريدة) مقراً له، وقد رصدت جوائز للفائزين في هذه المسابقة.

كلمة

القرن الخامس عشر

بهذا العدد يودع قراء المجلة القرن الرابع عشر الهجري ، ويأتي الشهر القادم كأول شهر في القرن الخامس عشر الهجري . . لهذا حرص العالم الإسلامي في مشارق الأرض ومغاربها على الاحتفاء بمقدم القرن الجديد تطلعاً إلى آفاق واسعة من التقدم العلمي ، والتطور الفكري من أجل إحياء حضارة أعطت العالم الكثير من معطيات عقول أبنائها ، فكانت أمة فاعلة قادرة على الانتشار والنشر .

الانتشار لإيصال الدين الإسلامي إلى العالم أجمع لأنه دين العالمين . ونشر معطيات الأمة الإسلامية الحضارية بكل ما تمثله من شمول واتقان وإبداع .

وليس غريباً أن تتطلع أمة كالأمة الإسلامية إلى قرن جديد يختلف عما سبقه من خلال الآمال الكبيرة التي تعمر نفوس المسلمين ، لأنها أمة حية ومتجددة رغم كل ما اعتورها من تحلف ، وران عليها من سيطرة واستيطان واستعمار أجنبي عبث بمقدراتها ، واستغل ثرواتها وطاقات أبنائها لمصالحه ومصالح بلاده .

فإذا كان أمل الأمة الإسلامية في احتفائها بمقدم القرن الخامس عشر تطلعاً إلى القضاء على السلبات من أجل إيجاد الإيجابيات ، وتحريير الأراضي المقدسة المغتصبة فإننا نأمل أن تكون الاحتفالات التي ستقام حافزاً لتوحيد الأهداف ، والاتفاق على الوسائل ، والصدق مع الإخلاص في العمل من أجل تحقيق كل الآمال المعقودة .

وسعد المجلة أن تسهم بهذه المناسبة في تسليط الأضواء على بعض جوانب الحضارة الإسلامية ، وتصوير الآمال التي تحيى داخل النفوس من خلال عدد من الموضوعات المنشورة في هذا العدد ، وغيرها من الموضوعات التي لم يسعها هذا العدد فاضطررنا إلى تأجيلها إلى العدد القادم .

نسأل الله أن يوفق أمتنا الإسلامية والعربية لمعرفة الطريق إلى الله ، ومن ثم الانتصار لأنفسهم ومقدساتهم وما ذلك على الله بعزيز .

المجلة



★ عبد العزيز المقالح ★

المغرب :

* كتب جديدة *

- «ثقوب في السماء» ، مجموعة قصصية تأليف يوشتي حاضي ، صدرت في المغرب .
- «حركة عدم الإخيار - نشأتها ، تركيبها» ، تأليف الدكتور أحمد مفتاح البقالي ، صدر عن مطبعة الأنبياء ، الرباط .

البحرين :

حسين مروة وجائزة «اللوتس»

منح الدكتور حسين مروة المفكر والناقد اللبناني ، جائزة «زهرة اللوتس» ، وهي جائزة يمنحها اتحاد كتاب آسيا وإفريقيا ، وذلك تقديراً من الاتحاد لإنتاجه وعطاءاته الفكرية والأدبية في مجالات الفلسفة والفكر والنقد والأدب على امتداد السنين ، وللدور الذي يؤديه في سبيل تعزيز الثقافة الوطنية اللبنانية والعربية المعاصرة ، ولإسهامه في تطويرها .

* كتب جديدة *

- «لساحلك الآن تأتي الطيور» ، مجموعة شعرية للشاعر محمد الأسعد ، صدرت عن دار ابن رشد .
- «ديوان عيد العزير المقالح» ، صدر عن دار العودة .
- «المعجم الأدبي» ، قاموس تأليف الدكتور جيبور عبد النور ، صدر عن دار العلم للملايين .
- «قضية فلسطين في سيرة بطل - الشهيد الحبي عبد القادر الحسيني» ، تأليف نبيل خالد الأغا ، صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر .
- «مقالة في اللغة الشعرية» ، تأليف محمد الأسعد ، صدر الجزء الأول عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر .
- «موسوعة الإدارة الحديثة والخوافز» ، تأليف حامد

الحرفة ومجموعة أخرى من الأخصائيين ، صدرت في أربعة مجلدات عن الدار العربية للموسوعات .

● «سمايل وإحاطيس» في الشعر والنثر في القرنين الخامس والسادس .

تأليف روز غريب ، صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر .

● «مقدمات لزمان الحرب» ، مجموعة قصص قصيرة تأليف

«إبراهيم فوقيق» ، صدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر .

● «مجموعة تشهيدات» و«وثائق حذمة» تأليف «نور الدين» ، رواية

ألفها صلاح عيسى ، صدرت عن دار ابن رشد للطباعة والنشر .

● «شمس الكرم» ، رواية تأليف نواف أبو الهيجاء ،

صدرت عن دار النضال بيروت .

● «أوهام ريفية» ، مجموعة شعرية للشاعر جودت فخر

الدين ، صدرت عن دار الآداب بيروت .

● «دراسات إسلامية في التفسير والتاريخ» ، تأليف محمد

الغزوي ، صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر .

● «قراءات نقدية» ، تأليف الدكتور يوسف حسين بكار ،

صدر عن دار الأندلس .

● «شجر الغيلان» ، في البحث عن قبر» ، مجموعة شعرية

تأليف حسان عزت ، صدرت عن دار ابن رشد .

● «فلسفة الدين والتربية عند كنت» ، تأليف الدكتور

عبد الرحمن بدري ، صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر .

● «رامة والتنين» ، مجموعة قصصية تأليف إدوار خراط ،

صدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر .

وفي العراق من تدن ، ثم عرض

للاستعمار الثقافي في مصر في

ظل الاستعمار الإنجليزي ، وما

فرضه من جعل لغة التدريس هي

الإنجليزية ، وكيف حجب

«دونلوب» التعليم الصحيح عن

الشعب ، بنى سياسته على تخريب

طبقة من الموظفين حتى يسير

الجهاز الإداري على حسب ما

تقتضيه سياسة الاستعمار .

ولما أرغم الاستعمار أن

يستجيب لرغبات الشعب جعل

لغة التدريس العربية ، لكنه فرض

على المدارس أن تكون معزولة عن

المجتمع .

ثم عرض للاستعمار

الفرنسي وقال إنه يختلف عن

الاستعمار الإنجليزي ، واستشهد

● الغزو بالسلب .

● كيف تقاوم الغزو؟

● من حزيران إلى رمضان .

● مرجع ومصادر .

هذا الكتاب خلاصة مكتفة

لأفكار عميقة ، قال في تمهيدته :

«حينما تمنى أمة من الأمم

بكارثة الاستعمار فإنه لا

ينهب ثرواتها المادية

فحسب ، وإنما يقضي على

ثروتها الروحية كذلك ، ولا

يسجن حريتها الشخصية

والسياسية وحدها وإنما

يسجن معها أيضاً لغتها

القومية» .

وبين في هذا التمهد ما كانت

عليه حالة الصحافة في الحجاز

الأديب العلامة «عبد العزيز

الرفاعي» ، ينشر فيها الثقافة

ميسرة بين أبناء قومه . ومؤلف

هذا الكتاب هو أحد أدباء

المملكة العربية السعودية

«المؤلفين» «البارزين» «المستأدين» من

الله عبد الجبار ، وهو استاذ في

جامعة الملك عبد العزيز في

جدة ، له جولات في عالم

الأدب ، وقد مثل بلاده في

مؤتمرات أدبية ، وهذا الأثر

المبحث عنه ، مؤلف من

مقدمة ، وتمهيد ومن هذه

الموضوعات :

● الاستعمار الثقافي .

● حركات منبوهة .

● غزو الكيان اللغوي .



● الكتاب .. الغزو
الفكري في العالم العربي

● الناشر .. سلسلة
«المكتبة الصغيرة» -
الرياض

الغزو الفكري ، هو الجزء
الثاني عشر من سلسلة «المكتبة
الصغيرة» التي يصدرها الأستاذ



★ أمين الريحاني ★

العراق :

ندوة فكرية

ستعقد في بغداد (ندوة فكرية عن الثقافة العربية) تحت شعار: وحدة الثقافة العربية تجسداً لوحدة الأمة، وقد دعي إليها عدد من الشخصيات العلمية والأدبية والإعلامية من العراق والدول العربية، وستستمر خمسة أيام من شهر أكتوبر

(تشرين الأول) عام ١٩٨٠ م، وذلك بتنظيم من (مجلة الأعلام العراقية) تناقش فيها تقارير وبحوث ودراسات عن الحضارة العربية القديمة، ودور أجهزة الإعلام والاتصال الجماهيري في وحدة الثقافة العربية، بالإضافة إلى مناقشة واقع الثقافة واللغة العربية بدول المغرب العربي في مواجهة اللهجات المحلية.

يحاول الفرنسيون أن يتعرضوا للمجتمع العربي، وعلى محاولاتهم الخيبة، وكتب للعربية الانتصار. وينتقل إلى الاستعمار الإيطالي، ذكراً أساليبه الرهيبة في ليبيا، وكيف أن ليبيا كلها لم يكن فيها سوى مائة مدرسة ابتدائية مدة التعليم فيها خمس سنوات، يتعلم الطفل فيها العربية في السنوات الثلاث الأولى، إلى جانب الإيطالية في السنتين الباقيتين فرضت الإيطالية لغة رسمية، والعربية لغة ثانوية. ولعل أغرب ما لقي الشعب الليبي - وهو أغرب ما لقي شعب - أن اقتناء الكتب في ليبيا كان محرماً في الانتداب الإيطالي. صفحة (٢٩).

مرحباً بالنازلات
الملاحقات
والدماء الزاقيات
الداقات
والبنود اللامعات
الخافقات
في "الجيش" المستنحات
الشاهقات
نحن ثرنا، فحياة أو
مهات
وعقدنا العزم أن
تحيا الجزائر فاشهدوا
ثم يعرج على الاستعمار
الفرنسي في سورية ولبنان،
ويذكر أنه لم يستطيع أن يطمس
اللغة العربية في هذين القطرين،
كما طمسها في الجزائر، لذا لم

● «حق المرأة بين مشكلات التخلف الاجتماعي ومتطلبات الحياة الجديدة»، تأليف عزيز السيد جاسم، صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

● «شذرات من عهد الصبا»، تأليف أمين الريحاني، صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

● «المغرب العربي قبل سقوط مدينة الجزائر»، تأليف لوسيت فالنسي، ترجمة إلياس مرقص، صدر عن دار الحقيقة.

● «فيخت: حياته، آثاره، عرض لفلسفته»، تأليف ديديه جوليا، ترجمة حسيب عمر، صدر ضمن سلسلة «أعلام الفكر العالمي» التي تصدرها المؤسسة العربية للدراسات والنشر.

● «تجديد التاريخ»، تأليف الدكتور عمر فروخ، صدر عن دار مجلة «الباحث» للنشر.

يقول (أوجستين برنارد)، وهو يذكر الدوافع التي حركت فرنسا لغزو الجزائر، «إنهم لم يحصروا الجزائر لإقرار الأمن بل لنشر الحضارة واللغة والأفكار الفرنسية، وليست الجزائر مستعمرة لأضلاع مصنيّة إذ هي دومنيون مثل - كندا - ولكنها جزء من فرنسا كما كانت أيام روميه». ومن أجل تطبيق أقوال هذا المستعمر عملياً، أغلقت في الجزائر المدارس العربية، واعتبرت اللغة العربية، لغة أجنبية، واستخدمت الفرنسية للقضاء على الشخصية الجزائرية ولترقية موظفين يكونون خدماً للاستعمار.

واعتبرت الجزائر فرنسية، وفي سنة ١٩٣٨ م صدر قانون، نصّ على أن العربية لغة أجنبية، وفرض على المعلمين أن يعرفوا الفرنسية. كما أن "الكتاب" المتعسف، حتى شخصية - عبد الحميد بن باديس - ١٨٩٠ - ١٩٤٠ م - القيمة التي كافحت الاستعلاء. وكان لمجلة (الشهاب) التي أصدرها ابن باديس دورها في التوعية. وقد ذكر المؤلف في كتابه جهاد الشيخ - البشير الإبراهيمي - وظور نشيد الجزائر من وراء قضبان السجن الانفرادي - الزنزانة - من فهم وفكر - ابن تومرت - :



★ سليم طه التكريتي ★



★ الجاحظ ★

أدب أميركا اللاتينية وإفريقيا وآسيا، وكذلك تعنى بالاتجاهات والتيارات الأدبية في العالم، وذلك لإناحة الفرصة أمام القارئ للاطلاع المباشر وبذلك ستكون رافداً جديداً من الروافد المهمة للحركة الثقافية والأدبية في العالم العربي. ومن المعروف بأن سورية تصدر مجلة بعنوان «الآداب الأجنبية» تبرز جانباً من الآداب العالمية.

* كتب جديدة *

- «أنشيد السكون»، مجموعة شعرية تأليف فاروق يوسف، صدرت عن وزارة الثقافة العراقية.
- «جماليات الفن»، تأليف الدكتور كمال عبيد، صدر عن دار الجاحظ ضمن سلسلة الموسوعة الصغيرة.
- «القصة القصيرة الجديدة في العراق»، تأليف الدكتور عمر الطالب، صدرت في بغداد.

يذوب في غمار الأمم، فلا تبقى له باقية من بيان ولا عرف ولا معرفة ولا إيمان» (صفحة ٦٧). وإذا ذكر الغزو بالسلب بين أن هجرة العقول المفكرة من البلاد النامية، نكبة ما بعدها من نكبة، فهو يذكر أسباب هذا السوء، ويصف علاجه، ويوضح عدد العقول النيرة المهاجرة، ذاكراً الفرق بين الغزو الفكري والتأثر، ويدعو إلى مقاومة هذا الغزو الذي هو مطلب من مطالب الصهيونية. فالكتاب يستحق أن يطالعه كل شاب عربي ليتنبه لهذا الخطر الداهم.

د. محمد بن هادي العزيزي
الأردن

الفكرة من العرب». ثم يورد شكوى أساقفه الأندلس، من إقبال نصارى الأندلس على اللغة العربية، وهيامهم بها، وهيامهم لغتهم، كأنما المؤلف يقول «صفتنا، نحن إسمائنا العرب» نصيب ناتج عن حواجز نفسية وليس هرباً من صعوبة العربية. ويرى المؤلف الفاضل أن الدقاع عن اللغة الفصحى واجب ديني وقومي، ويستشهد بقول العقاد: «إن الحملة على اللغة العربية حملة على كل تقاليدنا الاجتماعية والدينية، وعلى اللسان والفكر والضمير في ضربة واحدة، فزاول اللغة العربية لاسيما العرب، أو المسلم قواماً عن سائر الأقوام، ولا يعصمه أن

ذكرى الجاحظ

سيحتفل في شهر نوفمبر (تشرين الثاني) في بغداد بذكرى المفكر المسلم الكبير (الجاحظ) تحت شعار (الجاحظ وأيد الفكر العربي الموسوعي). وقد شكلت لجنة برئاسة الدكتور (علي جواد طاهر) للإشراف على إقامة هذا الاحتفال الذي سيمتد أسبوعاً، تقدم فيه بعض البحوث التي تناولت بالدراسة والرصد حياة الجاحظ الفكرية والشخصية، وقد وجهت بهذه المناسبة الدعوة إلى عدد من المفكرين والأدباء العرب.

مجلة جديدة

قررت دار الجاحظ للنشر ببغداد إصدار مجلة جديدة بعنوان «الثقافة الأجنبية» تعنى بترجمة الأدب الإنساني العالمي وبخاصة

الجزء من، قد دعماً، إصلاح الخط العربي مع أنه دافع عن جماله. وفي سنة ١٩٤٥ م، رصد مجمع اللغة العربية في القاهرة ألف جنيه جائزة لأحسن اقتراح لتفسير الخط العربي، وتلقى مائتين وخمسين اقتراحاً، أكثر من نصفها لمستشرقين. وتنافس أعضاء المجمع حول أحقية الأجانب في التقدم لهذه المسابقة، ثم أهملت الفكرة كلها (ص ٦١). ثم دافع المؤلف عن كفاية اللغة الفصحى قائلاً: «لم يكن للعربية قواعد، فاستعاروا قواعد اللغات الأجنبية، لم يكن عندهم معجم فاستعاروا

ربيعه. المؤلف الفاضل آن البهائية حركة مشبوهة، وأنها ذات علاقة بالصهيونية، لأن إسرائيل تطبع كتب البهائية وقد إهتنيته. نألمك. صفحة (٣١-٣٣). ويعرج على غزو الكيان اللغوي، ويسفه آراء الداعين إلى العامية، وإلى الحرف اللاتيني ذاكراً (أدونيس) و(سعيد عقل)، وينتقل إلى البرهنة العملية على أن الخط العربي أوجز من الخط اللاتيني ثم يذكر المحاولات التي قامت من أجل اختصار مفسر الطاعة. تلك المحاولات ظلت من الأماني



★ محمد الحريري ★



★ ندرى طوفان ★

بدمشق وذلك تحت اسم « الحياة التشكيلية » ، وتهدف هذه المجلة إلى تقديم دراسات عن الفنون التشكيلية العربية والعالمية ، وعن التراث العربي التشكيلي ، وقد أسندت رئاسة تحريرها للناقد السوري طارق شريف .

وفاة الشاعر محمد الحريري

انتقل إلى رحمة الله تعالى الشاعر السوري محمد الحريري ، وكان اتحاد الكتاب العرب في سورية قد نعاه . كان في حياته شاعراً فذاً أعطى خلال عشرات السنين نتاجاً شعرياً ينبض بالحياة ، له تراث من الشعر المتنوع الأغراض أبدى فيه إنجاءً شديداً لقضايا وطنه وأمه ومجتمعه .

* كتب جديدة *

- « بحثاً عن مدينة أخرى » ، رواية تأليف محيي الدين فرنكة ، صدرت عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق .
- « المؤتمر الاستثنائي للوزراء العرب - المسؤولين عن الشؤون الثقافية » ، صدر عن وزارة الثقافة والإرشاد القومي السورية .
- « العلامة - خير الدين الأسدي : حياته وآثاره » ، تأليف عبد الفتاح رواس قلعه جي ، صدر عن مطابع الإدارة السياسية في الجيش بدمشق .
- « أغنية الأنهار الصغيرة » ، مجموعة قصصية للقاص سعيد جبار فرحان ، صدرت عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق .
- « دوائر في الهواء » ، رواية تأليف أديب نحوي ، صدرت عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق .
- « دوائر في الهواء » ، مجموعة شعرية تأليف عبد الرحمن غنيم ، صدرت عن اتحاد الكتاب العرب بدمشق .

- « مناجاة الشموع » ، ديوان شعري للشاعر عبد الوهاب الشيخ خليل ، صدر عن المطبعة الحديثة بحماة - سورية .

- « بلاد آشور » ، تأليف أندرية بارو ، ترجمة الدكتور عيسى سميان وسليم طه التكريتي ، صدر عن دار الرشيد ببغداد .
- « عبد الله والدرويش » ، ديوان شعري للشاعر ياسين طه حافظ ، صدر عن وزارة الثقافة والإعلام .
- « العباب الزاخر واللباب الفاخر » ، تأليف الحسن بن محمد بن الحسن الصنعاني ، تحقيق محمد حسن آل ياسين ، صدر عن دار الرشيد ببغداد ضمن سلسلة « امتحان الفهارس » .
- « المنعطف » ، مجموعة قصصية تأليف أحمد عودة ، صدرت عن وزارة الثقافة والإعلام .

فلسطين :

* كتب جديدة *

- « تاريخ الطبقة العاملة الفلسطينية ١٩١٨ - ١٩٤٨ م » ، تأليف عبد القادر ياسين ، صدر عن مركز الأبحاث في منظمة التحرير .
- « هزيمة الشاطر حسن » ، مجموعة قصصية تأليف أكرم هنية ، صدرت عن دار الكاتب بالقدس .
- « قصائد سياسية » ، مجموعة شعرية للشاعرة فدوى طوقان ، صدرت عن دار الأسوار بعكا .
- « كوشان » ، مجموعة قصصية تأليف محمد نفاع ، صدرت عن دار الأسوار بعكا .
- « رحلتي غربة ودموع » ، مجموعة شعرية للشاعر موسى محمد خلف ، صدرت عن مكتبة المجتمع بالناصرة .
- « منزوعون » ، مجموعة شعرية للشاعر منيب مخلول ، صدرت عن دار النضوب بعكا .

سورية :

مجلة للفن التشكيلي

تقرر إصدار مجلة جديدة متخصصة في الفنون التشكيلية



★ عبد الله البردوني ★

محمد عطية ، صدر عن دار رع للطباعة والنشر بالقاهرة .
● « الحب في الشعر الفارسي » ، تأليف الدكتور عفاف
السيد زيدان ، صدر ضمن سلسلة « كتابك » التي تصدر عن دار
المعارف بالقاهرة .

اليمن

مؤتمر للأدباء والكتاب

رغبة في تنشيط الحركة الأدبية والقضاء على العوامل المعرقة
لنمو الأدب في اليمن ، فقد عقد مؤتمر حضره الأدباء والكتاب
اليمنيين ، ناقشت فيه موضوعات عديدة وهامة ، الغاية منها تحقيق
الهدف الذي عقد من أجله المؤتمر .

* كتب جديدة *

● « زمان بلا نوعية » ، ديوان شعري للشاعر عبد الله
البردوني ، صدر في اليمن .

تونس

معرض للفن العربي

أقيم بمركز الفن الحي (بالبلقيدير) معرض للفن العربي المعاصر
ضم عدة أعمال فنية في الفنون التشكيلية والتجريدية بمشاركة عدد من
الفنانين بالبلاد العربية .

* كتب جديدة *

● « الصحافة الأدبية في تونس ١٩٠٤ - ١٩٥٥ م » ، تأليف
جعفر ماجد ، صدر ضمن منشورات الجامعة التونسية .
● « الإعانة » ، تأليف أحمد بن أحمد ذروق ، تحقيق وتقديم
الدكتور علي فهمي خشم ، صدر عن الدار العربية للكتاب .
● « محمود بيرم التونسي - قشارة الأدب الشعبي » ، تأليف

مصر

الاحتفال بالدكتور القط

أقيم في القاهرة ، في قصر ثقافة مصر الجديدة ، احتفال
بمناسبة فوز الدكتور عبد القادر القط بجائزة الملك فيصل
العالمية ، حضر الحفل التكريمي عدد كبير من الأدباء والمفكرين
وأساتذة الجامعة ، ومن المعروف بأنه قد فاز بالجائزة الخاصة بمجال
(الأدب العربي) مناصفة مع الدكتور إحسان عباس وذلك لعام
١٤٠٠ هـ ، وفي شهر ربيع الثاني الماضي .

فصول من النقد

ذلك هو عنوان مجلة جديدة تصدر عن الهيئة المصرية
العامة للكتاب بالقاهرة مهمتها الفنية تدور حول النقد الأدبي ،
ويرأس تحريرها الدكتور عز الدين إسماعيل ، والدكتور
صلاح فضل .

* كتب جديدة *

● « التراث الأدبي للمغرب العربي » ، تأليف الدكتور
عبد قلقيلة ، صدر عن مكتبة عالم الكتب .

صدرت الكتب التالية عن دار الفكر المعاصر بالقاهرة :
★ « العالم الروائي عند نجيب محفوظ » ، تأليف إبراهيم
فتحي .

★ « المسرح التجريبي من (إستانسلافسكي إلى
اليوم) » ، تأليف جيمس روس أيفافز ، ترجمة فاروق عبد
القادر .

★ « المنطق الجدلي » ، تأليف هنري لوفيفر ، ترجمة إبراهيم
فتحي .

● « الأدب العربي المعاصر في فلسطين من عام ١٨٦٠ إلى
١٩٦٠ م » ، تأليف الدكتور كامل السوافيري ، صدر عن دار
المعارف .

● « أضواء على الثقافة العربية » ، تأليف الدكتور أحمد

نافذة

فتونا العربية والإسلامية

لقد امتازت أسننا العربية منذ العصور القديمة والوسطى بإبداعاتها المختلفة في الفنون والعلوم والآداب وغنلت أصناف الفكر والثقافة ، وهذا ما نراه اليوم فبما تبقى من معالم السومريين والبابليين والآشوريين في العراق والفرعنة في مصر وما تبقى من حضارات الجزيرة العربية والشام والمغرب ، وقد ازداد هذا الإبداع تطوراً وتفتيحاً وازداد أكثر عمقاً وفكرًا وجمالاً بعد فجر الإسلام وخاصة في عصر الفتوحات المتعددة ، وفي القرون التي تلتها خاصة في فترة الأمويين والعباسيين والفاطميين ، حيث كانت موضع استلهم أمم العالم الأخرى ، فع انتشار الدين الإسلامي واتساع رقعة الدولة الإسلامية في المشرق والمغرب كانت القنون الإسلامية في تطور واتساع وأكثر شمولية في البلاد العربية ، فتجد أن المساجد والأضرحة والصناعات الشعبية والنسيج قد اكتسبت جميعاً نقوشاً وزخارف أبدع بها وتفنن بها نفر من أمهر فناني العرب والمسلمين الأوائل ، فالمساجد احتوت على شتى صنوف النقش والاريسك والكاشاني المستمدة معانيها من آيات القرآن الكريم ، كما احتوت على النقوش النباتية والهندسية الملونة فكانت البديل للنقش والزخرفة في فترة سبقت الإسلام ، إلا أن الإسلام حرم تصوير الإنسان والحيوان فكان عكس ما كان سائداً في عصر الجاهلية وما سبقه من عصور وفترات استعملت الرسوم الأدمية والحيوانية على واجهات المعابد والقصور كما هو الحال في اليمن والعراق والشام ومصر ، كما احتوت المساجد ومراكز العبادة والعلو الإسلامي والعتبات المقدسة المتواجدة في الحجاز والعراق وسورية ومصر وإيران وتركيا والهند وغيرها على الكنايات الخطية المختلفة ونقوش خشبية يدعية كما صنعت فيها الأبواب المشكلة والمنابر والنوافذ والسقوف أضيفت إليها مواد أخرى كالجواهر والذهب والفضة والعاج والزجاج ، ففي الحجاز استعملت النقوش والزخارف المتواجدة على أوجه المسجد الحرام وضريح الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، وغيرها من الخشب والجص والحجر ، أما في مصر وسورية وإيران وتركيا والهند فقد احتوت مساجدها وقصورها الإسلامية وعتباتها أصناف الزخرفة والخط والهندسة المعمارية كانت متوحدة في طرازها وأشكالها وقياساتها ولو حدثت بعض الانحرافات في هندسة العمارة الإسلامية إلا أنها تبقى متوحدة في رونقها وإبداعها وفنونها المعمارية ، فقد استعمل فيها الاريسك والكاشاني الملون والبروز الأصفر والزجاج والطابوق المحفور والجص . أما في العراق فقد أضيف إلى ذلك مادة الذهب الحقيقية فترى المآذن والقباب والأروقة قد غلقت جميعها بالذهب الخالص وزينت في ذات الوقت بالنقوش والكتابات القرآنية وغيرها وهذا ما يراه كل منا في بغداد واسمرأ وكربلاء والنجف الأشرف ، وانتقل هذا الأسلوب فيما بعد إلى إيران وتركيا ، ومن فتونا الأخرى التصوير ، فالتمثيل له أساليب واتجاهات ومدارس اختلفت عن بعضها إلا أنها كانت في تجارب متبادلة إحداهما مستفيدة من الأخرى كمدرسة بغداد للتصوير والمدرسة الصفوية ومدرسة بخارى وغيرها ، وكانت الرسوم هي المادة الوحيدة التي زينت بها المخطوطات العربية والإسلامية القديمة ، كما دخلت الرسوم بعض المساجد والأضرحة كالمسجد الأموي بدمشق ومسجد الصخرة في القدس ومساجد أخرى في القاهرة وتونس ، أما قنون الخط التي يمثل بها الفن الإسلامي ويفتخر بها فكان لها إبداع وحضور في كل أثر عربي إسلامي وقد ازدادت أشكال الخط العربي عددها حتى وصلت إلى أكثر من النبي عشر صنفاً كان أشهرها الرقعة والكوفي والمثلث والديواني والمغربي والبسملة واستعمل الخط في تحرير المخطوطات وكتابة القرآن الكريم في مصاحف شريفة مزينة بالجمال والإبداع إضافة إلى دخولها في هندسة العمارة العربية والإسلامية التي لا زالت بارزة بمجدها في البلاد العربية والأندلس والمشرق الإسلامي فلتعمل على إعدادها من جديد بعيداً عن مآثر الغرب التي تزوت أشكاله بين مآثرنا ونعيد روح مجدها وأصالتها .

علي عبد المطلب العراقي
الشرطة - محافظة الناصرية
العراق

محمد كامل البنا ، صدر عن الدار العربية للكتاب .

● « أبو حيان التوحيدي » ، تأليف الشاعر علي دب ، صدر عن الدار العربية للكتاب بتونس .

● « التوت المر » ، رواية تأليف محمد العروسي المطوي ، صدرت عن الدار التونسية للنشر .

الكويت

أسبوع ثقافي ليبي

أقيم في (الكويت) أسبوع ثقافي ليبي وذلك تحت إشراف المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب تضمن فقرات فنية ومحاضرات أدبية في النقد والشعر والقصة ومعرض للكتاب والصور والفنون التشكيلية .

* كتب جديدة *

● « الجهاز المصرفي والمالي في الكويت - مع دراسة تطبيقية لسوق المالية الكويتية » ، تأليف إبراهيم رضوان العبادلة ، صدر عن دار الوطن للطباعة والنشر .

● « تكنولوجيا السلوك الإنساني » ، تأليف ب. ف سكينر ، ترجمة الدكتور عبد القادر اليوسف ، مراجعة محمد رجائي الذريبي ، صدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون بالكويت ضمن سلسلة « عالم المعرفة » .

● « الإنسان والثروات المعدنية » ، تأليف الدكتور محمد فتحي عوض الله ، صدر ضمن سلسلة « عالم المعرفة » .

● « أبيات المعاني في شعر المتنبي » ، تأليف الدكتور عبده قلقيلة ، صدر عن مكتبة الفلاح بالكويت .

● « البلاط الأدبي للمعز بن باديس » ، تأليف الدكتور عبده قلقيلة ، صدر عن مكتبة الفلاح بالكويت .

● « ديوان الخرقاوي » ، ديوان شعري للشاعر منصور الخرقاوي ، صدر عن شركة الريمان للنشر والتوزيع بالكويت .

الأردن

* كتب جديدة *

● « الأصول الأدبية في كتاب البيان والتبيين » ، تأليف الدكتور محمد علي بركات ، صدر عن مكتبة الرسالة الحديثة بعمان .



★ جاك بيرك ★

البلغارية) وقد تضمن نماذج من فن السيراميك والأيقونات والجوهرات التي كانت تمتلكها هذه الإمبراطورية في نهاية القرن السابق وحتى سقوطها في يد الإمبراطورية العثمانية ، كما ضم المعرض المخطوطات التي تصور التراث الثقافي التي كانت تتمتع به هذه الإمبراطورية والتي تعتبر جزء من الدولة البيزنطية .

وفاة بول روبير

توفي عن (٧٠) عاماً صاحب أشهر قاموس فرنسي بعد (لاروس) و (لبتريه) «بول روبير» ، ومن المعروف بأن (روبير) ولد في سنة ١٩١٠ م ، بالجزائر ثم درس الحقوق وعمل في المحاماة ، وفي سنة ١٩٣٩ م ، بدأ يفكر في عمل قاموس (فرنسي إنجليزي) وظل يعمل طويلاً حتى أصدره بتشجيع من الأكاديمية الفرنسية ، وقد

● العدسات الاحتياطية ●

عادة ما تبيع الشركات المنتجة لآلات التصوير أجهزة ملحقة بها ، يستطيع المصور

استخدامها لأغراض التصوير (البانورامي) أو للتصوير عن بعد ، ومنها العدسات القابلة للتغيير أو العدسات الاحتياطية . وقد قامت شركة (مينولتا)

بتصميم أداة صغيرة ، رخيصة الثمن ، تتألف من مجموعة عدسات عينية وموشور مصحح لوضع الصورة ، يمكن تركيبها على العدسات القابلة للتغيير ، ويمكن استخدامها كمنظار مقرب تبلغ

قوة تكبيره خمس مرات إلى عشرين مرة ، كما يمكن استخدام مجموعة العدسات الاحتياطية لعمل مجهر له قوة تكبير تتراوح بين ٢٠ إلى ٩٠ مرة حسب نوع العدسة المستخدمة .



معرض

وفاة بير كليران

توفي عن (٨٣) عاماً الرسام والنحات الفرنسي (بيير أوجين كليران) وقد ترك أكثر من ألف لوحة وقمائل ، ومن المعروف بأن (كليران) متأثر في أعماله الفنية بالفنان العالمي (سيزان) وذلك باستخدامه للألوان الزاهية ، وفي أثناء حياته يرجع له الفضل في تكوين عدة مدارس للفن في كل من إفريقيا واليابان ، فقد مارس هذا العمل وهو في الخامسة عشرة من عمره .

معرض عن الفن والحضارة

أنتم في باريس معرض عن (الفن والحضارة في الإمبراطورية

اليوم و الغد

● مثثلة لالة التصوير ●

من أصعب الأمور على المصورين وخاصة الهواة منهم الذين لا يملكون أدوات مكلفة أن يقوموا بالتصوير العادي أو السينمائي في جو ماطر عاصف ، فلا بد للتصوير في مثل هذه الحالات من استعدادات ووسائل خاصة . وقد تخصصت شركة (EWA) في إنتاج أجهزة زهيدة الثمن للهواة . وآخر اختراع ظهر في السوق عبارة عن مظلة واقية من البلاستيك الشفاف يمكن أن توضع على (الكاميرا) بحيث لا يصيبها البلل وتسمح بالتصوير تحت المطر .



★ كيت تينان ★

وفاة كينيث تينان

عن عمر يناهز الثالثة والخمسين توفي الناقد الإنجليزي «كينيث تينان»، وقد شغل في حياته منصب المدير الأدبي للمسرح الوطني، وكانت له منزلة في ميدان النقد المسرحي، وظهر بمكانة ممتازة بين الأوساط الأدبية والفنية، فلقد اعتبره كثير من النقاد أعظم ناقد تأثيراته الجمالية والنظرية التي استبدل من خلالها التعلق بمظاهر الحياة الأرستقراطية السائدة في المسرح الإنجليزي بواقعية جديدة عبر دراساته لكتّاب جدد قدموا اسهامات كبيرة في تغيير الحياة المسرحية الإنجليزية الحديثة أمثال «جون اوزبورن» و«أرنولد ويسكر» و«هارولد بنتر» وغيرهم من جيل كتّاب المسرح الذين ظهوروا في الخمسينات، ومن المعروف بأن «كينيث» ولد عام ١٩٢٧ م.

صدر له بعض الكتب إضافة لذلك القاموس والقواميس الأخرى مثل

* أحدث الكتب *

● «الإسلام إزاء التحدي»، تأليف الدكتور جاك بيرك، صدر عن دار غاليمار ببباريس.

● «ما قبل التاريخ»، تأليف جاك جيلان، صدر في باريس.

* أحدث الكتب *

● «التصوير والمجتمع»، تأليف جيزيل فرنيند، صدر في لندن.

● «الألم»، تأليف روبر أندريه، صدر عن دار غاليمار ببباريس.

● عدسة صقيلة يزيد قسرها عن المتر

أغراض علمية خاصة مثل المصافي الضوئية الملونة، وعمليات استقطاب النور في أشعة لازر وكذلك في عمليات الاندماج النووي، وهكذا يساهم هذا النوع من العدسات في تطوير مصادر الطاقة الجديدة.

واستطاعت إنتاج عدسات قطر الواحدة منها (١٠٥٠) مم وسماكتها (٢٥٠) مم وزجاج هذه العدسات متناسق ومتجانس بشكل لم يسبق للصناعة أن عرفتة، إذ لم يكن بالإمكان الحصول على تجانس كامل إلا بعمليات معقدة، وتستخدم هذه العدسات المتجانسة في

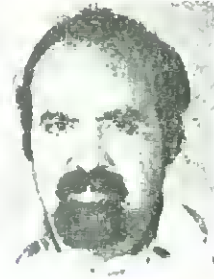
قامت شركة Schott لصناعة العدسات العلمية، بتطبيق عملية صهر طويل على الزجاج المصهور المسمر (بك ٧)، BK7.



آسيا

قاموس عربي حديث

قام أحد أساتذة اللغة العربية في جامعة (كاولينا الشمالية) الإسبانية «خوليو كورتى» وهو إسباني، بتأليف قاموس عربي حديث يضم مئة وتسعين ألف لفظة، جامعاً فيه المفردات التي يستخدمها الرجل المثقف خلال القرنين التاسع عشر والعشرين في العالم العربي، وكذلك اللغة التي تستخدمها حالياً الصحافة المكتوبة من العراق شرقاً حتى المغرب غرباً ومن سورية شمالاً إلى السودان جنوباً.



* د. حسن شمس *

● «قصص عربية قصيرة»، ترجمة سعد البزار، صدرت عن مجلة أور بلندن وضمن منشوراتها، وهي ترجمة لعدد من القصص القصيرة العربية لعدد من القصاصين.

ايطاليا

سويسرا

معرض فني عن عسير

أقام الدكتور (حسن طافش) - وهو أستاذ يعمل بكلية التربية بأبها التابعة لجامعة الرياض - معرضاً عن التراث الشعبي وطراز المباني والمناظر الطبيعية بمنطقة عسير، احتوى المعرض على عدد (٤١) لوحة زيتية ومائية، وقد أقيم تحت إشراف المكتب التعليمي بسويسرا، استمر قرابة الشهر.

الصين

معرض فني

أقيم في (تايبه) معرض فني لعدد من الفنانين السعوديين الذين قاموا بزيارة للصين، وقد عرض فيه العديد من اللوحات التي تمثل التراث الشعبي، وكذلك التطور الذي تعيشه المملكة العربية السعودية.

روسيا

* أحدث الكتب *

● «الإسلام والمسلمون في البلد السوفييتي»، تأليف المفتي ضياء الدين باباخان (رئيس الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وكازاخستان)، صدر عن دار التقدم بموسكو.

سويسرا ومجلة بانكاريلا

منح المالكات الفرنسية المطاط (لنوريس) جائزة «بانكاريلا» وذلك عن كتابه (لوبيزيان)، وهذه الجائزة واحدة من أكبر أربع جوائز أدبية إيطالية تقدمها رابطة أصحاب المكتبات الإيطالية لأحد الكتاب الإيطاليين أو الأجانب كجائزة سنوية، ومن المعروف بأن الكاتب (أرنست همنجواي) قد حصل عليها في سنة ١٩٥٣ م، وذلك عن روايته «العجوز والبحر»، كما حصل عليها (باسترناك) في سنة ١٩٥٨ م، عن روايته «دكتور زيفاجو»، وكذلك الكاتب (إيزك سالجر) في سنة ١٩٦٨ م، عن (أسرة موسكات).

معرض للفنانين العرب

أقيم في (روما) معرض للفنانين العرب بقاعة (كانوفاتشو)، وقد حوى المعرض مجموعة من (١٢٠) لوحة ومنحوتة لأربعين فناناً من مختلف البلدان العربية، وقد نظم هذا المعرض بواسطة مكتب الجامعة العربية (بروما) وبالتعاون مع السفارات هناك.

المدينة والريف

في الأدب العربي الحديث

ذلك هو عنوان ندوة دعا إليها معهد دراسات البحر الأبيض المتوسط الذي يتخذ من (روما) مقراً له كل من نجيب محفوظ، الطبيب الصالح، نازك الملائكة، أدونيس، الدكتور لويس عوض، جبرا إبراهيم جبرا، وقد عقدت هذه الندوة خلال شهر أكتوبر/تشرين الأول ١٩٨٠م.



بصام : محمود شاكر

يشكل المسلمون في العالم ثاني مجموعة عرقية من حيث العدد بعد النصارى ، إذ يقدر عددهم بحوالي تسعمائة مليون نسمة ، وهو ما يزيد على خمس سكان المعمورة الذي زاد على اربطه مميزات 'إتساق' وتعيش أغلبيتهم على أرض العالم الإسلامى الذي تزيد مساحته على ربع مساحة الأرض جميعها ، وبذا فهم حتى الآن لا يشكلون الرقم الذي يتناسب مع ما يحتلون من مساحة على الرغم من أن تزايدهم يفوق تزايد أية مجموعة ثانية .

آسيا وثلثي مساحة إفريقية على حين لا يشغل إلا رقعة محدودة من قارة أوروبا تمتد على أرض البانيا وحوض نهر الفولغا وشبه جزيرة القرم ، وتمتد أرض العالم الإسلامى من المحيط الأطلسي في غرب إفريقية إلى المحيط الهادى في شرق آسيا ، ومن جنوب خط الاستواء والمحيط الهندي إلى خط عرض ٥٥° شمالا في بلاد التتار ، وهذا الجزء من المعمورة يتوسع دائم مع انتشار الإسلام ، فكلما زاد اعتناق الناس لهذا الدين توسعت أرضه ، إذ إن العالم الإسلامى عالم فكرة لا عالم حدود إذ ليس له حدود طبيعية يتوقف عندها لا يتعداها كما هي الحال في الدول ذات الحدود الطبيعية ، وفي الوقت نفسه قد تتراجع أرضه — لا سمح الله — وذلك إذا أصابت المسلمين نكبة دهماء كما حلّ في الأندلس في القرون التي خلت ، وجزر البحر الأبيض المتوسط .

يعيش أكثر من ثلثي المسلمين اليوم على أرض يتمم بعضها بعضاً ، وهو ما يعرف بالعالم الإسلامى وهو الذي تبلغ نسبة المسلمين في أية دولة أكثر من ٥٠٪ من سكانها ، وبذا فأرض المسلمين مجتمعة بعضها مع بعض ، على حين أن النصارى البالغ عددهم أكثر من مليار وربع المليار يقطن نصفهم في أوروبا ، وثلثهم في أميركا وبين الجزئين مساحات مائية واسعة يزيد عرضها على آلاف الكيلومترات ، ويتوزع الباقي في أرجاء القارات الثانية .

موقع العالم الإسلامى

يقع العالم الإسلامى في البر القديم فيشغل أكثر من ثلث مساحة

توزيع السكان المسلمين

يقدر عدد سكان العالم الإسلامي اليوم بـ (٧٢٥) مليون نسمة ، يشكل المسلمون بينهم أكثر من ٨٩٪ من السكان ، إذ يصل عددهم إلى (٦٥٩) مليون نسمة ، أما الباقي فهم أقليات يسكنون بين ظهرانيهم ، وهم من النصارى واليهود والوثنيين والبراهميين والبوذيين والكونفوشيين وديانات أخرى ، فهم أقليات متعددة لا مجموعة متضامنة منسجمة في الفكر متفقة في العقيدة .

يعيش ثلثا المسلمين في آسيا ، ويتوزعون في (٢٩) دولة أكثرها مستقل ، وتبلغ نسبتهم في هذه القارة ٢٧٪ من السكان ، ويقطن الثلث الباقي في إفريقية ويتوزعون في ثلاثين دولة ، إلا أنهم يشكلون ٥٩٪ من سكان هذه القارة لذا نستطيع أن نقول : إن إفريقية قارة مسلمة ، ويقم عشرون مليوناً في القارة الأوروبية ، ولا يوجد سوى ألبانيا دولة مستقلة إلا أن أكثر الباقي إنما هم من سكان حوض الفولغا حيث توجد سبع جمهوريات ذات استقلال ذاتي ، وترتبط بموسكو مباشرة ، وهذه الجمهوريات هي : تتاريا ، وباشكيريا ، وأدمورت ، وموردوف ، والجوفاش ، وماري ، واورنبورغ ، هذا بالإضافة إلى شبه جزيرة القرم .

ويعيش مع المسلمين أعداد من النصارى يصل عددهم إلى (٢١) مليوناً ويشكلون ٦٠،٥٪ من سكان العالم الإسلامي ، ويتوزعون بشكل متساو تقريباً بين آسيا وإفريقية ، وهناك ستة ملايين من النصارى في قارة أوروبا يقيمون في بلاد المسلمين .

ويقم مع المسلمين ثلاثة ملايين من اليهود أي يشكلون ٠،٣٪ من سكان العالم الإسلامي ، لثلاثهم في آسيا والباقي في أوروبا وإفريقية ، ويحاول اليهود التجمع في فلسطين التي أضحت تضم ما يقرب من هذا الرقم إذ جاءت أعداد من أوروبا وأمريكا والاتحاد السوفيتي ، ومهدت اليهود بإمكانات فكرية وطاقت كبيرة من العلم ورؤوس الأموال الضخمة ، هذا وإن أكثر اليهود الذين كانوا في البلاد العربية قد انتقلوا إلى فلسطين بطرق مشروعة أو غير مشروعة ، ذهبوا وهم في سني العمل والإنتاج ، وخلفوا وراءهم العاجزين وأصحاب المصالح لغايات معروفة .

ويسكن مع المسلمين أحد عشر مليوناً من الوثنيين ، لثلاثهم في إفريقية في المناطق الجنوبية من العالم الإسلامي من تلك القارة ، والباقي في آسيا في الجزء الجنوبي الشرقي من هذا العالم في هذه القارة أي في أندونيسيا وماليزيا ، وتبلغ نسبة هؤلاء الوثنيين ١،٢٪ من سكان العالم الإسلامي .

ويقطن ثلاثة عشر مليوناً من البراهميين ، وبذا تبلغ نسبتهم ١،٥٪ من السكان ، وكلهم في آسيا إذ إن إفريقية لا يوجد فيها أحد يعتنق هذه الديانة إلا إذا كان قد هاجر إليها من جنوب شرقي آسيا .

ويعيش مع المسلمين أيضاً سبعة ملايين من الكونفوشيين ، والكونفوشية ديانة أهل الصين ، وتقوم على تقديس أفكار كونفوشيوس وعبادة الآباء والأجداد ، وتبلغ نسبة أصحاب هذه الديانة ما يقرب من ٠،٩٪ من سكان العالم الإسلامي .

وهناك ثلاثة ملايين من البوذيين ، وثلاثة ملايين آخرين من أصحاب ديانات أخرى من بدائيين وغيرهم ، وتشكل كل مجموعة ٠،٣٪ من السكان ، وعلى هذا يكون في العالم الإسلامي :

المسلمون	٦٥٩ مليوناً ويشكلون	٨٩٪ من السكان
النصارى	٢٣ مليوناً ويشكلون	٦،٥٪ من السكان
اليهود	٣ ملايين ويشكلون	٠،٣٪ من السكان
الوثنيون	١١ مليوناً ويشكلون	١،٢٪ من السكان
البراهميون	١٣ مليوناً ويشكلون	١،٥٪ من السكان
كونفوشيون	٧ ملايين ويشكلون	٠،٩٪ من السكان
بوذيون	٣ ملايين ويشكلون	٠،٣٪ من السكان
ديانات أخرى	٣ ملايين ويشكلون	٠،٣٪ من السكان
	٧٢٢ مليوناً	١٠٠٪

وبالمقابل من هذه الأقليات التي تعيش في العالم الإسلامي فإن هناك أقليات مسلمة تعيش خارج حدوده وأكثرها تقيم بجوار بلاد المسلمين إلا أن الحدود السياسية هي التي فصلت بين هؤلاء المسلمين وبين إخوانهم في الأمصار الإسلامية . وإذا كان عدد الأقليات غير المسلمة في العالم الإسلامي لا يتجاوز الثمانين مليوناً فإن الأقليات المسلمة خارج حدود العالم الإسلامي تبلغ أكثر من ضعف هذا الرقم إذ يصل عددها إلى ١٦٢ مليوناً ، وأكثر هذه الأقليات تقيم في قارة آسيا وأعظمها في بلاد الصين والهند والفلبين وتايلاند ، ولا توجد دولة لا تضم عدداً من المسلمين ، ويصل تعداد الأقليات المسلمة في قارة آسيا إلى ١٣٣ مليوناً ، أما في إفريقية فيزيد عدد هذه الأقليات على ١٧ مليوناً أكثرهم يقيم في المناطق المناخلة لأمصار العالم الإسلامي ، وكلما ابتعدنا نحو الجنوب قلت نسبة المسلمين ، وهي تصل إلى ثلث مجموع السكان تزيد قليلاً أو تنقص قليلاً في كل من أوغندا ، وموزانبيق ، وكينيا ، وملاغاشي ، وملاوي ، وبورندي ، والغابون ، وغانا ، وليبيريا ، وغينيا الاستوائية . أما في أوروبا فلا تقيم أقليات كبيرة إذ لا يتجاوز عددها سبعة ملايين معظمها يعيش في يوغوسلافيا التي تبلغ نسبة المسلمين فيها ١٥٪ ، وبلغارية التي يسكن فيها ١٤٪ من المسلمين من سكانها ، وهناك ثلاثة ملايين في أمريكا موزعين على بلدان القارة ، وما يقرب من مليون يقيم في جزر قارة أوقيانوسيا المنتثرة في المحيط ، وإن كانت دولة أستراليا تأخذ العدد الأكبر منهم لكثرة سكانها على حين يقل القاطنون في بقية الجزر .

الأقليات المسلمة

وعلى هذا تتوزع الأقليات المسلمة في القارات على الشكل التالي:

في قارة إفريقيا .	١٧,٥٠٠,٠٠٠
في قارة أوروبا .	٧,٠٠٠,٠٠٠
في قارة أمريكا .	٣,٠٠٠,٠٠٠
في قارة أوقيانوسيا .	١,٠٠٠,٠٠٠
	١٦٢,٠٠٠,٠٠٠

ويجب أن نلاحظ أن أكثر الإحصاءات في العالم تحاول أن تقلل من شأن المسلمين ونسبتهم وبخاصة في المناطق التي يعدون فيها أقليات ، وفي آسيا وأوروبا تحاول الدول الشيوعية أن تخفض أعدادهم لسياساتها الخاصة التي تقوم عليها ، وفي إفريقية لسيطرة النصارى على كثير من الحكومات وليس في مصلحتها إلا إنقاص عدد المسلمين لبقائها في الحكم . وهذا شأن الدول الاستعمارية في آسيا وإفريقية وفي كل بقعة حلوا فيها .

إن هذه الأقليات المسلمة التي تعيش خارج نطاق العالم الإسلامي لنعد الدعم الأول لقضايا المسلمين واللسان الناطق باسمها داخل البقاع التي تقم فيها ، وتكون كذلك على قدر تمسكها بالإسلام ومعرفتها بأحكامه ، وهذا يعود إلى معرفتنا نحن بها وبأوضاعها ومشكلاتها ثم مساندتها في قضاياها وإمدادها بالمعونات الفكرية والمادية .

ويمتاز العالم الإسلامي بأن سكاته يرتبطون بعضهم مع بعض بعقيدة واحدة على خلاف أصحاب العقائد الذين توجد بينهم خلافات كبيرة فالنصرانية يوجد بين أتباعها نباين كبير في التصور الديني وطبيعة السيد المسيح والأنجيل المتعددة والطقوس وما إلى ذلك من شعائر وأمر دينية على عكس المسلمين فإنهم جميعاً أصحاب فكر واحد وعقيدة واحدة ، وما يوجد بين أهل السنة والشيعة لا يكاد يذكر بين ما يوجد عند النصارى

من كاثوليك وأورثوذكس وبروتستانت ونساطرة و... صحيح أن هناك خلافات ما بين السنة والشيعة إلا أنها تكاد تكون في أمور فرعية ، ولربما كان هناك أمور يجدر الوقوف عليها إلا أن أصحابها الذين يظهرون التقية لا يبدون يطرحوها . ومع هذا ، لا نطرح التسمة "يوشنول الغائبه"

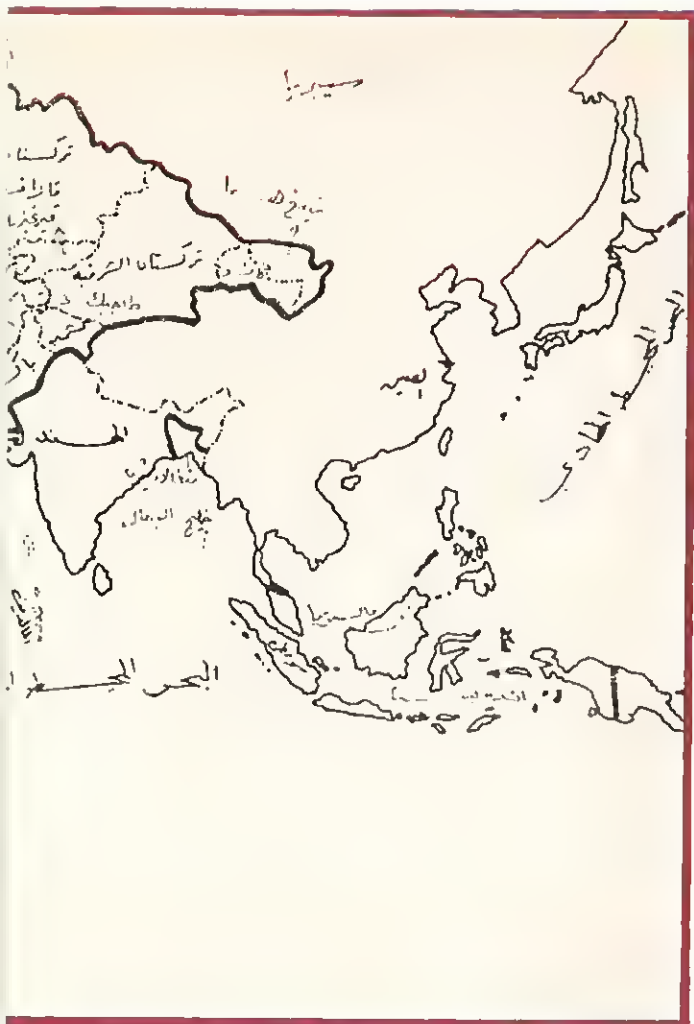
العظمى من سكان العالم الإسلامي وتصل نسبتهم إلى ٩٣,٨ ٪ ، ويؤلف الشيعة الرقم الباقي وهو ٦,٢ ٪ . ويوجد الشيعة في آسيا فقط أما إفريقية فلا توجد الشيعة فيها إلا من كان قد هاجر إليها ، ولعل أهم البلدان التي يتركز فيها الشيعة هي :

إيران	ويبلغ عددهم ٢١ مليوناً	ويشكلون ٦٤ ٪
باكستان	ويبلغ عددهم ٧ ملايين	ويشكلون ١٠ ٪
العراق	ويبلغ عددهم ٥ ملايين	ويشكلون ٤٠ ٪
طاجكستان	ويبلغ عددهم ٣ ملايين	ويشكلون ٩٨ ٪
أفغانستان	ويبلغ عددهم ٣ ملايين	ويشكلون ٣٥ ٪
بقية البلاد	ويبلغ عددهم ٣ ملايين	
مجموع الشيعة	٤١	ويشكلون ٦,٢ ٪
في العالم الإسلامي		من السكان
مجموع السنة	٦١٨	ويشكلون ٩٣,٨ ٪
في العالم الإسلامي		من السكان
مجموع المسلمين	٦٥٩	
في العالم الإسلامي		

أما المجموعات المتعددة الأخرى التي تدعي الإسلام ظاهراً فإنها تنحصر في رقع صغيرة من الأرض ، ولا يزيد عددها على ثلاثة ملايين ، وإن كان لها دور في بعض البلدان ، وهم بهذا الرقم لا تصل نسبتهم إلى ١/٢ بالمائة ، وهذا الرقم لا ينظر إليه عادة ، وإذا يكون سكان العالم الإسلامي منسجمين بعضهم مع بعض في العقيدة والتصورات الدينية بصورة كاملة ، وإذا فهم يؤلفون أمة واحدة . فالأمة مجموعة من البشر تعيش بعقيدة واحدة .

لغة المسلمين

إن العادات والتقاليد الموجودة في أرجاء العالم الإسلامي جميعها إنما تنبع من العقيدة لذا فهي واحدة وأن سار المرء يجد هذه العادات مع بعض التغيرات التي جاءت عليها مع الزمن . ويمكن أن نضيف إلى هذا أن أكثر سكان العالم الإسلامي يعرفون اللغة العربية حيث هي لغة القرآن كتابهم جميعاً ولغة العبادات ، إذ لا تصح عبادة امرئ من أية مجموعة كان إلا باللغة العربية لذا فهم حريصون على تعلمها سواء أكان ذلك في المدارس والجامعات على أنها لغة ثانية أم بالتلقين والمدارس الدينية وعند المشايخ وفي حلقات العلم على أنها لغة الدين ، وقد كانت السائدة والشائعة في أنحاء العالم الإسلامي كلها عندما كان للمسلمين دورهم ، فلما نشأت العصبية القومية ، وقامت كل مجموعة تدعو للازها والتفكير عليها للحفاظ على بقائها في الحكم والا فلا داعي لوجودها ، عندها ضعفت اللغة العربية وفقدت مركزها الأول الذي كانت تحتله ، ومع ذلك فقد بقي حرفها هو المعمول به في أكثر اللغات التي عرفت في العالم الإسلامي شأن التركية والفارسية والبشتو في بلاد الأفغان والأوردو في باكستان ولغة أندونيسيا والماليزيين وغيرهم ، وعندما جاء الاستعمار وسيطر على العالم الإسلامي فكرياً بعد سيطرته



السياسية عمل على تغيير الأحرف العربية من عدد من اللغات ، كان أوها من اللغة التركية التي بدأها مصطفى كمال بعد إلغاء الخلافة وعندها نجح الاستعمار على ذلك ، فغير الهولنديون كتابة اللغة الأندونيسية والروس كتابة لغات أواسط آسيا من أتراك وداغستان وشاشان وشراكس وتتار وغيرهم ، ولا تزال بقية اللغات إلى اليوم تكتب بالحرف العربي مثل لغة جنوبي الفيليبين وفطاني والأوردو والبشتو والفارسية .

دور التاريخ الإسلامي

والى جانب اللغة يقف التاريخ الإسلامي الذي له صفة التقدير ونظرة الاحترام من جميع سكان العالم الإسلامي ويدرس في كل أرجائه . كما أن كل مصر يدرس تاريخ دخول الإسلام إليه . وهذا كله ما يجعل أقوى الروابط تشد المسلمين في العالم بعضهم إلى بعض . يعد الإسلام البشر كلهم من سلالة واحدة ﴿ ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ﴾ ، ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين ﴿^(١)﴾ ، وقال تعالى : ﴿ الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين ﴾ . ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين ﴿^(٢)﴾ .

ويعد الإسلام أصل البشر واحداً ، ابتداءً بخلق آدم عليه السلام ، ثم توزع الناس من بعده وتفرقوا في الأرض فأنثرت فيهم البياض فأعطتهم ألواناً حسب حرارتها ، وأنثرت على أجسامهم فأعطتهم ملامح خاصة وطبعهم بسمات معينة ، وتطورت لغة كل جماعة حسب الأشياء الموجودة في بيئتها والتي أعطتها أسماء خاصة وعرفتها بها دون غيرها ، وبهذا التوزيع الجغرافي وجدت الألوان الحالية والعروق المعروفة والشعوب الموجودة واللغات القائمة .

أجناس العالم الإسلامي

يضم العالم الإسلامي مجموعة من العروق والألوان والشعوب ، فالإسلام لا يختص بعرق دون آخر ، ولا بجنس ، ولا بلون ، ولا بقوم وإنما يشمل الناس كافة ، ولا يفاضل بين هذه المجموعات ، ولا يميز إحداها عن الأخرى ، إذ يرفض الإسلام كل ما ينشأ عن فوارق البيئة من لون أو لغة أو جنس أو ثروة .

يشمل العالم الإسلامي مجموعة القوقازيين التي تنتشر في جنوب غربي آسيا وشمال إفريقيا ومنطقة القوقاز ، ومجموعة المغول التي توجد في جنوب شرقي آسيا وأواسطها وتركيا ، ومجموعة الزنوج التي تتكاثر في إفريقيا المدارية والاستوائية .

يضم العالم الإسلامي العرق الآري الذي يعيش أتباعه في أفغانستان وإيران والقوقاز ، وينطن الساميون في جنوب غربي آسيا وشمال إفريقيا ، وينتقل الحاميون في شرقي إفريقيا وجهات محدودة في شمالها .

وتنتشر على أرض العالم الإسلامي عدة ألوان فالأسود لون الزنوج والأصفر لون المغول والأتراك ، والأبيض لون بقية الجماعات .

وتنسب إليه عدة أقوام وشعوب من عرب ، وترك ، ومغول ، وفرنس ، وهنود ، وماليزيين ، وفولاني ، وهاسا ، وبانتو ، وأجاش ، ومالديف وغيرها كثير ، وقد اختلطت هذه الشعوب والأقوام كلها بعضها مع بعض إذ إن الإسلام هو الذي يجمع بين أبنائها ويوحد بين أفرادها ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى .

ولما كان الإسلام يقوم على المساواة فإنه يحارب فكرة الحرب بين الأمم ، والنزاع بين الشرق والغرب ، والقتال بين الأجناس ، والصراع بين العروق ، وإنما يدعو فقط إلى الجهاد الذي هو قتال الظلم والطغيان والاستبداد والوقوف في وجه

وفرض العقوبات على العاطلين وملاحقتهم ، وقد تدخل الدولة الإسلامية في بعض الأعمال فتوجهها لما فيه مصلحة الأمة والخير العام لبني البشر ، وتطلب توزيع المعامل ، وتجبر أصحاب المعامل على توفير النواحي الصحية في بناء معاملهم ، وتأمين حقوق العمال .

والإسلام لا يعترف بوجود طبقات ، وكل طبقة جزء من المجتمع ، ولا يكون التفاصل بالغي والثراء ، أو بنوع العمل الذي يقوم به صاحبه سواء أكان إدارياً أو يدوياً ، محترماً أو وضيعاً وإنما التفاصل بالتقوى ثم بالإخلاص في العمل . وكل ما يؤدي الإنسان من عمل إنما يقصد خير الأمة أولاً ثم بني البشر جميعاً ، وكل هذه الجوانب تبقى نظرية إن لم توجد جماعة تحملها وتطبقها وعندها تبدو صلاحيتها وفعاليتها ، وهذا دور الدولة المسلمة أو الجماعة التي تتولى شؤون المسلمين في البلاد التي توجد فيها أقليات مسلمة أو حكومات غريبة عن عقيدة السكان .

والمسلمون يستطيعون أن يقدموا الخير للعالم كله لكثرة أعدادهم — كما سبق أن تكلمنا — كما ويملكون إمكانات كبيرة من رؤوس الأموال التي هي عصب الحياة ، ويعيشون على أراض واسعة تحتل وسط العالم ، وتتحكم بممراته البحرية ومراكزه التجارية ، وتنتج الخيرات الكثيرة ، وتدفن في ثراها الكنوز ، وتحوي أرضها النفع العميم .

منتجات العالم الإسلامي

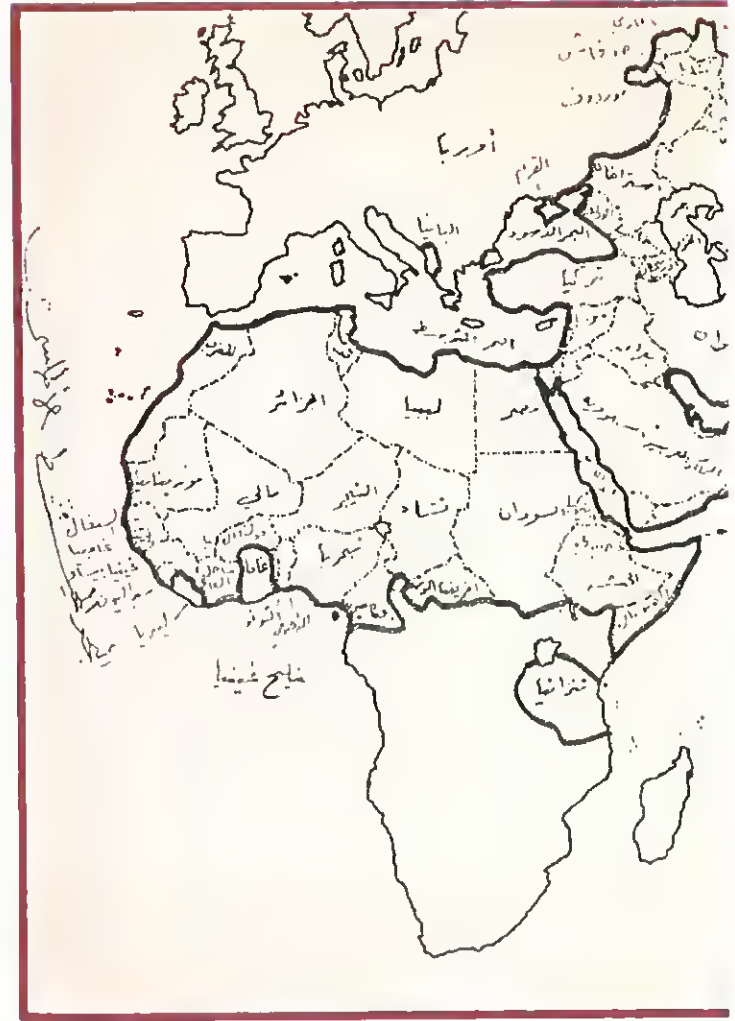
وتقدم البلدان الإسلامية التي يعيش عليها المسلمون اليوم منتجات زراعية كثيرة ومتنوعة نتيجة لتباين المناطق المناخية الموجودة فيها ، إذ ذكرنا أن العالم الإسلامي يمتد من جنوب خط الاستواء وحتى درجة العرض ٥٥° شمالاً ، فتقدم البلدان الإسلامية ١٣٪ من إنتاج القمح في العالم وهو الغذاء الأول لبني البشر وتعد مناطق أواسط آسيا وتركيا وباكستان وإيران وأفغانستان ومصر والجزائر والمغرب وسورية والعراق أهم مناطق زراعته ، ويحتل العالم الإسلامي المرتبة الثانية بإنتاج القمح بعد روسيا ، إذ يقدم ٣٨ مليون طن .

وتعطي البلدان الإسلامية ٣٩ مليون طن من الأرز الذي يعد الغذاء الرئيسي لكثير من شعوب العالم . وبذا تحتل المرتبة الثالثة في العالم بعد الصين واهند وتقدم نسبة ١٤,٣٪ من الإنتاج العالمي ، وأهم مناطق إنتاجه أندونيسيا وبنغلاديش وباكستان ومصر وماليزيا .

وتنتج ٨ ملايين طن من الذرة ، وتحتل بذلك المرتبة الخامسة في العالم بعد الولايات المتحدة وروسيا والبرازيل والمكسيك ، وتعطي ٣٪ فقط من الإنتاج العالمي ، وتعد أندونيسيا ومصر ونيجيريا أهم مناطق زراعتها .

وتنتج ٤٠ مليون طن من قصب السكر ، وتحتل بذلك المرتبة الثالثة في العالم بعد الهند والبرازيل ، وتعطي ٩٪ مما يقدم العالم ، وأهم مناطق زراعته بنغلاديش وأندونيسيا ومصر .

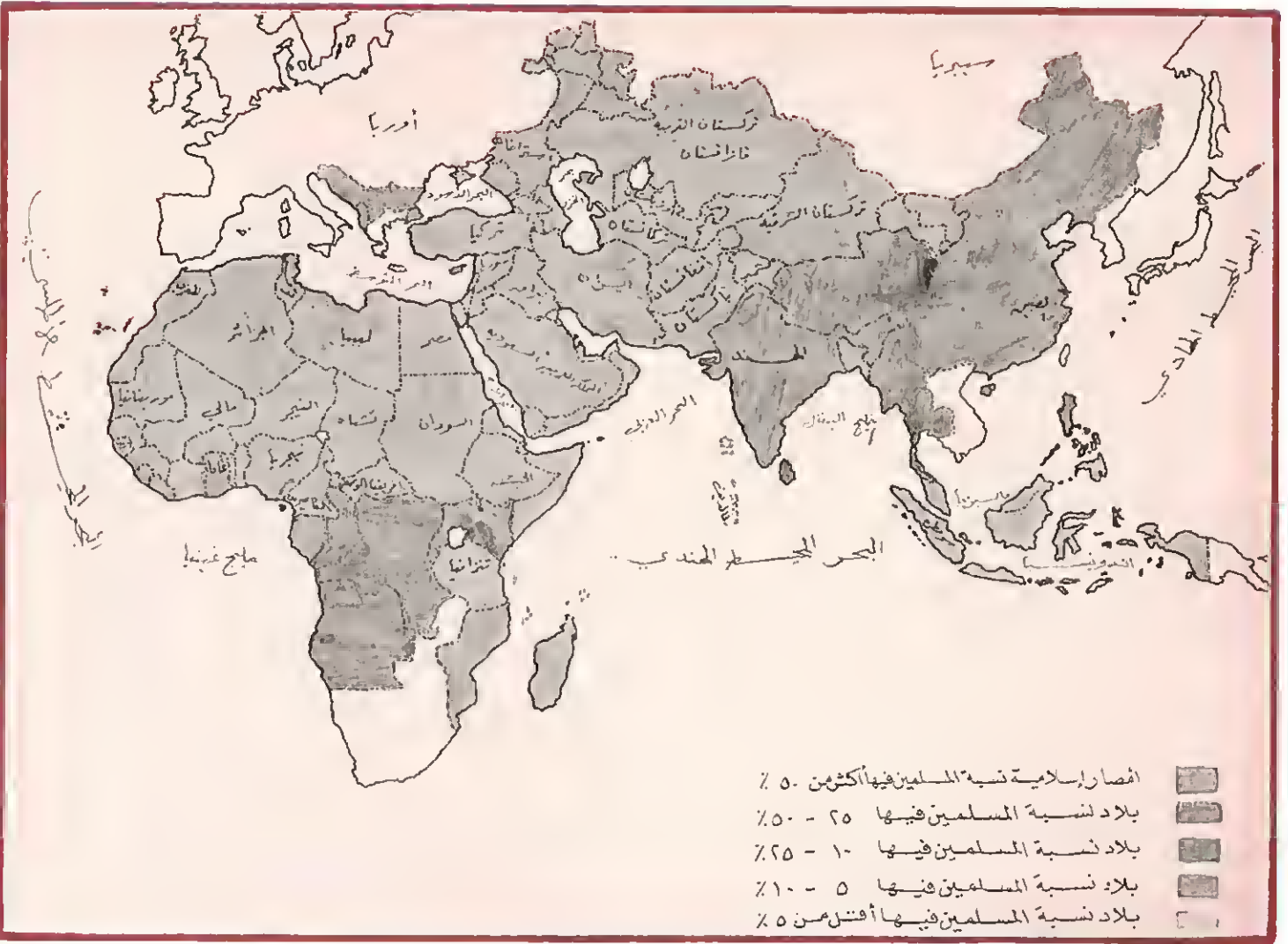
وتعطي كميات من الشمندر السكري تقدر بـ ١٢ مليون طن تحتل بها المرتبة السادسة في العالم ، وتعد تركيا ومناطق تركستان من أهم



الدعوة والحرية الدينية . ومن هذا المنطلق فإن الإسلام بعيد عن الخلافات التي قامت أو تقوم باسم الشرق والغرب والصراعات التي حدثت بين الأمم فهو ليس شرقياً ولا سامياً ولا أبيض وإنما للناس جميعاً ، ويرفض زج أتباعه في هذه الدوامه كما يحلو لبعض المؤرخين أن يفعلوا ذلك ليوقف الغربيون ضده . وليحاربه الآريون . وليبتعد عنه الزنوج .

والإسلام فوق اعتباره المساواة بين بني البشر فإنه يكرم هذا المخلوق أيّاً كان نوعه أو جنسه أو عرقه أو لونه أو عقيدته ﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴾ (٣١) ولقد استخلف الله الإنسان في هذه الأرض ليعمرها ويستثمر خيراتها وسخر له كل ما في هذا الكون ليستطيع أن يقوم بواجبه .

والإسلام يقدم الخير للبشر جميعاً ، فبحرم العمل غير المشروع ، وما فيه ضرر للناس من احتكار وغش وربا ، وينهى عن السؤال ، وهذا ما يستدعي عدم وجود البطالة ، والدولة مسؤولة عن ذلك وعليها معالجتها . سواء بالبحث على العمل والترغيب فيه ، أم بمنع الجلوس بلا عمل



العالمي ، وأهم البلدان المنتجة هذه المادة أندونيسيا وسنغلايش .
وتحتل المرتبة الأولى في العالم بإنتاج الكاكاو بتقديره ٧٥٠,٠٠٠ طن ، وتعطي ٤٨ % من إنتاج العالم ، وأهم مناطق إنتاجه نيجيرية وأندونيسيا والداهومي (بنين) وماليزيا وسيراليون والتوغو وساحل العاج والكاميرون .

كما تحتل المرتبة الثانية في العالم بإنتاج جوز الهند (النارجيل) بعد الفلبين ، إذ تعطي ١,١٥٠,٠٠٠ طن ، وتقتل ٣٥ % من إنتاج العالم وأهم مناطق زراعته أندونيسيا وماليزيا وجزر المالديف وزنجبار والداهومي (بنين) .

وتتربع على المرتبة الأولى بإنتاج النخيل الزيتي حيث تقدم ١,١٥٠,٠٠٠ طن من هذه المادة . ويمثل هذا الرقم ٨٠ % من إنتاج العالم ويزرع بشكل رئيسي في نيجيريا وأندونيسيا والداهومي (بنين) وماليزيا وسيراليون والتوغو وساحل العاج والكاميرون .

وتحتل المرتبة الأولى أيضاً بإنتاج المطاط ، ويمثل إنتاجها المقدّر بمليون طن ٨٠ % من إنتاج العالم ، وتعد ماليزيا وأندونيسيا ونيجيريا أهم

البلدان في العالم الإسلامي التي تنتج هذه المادة ، وتعادل هذه الكمية ٥ % من إنتاج العالم أجمع .

وتكاد تقدم ٩٩ % من إنتاج القمح في العالم ، وتأتي هذه المادة من العراق والمملكة العربية السعودية وإيران ومصر والجزائر والمغرب وتونس وليبيا والسودان وموريتانيا .

وتعطي ١/٣ مليون طن من زيت الزيتون ، وتحتل بذلك المرتبة الثانية بعد إيطاليا ، وترتفع أحياناً إلى الأولى ، ولكنها تعد أول البلدان تصديراً لهذه المادة ، وأهم مناطق إنتاج هذه المادة تركية وتونس وسورية والمغرب ولبنان وليبيا والأردن .

وتقدم ١/٢ مليون طن من البن ، وهو ما يعادل ١٢,٥ % من الإنتاج العالمي ، وتحتل بذلك المرتبة الثانية بعد البرازيل ، وتعد بلدان ساحل العاج وأندونيسيا والحبشة وتانزانيا ثم اليمن من البلدان المنتجة له في العالم الإسلامي .

وتعطي ١٠٠,٠٠٠ طن من الشاي ، وتحتل بذلك المرتبة الرابعة في العالم بعد الصين والهند وسيلان ، وهذا الإنتاج يعادل ٧ % من الإنتاج

مناطق إنتاجه .

وتحتل المرتبة الأولى بإنتاج الفلفل والكيما وبقية التوابل ،
وتعد أندونيسيا أهم مناطق إنتاج هذه المواد .

وتنتج البلدان الإسلامية ٤٣٪ من إنتاج القطن في العالم إذ يقدر إنتاجها بسبعة ملايين طن وتحتل بذلك المرتبة الأولى بين بلدان العالم ، وأهم مناطق إنتاجه هي : أوزبكستان من جمهوريات تركستان وباكستان ومصر وبنغلاديش ، وطاجيكستان وتركمانستان وأذربيجان وقيرغيزيا وقازاقستان وتركيا وسورية والسودان وإيران .

وفي الوقت نفسه تحتل المرتبة الأولى بإنتاج بذرة القطن إذ تعطي ٤٠٪ من إنتاج العالم من هذه المادة .

وتعطي ٧٥٪ من إنتاج مادة الجوت التي تقدم ببنغلاديش ٧٥٪ منها من إنتاج العالم .

وأما الفول السوداني فتحتل المرتبة الأولى بين بلدان العالم وتقدم ٢٧٪ من إنتاج الأرض حيث تعطي ٣,٧٥ مليون طن ، ويزرع في نيجيريا والسنغال والسودان وأندونيسيا ومالي وغامبيا والنيجر .

وتقدم كميات كبيرة من الفواكه وبخاصة الحمضيات والعنب والمشمش والموز والأناناس والمango .

وتعد البلدان الإسلامية غنية بثروتها الغابية المتوفرة بشكل خاص في البيئة الاستوائية مثل أندونيسيا وماليزيا والسودان وتانزانيا ، وفي المنطقة المعتدلة الدفينة مثل بلاد المغرب وبلاد الشام ، وتحتل المرتبة الثالثة بالثروة الغابية بعد الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة .

أما الثروة السمكية فهي لا تزال قليلة بعد في العالم الإسلامي إذ لا تزيد على ٦٪ من إنتاج العالم حيث تعطي ١,٨ مليون طن ، وتأتي معظمها من أندونيسيا وباكستان والمغرب وماليزيا ومصر .

وفي البلدان الإسلامية ٢٠٠ مليون رأس من الأغنام، ويمثل هذا

الرقم ٢٠٪ من عدد القطيع في العالم ، مع العلم أن عدداً منها من النوع الممتاز الذي يعرف باسم (كراكول) أو (استراكان) ويوجد في بلاد الأفغان وبلاد الطاجيك ، ويأتي على طليعة دول العالم الإسلامي في تربية الأغنام : تركيا - قازاقستان - إيران - أفغانستان - المغرب - العراق - أوزبكستان - السودان - قيرغيزيا - الجزائر - سورية .

ويتناقص ترتيب البلدان الإسلامية بالنسبة إلى الأبقار إلى المرتبة الرابعة بعد الهند والولايات المتحدة والبرازيل ، وتربي بلدان العالم الإسلامي ٨٢ مليون رأس وهو ما يمثل ٨,٢٪ من عدد القطيع العالمي ، ويأتي في طليعة الدول : السودان - باكستان مع بنغلاديش وقازاقستان وأندونيسيا .

أما بالنسبة إلى الطاقة فإذا كانت البلدان الإسلامية قليلة الإنتاج بالنسبة إلى الفحم حيث لا تعطي إلا كميات ضئيلة منه لا تتجاوز (٦٥) مليون طن ، وهذا الرقم لا يعطي إلا نسبة صغيرة بالنسبة إلى إنتاج العالم الذي يصل إلى ملياري طن ، إلا أن البلدان الإسلامية تقدم ٦٠٪ من إنتاج العالم من النفط ، وهو المادة المعيرة اليوم والأساسية بالنسبة إلى الصناعة ووسائل النقل ، وأكثر من هذه النسبة من الاحتياطي ، وتعد دول الخليج العربي ومنطقة بحر الخزر ثم مكامن الصحراء الكبرى في ليبيا والجزائر ثم نيجيريا وأندونيسيا أهم البلدان المنتجة والمصدرة للنفط . ثم هناك الغاز الطبيعي الذي يكثر في إيران وماليزيا والجزائر وأندونيسيا والكويت وباكستان والدول الأخرى المنتجة للنفط .

كما تقدم البلدان الإسلامية كميات كبيرة من بقية المعادن النافعة والثروات وأهم هذه المواد موضحة في الجدول التالي :

★ ★ ★

هذا بالإضافة إلى ثروات أخرى .
وهكذا نستطيع أن نقول : إن المسلمين اليوم يقدمون للعالم الخير بما يحملون من قيم ومبادئ ، ويقدمون الخير المادي بما تحويه أراضيهم من كنوز وخيرات .

المادة	الإنتاج العالمي بالطن	إنتاج البلدان الإسلامية بالطن	نسبة الإنتاج	المرتبة العالمية
الحديد	٢٥٠,٠٠٠,٠٠٠	٢٨,٠٠٠,٠٠٠	١٢٪	٣
المنغنيز	٨,٠٠٠,٠٠٠	١,٩٠٠,٠٠٠	٢٤٪	٢
القصدير	١٧٩,٦٠٠	١٠٠,٤٠٠	٥٦٪	١
الكروم	٢,٥٠٠,٠٠٠	١,٠٠٠,٠٠٠	٤٠٪	١
البوكسيت	٣٠,٠٠٠,٠٠٠	٧,٠٠٠,٠٠٠	٢٣٪	١
الرصاص	٢,٠٠٠,٠٠٠	٢٠٠,٠٠٠	١٠٪	٥
الفوسفات	٨٥,٠٠٠,٠٠٠	٢١,٠٠٠,٠٠٠	٢٥٪	٢

الهوامش

١ - سورة المؤمنون ، الآيات ١٢ - ١٤ .

٢ - سورة السجدة ، الآية ٧ - ٨ .

٣ - سورة الإسراء ، الآية ٧٠ .

كيف

تتحقق لنا

حضارة إسلامية



من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين ﴿ (سورة غافر، الآية ٦٤) ، ﴿ وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون . وما ذرا لكم في الأرض مختلفاً ألوانه إن في ذلك لآية لقوم يتذكرون . وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون . وألق في الأرض رواسي أن تميد بكم وإنهاراً وسيلاً لعلكم تهتدون . وعلامات وبالنجم هم يهتدون . أفن يخلق كمن لا يخلق أفلا تذكرون . وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم ﴿ (سورة

النحل ، الآيات ١٢-١٨) . وإذ تقرّر كرامة الإنسان في رسالة الإسلام ، فإن هذا الدين يضمن حقوق الإنسان كما يلزمه واجباته في تعامله مع الإنسان الآخر ومع الجماعة والدولة على أساس من العقيدة وتحديد من أحكام الشريعة . والحضارة تتطلب حرية الفرد وتضامن الجماعة وانتظام الدولة وتقابل الحقوق والواجبات وتحقيق التوازن والتناسق والتكامل بين الجانبين . وكل هذه الأصول مرعية في دين الإسلام الذي يجعل الخضوع المطلق للخالق وحده ، ويجعل علاقة الفرد بالفرد ، والفرد بالجماعة ، والفرد والجماعة بالدولة ، والدولة بغيرها من الدول ، والعلاقات المتبادلة لذلك كله ، محكومة بشريعة الله التي لا تحابي ولا تتحامل ﴿ والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم وما رزقناهم ينفقون ﴿ (سورة الشورى ، الآية ٣٨) ، ﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً . يأيها الذين آمنوا اطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً ﴿ (سورة النساء ، الآية ٥٨) - ٥٩ .

إن الحضارة الإسلامية حسب هذا الظن - أو هذا الزعم - هي حضارة تلتبس فقط في بطون الكتب وقاعات المتاحف !! . لكن الحضارة الإسلامية متجددة دوماً ، أو قابلة للتجدد دوماً ، لأنها ترتكز إلى قيم حضارية أصيلة في معجزة الإسلام الخالدة : كتابه وما يقترن به من سنّة رسوله صلوات الله عليه . . . وهي قيم حضارية أطلقت حضارة الإسلام (التاريخية) المتعارفة في قرونها الماضية ، وحفظت القدر الضروري من طاقات المسلمين أفراداً ومجتمعات ودولاً في عصور الضعف والاضمحلال ، وأعانتهم على غوائل الجهالة والتخلف والانحراف والاضمحلال ، وهجيات الصليبيين والمغول والاستعماريين القديم والجديد . . . وهذه القيم الحضارية نفسها كفيلة بتجديد حضارة إسلامية معاصرة إذا فهمها المسلمون ووعوها والتمزوا بها وحققوها في واقع حياتهم : ﴿ ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء . تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ﴿ (سورة إبراهيم ، الآيتان ٢٤-٢٥) .

إن الإسلام الذي كرم الإنسان - ركيزة الحضارة وأداتها - والذي صور الحياة الإنسانية على هذه الدنيا كريمة طيبة رخية سخية قد عبأ طاقات الإنسان النفسية والفكرية والبدنية لإقامة الحضارة على الأرض بهداية البارئ عز وجل فاطر الإنسان وخالق الكون ﴿ ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً ﴿ (سورة الإسراء ، الآية ٧٠) ، ﴿ وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال إني أعلم ما لا تعلمون . وعلم آدم الأسماء كلها ﴿ (سورة البقرة ، الآيتان ٣٠-٣١) . وبما وهب الله الإنسان من قدرات نفسية وعقلية وبدنية ، لا يفتأ يتعرف على الشواهد والقوى الكونية ويستخدمها ويستثمرها ﴿ الله الذي جعل لكم الأرض قراراً والسماء بناءً وصوّركم صوركم فأحسن صوركم ورزقكم

الحضارة الإسلامية التي تحققت فعلاً وواقعاً في التاريخ ، ليست التحقيق الوحيد للحضارة الإسلامية على أرض الواقع ، وليست إنجازاً تاريخياً مضى زمنه وانقضت الظروف التي يمكن أن تخرج مثله ... بحيث لا يملك مسلمو اليوم إلا التفاخر بما فات ومضى وانقضى أو التباكي عليه !! وبحيث تتوالى القرون فتزيد الأماد التي تفصل مسلمي اليوم عن ماضيهم الزاهر الذي يفخرون به أو يتباكون عليه ، ويضيف كل قرن جديد مسافة وحاجزاً ، لأنه يبعد الماضي (التاريخي) الذي يظن أناس أنه لن يتكرر أو ليس له أن يتكرر !!

مَعَاصِرٌ

بقلم : د. محمد فتحي عثمان

فطور ﴿ (سورة الملك ، الآية ٣) ، ﴿ والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل شيء موزون ﴾ (سورة الحجر ، الآية ١٩) ، ﴿ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ﴾ (سورة يس ، الآية ٤٠) ، ﴿ وخلق كل شيء فقدره تقديراً ﴾ (سورة الفرقان ، الآية ٢) ، ﴿ فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً ﴾ (سورة فاطر ، الآية ٤٣) .

ولقد كانت مساجد المسلمين ومدارسهم ومكتباتهم ومستشفياتهم خير شاهد على نور العلم الذي اقترن بهداية الإسلام . كذلك علمت رسالة الإسلام الجدد في العمل ، وقررت بأن عبارة الأرض واجب الإنسان الذي جعله الله في هذه الأرض خليفة ، والعمل لكسب الرزق هو في الإسلام عبادة ينبغي بها فضل الله . والعمل هو الذي يشيد صرح الحضارة ، وارتباط العمل بالإيمان يصل به إلى أبعاد لا تدركها بحال حوافز الكسب والانتفاع والطموح ، وأخوة المؤمنين خير ما يحقق التعاون على الخير والبر والمعروف ويبارك الجهود والثمار .

وقد أكدت تعاليم الإسلام أن التوكل على الله ليس توكلاً ، بل هو قرين الجد في العمل بباركه ويزكيه وينمي ويقي العامل مزائق البطر وعثرات القنوط ، وأن الزهد هو فيما يملكه المؤمن من طيبات الدنيا بكده وكسبه الحلال فيتخلل عنه غتاراً بعد أن ملكه لصالح الجماعة أو الأفراد المحتاجين ، وليس الزهد فيما لم تصل إليه اليد أو يدخل في الملك . ولكم جد المسلمون في عبارة الأرض وزراعتها واستخراج ما في باطنها وفي تربية الحيوان وفي الصناعة وفي التجارة حيثما حلوا ، وشهدت برائع منجزاتهم حضارهم الزاهرة .

وكتاب الإسلام يُحمل الإنسان مسؤولياته العقلية في التفكير وطلب المعرفة واستيعاب ثمراتها والتعبير عنها ونقلها وإشاعتها ، فالقرآن يخاطب الذين يعقلون ويفكرون ويتذكرون وأولي الألباب ويكرم الذين أوتوا العلم ويعتكم إلى البرهان ، وقد كانت أولى آياته نزولاً ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ (سورة العلق ، الآيات ١-٥) ، ﴿ خلق الإنسان علمه البيان ﴾ (سورة الرحمن ، الآيتان ٣-٤) ، ﴿ ألم نجعل له عينين . ولساناً وشفتين . وهديناه النجدين ﴾ (سورة البلد ، الآيات ٨-١٠) ، ﴿ إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً ﴾ (سورة الإسراء ، الآية ٣٦) ، ﴿ وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ﴾ (سورة النحل ، الآية ٧٦) . وما أصدق الكلمات المنيرة الهادية لمفكر الإسلام الراحل مالك بن نبي في كتابه « شروط النهضة » : « إذا كانت الوثنية في نظر الإسلام جاهلية ، فإن الجهل في حقيقته وثنية لأنه لا يغرس أفكاراً بل ينصب أصناماً - وهذا شأن الجاهلية . فلم يكن من باب الصدفة المحضة أن تكون الشعوب البدائية وثنية ساذجة ... ومن سنن الله في خلقه أنه عندما تغرب الفكرة يبرز الصنم ... ! ولقد جاء كتاب الإسلام المبين ينعي على المقلدين والمعتلين لنعمة العقل والتفكير ، ويثر طاقات الحس والوجدان والإدراك لشئى ظواهر الكون الجلية لكل ذي عينين ونواميس المعجزة التي يسهر غورها أهل العلم بالبحث والتدبر ﴿ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود . ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء . إن الله عزيز غفور ﴾ (سورة فاطر ، الآيتان ٢٧-٢٨) ، ﴿ ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت فارجع البصر هل ترى من

ولقد جاء الإسلام يبين قيمة « الوقت » والسعي بالزمن شرط الحضارة ﴿ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً ﴾ (سورة النساء ، الآية ١٠٣) ، ﴿ يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج ﴾ (سورة البقرة ، الآية ١٨٩) ، وإذا كان « الإنسان » وهو أداة الحضارة ، قد أكرمه الله بسالم العقل واللبان والإرادة ، ووجهه بهدائه لاستثمار ما أنعم الله به عليه ، وكانت « الدنيا » هي الإطار المكاني لنشاط الإنسان على اختلاف مجالاته ، فإن السعي « بالزمن » المتاح لحياة الفرد والجماعة هو قيمة أساسية لا بد منها لقيام الحضارة الإنسانية في هذه الدنيا . ولقد ذكر المفكر المسلم مالك بن نبي في معادلاته الرياضية التي حاول بها تحليل الحضارة متأثراً بتخصصه كمهندس أن : الحضارة = إنسان + تراب + وقت !

ولقد رى الإسلام المؤمن على محاسبة نفسه على كل لحظة تمر في حياته حتى يكتسب منها خيراً ويدفع فيها شراً ، فمن لم يكن في زيادة فهو في نقصان ! وإذا اجتمع السعي بالزمن مع الجد في العمل ، نبنت الحضارة وغت وأزهرت وأثمرت ثمرات مختلفاً ألوانها ، وكانت غذاء وشفاء وبهجة !!

ولكم تعنى رسالة الإسلام بتنمية الذوق وتربية الإحساس بالجمال ، ولطالما وجه القرآن نظر المؤمن إلى تذوق « الجمال » في خلق الله إلى جانب التماس « النفع » ﴿ أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيناها وما لها من فروج . والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج . تبصرة وذكرى لكل عبد منيب . ونزلنا من السماء ماء مباركاً فأنبتنا به جنات وحب الحصيد . والنخل باسقات لها طلع نضيد . رزقاً للعباد وأحيينا به بلدة ميتاً كذلك الخروج ﴾ (سورة ق ، الآيات ٦-١١) ، ﴿ والآنعام خلقها لكم فيها دفاء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم . والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون ﴾ (سورة النحل ، الآيات ٥-٨) . ودين الله يؤكد أن تذوق الجمال والسعي للتجمل سمة الإنسان السوي المرهف الحس اليقظ الإدراك اللطيف لروعة الخلق وعظمة الخالق وجليل نعمائه ، وشريعة الإسلام ترسم النطاق الصحيح للتذوق والتجمل على السواء ، وترسم المسالك القويم لإبداع فني رشيد ، حتى لا يكون الغبن غوانه وإغواء وهماً ونهباً وتعبيراً بغير مسؤولية !! ﴿ ألم تر أنهم في كل واد يهيمون . وأنهم يقولون ما لا يفعلون . إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا ﴾ (سورة الشعراء ، الآيات ٢٢٥-٢٢٧) .

والإيمان - قبل ذلك وبعد ذلك - هو خير ضمان لمواصلة الجهد في بناء الحضارة وخير حفاظ على طاقات الإنسان من التبدد في ثغرات الغرور عند النجاح واليأس عند الخيبة ، وهو « رصيد موجب » يعرض السلب والاستهلاك ، ويؤمن البشر من الضعف الكسير والقوة البطرة ، إذ يحكم

صلمات النفس بعروة الإيمان الوثني ﴿ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم ﴾ (سورة الحديد ، الآية ٢٣) ، ﴿ إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين . وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين ﴾ (سورة القصص ، الآيات ٧٦-٧٧) ، ﴿ واصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور . ولا تصعر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور ﴾ (سورة لقان ، الآيات ١٧-١٨) ، ﴿ ولا تياسوا من روح الله إنه لا يياس من روح الله إلا القوم الكافرون ﴾ (سورة يوسف ، الآية ٨٧) .

وهكذا يتولى الدين تعبئة طاقات الإنسان المتعددة لبناء الحضارة ، ويصونها ويعمل على استمرار نشاطها ... فتتوالى الصور التطبيقية المتغيرة للقيم الحضارية الإسلامية الثابتة ، وتتحدد ثمار الدين الخالد وآثاره ...

إن الإيمان بالله شحنة حياة ، تتفاعل مع النفس والحس والوجدان والفكر ، وتنمو بين جوانح الفرد أولاً ثم تهيج فتطفر إلى رحاب الأرض ، فتشع النور على الأفراد الآخرين ، وعلى المجتمع ، ثم على المجتمعات الإنسانية قاطبة ، فالحضارة جماعية بطبيعتها ، منتشرة بطبيعتها ، متواصلة بطبيعتها ... إنها غو ورفي وتطور وامتداد في العمق والعرض والطول ، وعقيدة الإيمان وتعاليم الإسلام كما جاءت في كتاب الإسلام ليست في الكلمات المحدودات وإنما في الحقيقة الهائلة التي تحملها الكلمات والطاقت الهائلة التي تفجرها الكلمات فتكون ﴿ تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾ (سورة النحل ، الآية ٨٩) ، ﴿ قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً ﴾ (سورة الكهف ، الآية ١٠٩) . ﴿ يكاد زيتها يضيء ولو لم يمسسه نار نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس ﴾ (سورة النور ، الآية ٣٥) .

فالإسلام كقيل بإطلاق الطاقات النفسية والفكرية والعملية ، الفردية والجماعية ، لبناء الحضارة ونمائها والحفاظ عليها . والحضارة الإسلامية قابلة للتجدد دوماً في أي زمان ... فكيف السبيل إلى أن يتحقق ما هو كائن « بالقوة » في أصول الإسلام حتى يصير كائناً « بالفعل » في واقع حياة المسلمين ؟؟

إن أجيال الإسلام المعاصرة أخذت تمي حقيقة دينها الخالد وعطاءه المتجدد لخبر الإنسانية جمعاء ، لكن يجب أن يقترن هذا « السعي » بالحرص على « العمل » لتحقيق هذه القيم الحضارية التي يحملها الإسلام في واقع حياة المسلمين فكراً وسلوكاً ، وعلى « نشر » هذه القيم بين الناس أجمعين في عللنا المعاصر في شتى مجالات الحياة .

والحضارة حياة مستمرة متتابعة موصولة ، ومناخ سائد يعيشه « المتحضر » حتى يستطيع الإسهام والمشاركة في « التطور » الحضاري ، وإنشاء النتاج الحضاري ، وتعديل وجهة المسيرة الحضارية .

إن المسلم المؤمن بدينه وقيمه وحضارته ليس في وسعه أن يتخذ موقفاً سلبياً من حضارة قائمة يرفض بعض ما فيها حتى تموت، وهو يبنى نفسه أنه عند الساعة المحتومة لانقضاء الحضارة القائمة سوف يتحرك فوراً لإقامة الحضارة التي يريد لها!!

إن عمليات تطوير الفكر والمجتمع ليست مجرد «انقلاب» مباغت بل هي «تحويل» طويل الأمد... والذين أسعوا التغيير الإسلامي التاريخي «انقلاباً» كالاستاذ المودودي رحمه الله، إنما قصدوا التعبير عن «جوهر التغيير» ومدى اختلافه الجذري عن الأوضاع السائدة قبله، ولم يقصدوا التعبير عن «طريقة التغيير» بحال من الأحوال.

ولقد يقال إن المسلمين الأولين من مهاجرين وأنصار في مكة والمدينة كانوا «بدوا» وتحضروا فجأة حين نشرىوا تعاليم الإسلام وأحلالها إلى واقع عملي... وتصور المهاجرين والأنصار على هذا النحو غير صحيح، وإنما كانت البيئة الحكيمة تجارية، أكسبت أصحابها خبرات أساسية، وهيات لهم الاحتكاك بالحضارات والثقافات المجاورة المعاصرة لهم على قدر ما برزت ذلك وسائل الاتصال في عصرهم. وكانت البيئة المدنية الزراعية، والزراعة تقتضي معارف تقنية وتعاملية.

والشعر الجاهلي يصور مستوى ثقافياً رفيعاً وإدراكاً واسعاً عميقاً، ومشاعر ناضجة، وأخلاقاً سوية مستقيمة في كثير من الأحيان. وأخبار العرب قبل الإسلام تدل على عقول حكيمة، وبديهة حاضرة، وإفادة حصيفة من الخبرات المتاحة المتراكمة، واستجابة ذكية لمختلف المؤثرات.

والتاريخ الاجتماعي للعرب يشير إلى أنهم لم يكونوا كلهم «بدوا» ولم يكونوا كلهم جهلاء، فما أخطر التعميمات السطحية المتجنبة في هذا المجال^(١).

ووصف العرب «بالأمية» في القرآن الكريم قد يقابل ما وصف به أهل الكتاب من نزول «الكتاب» عليهم، ولا يقابل معرفة القراءة والكتابة... وفي آيات القرآن نفسها بيان وبلاغ: ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ (سورة الجمعة، الآية ٢)، ﴿أن تقولوا إنما أنزل القرآن على طائفتين من قبلنا وإن كنا عن دراستهم لغافلين. أو تقولوا لو أننا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة﴾ (سورة الأنعام، الآية ١٥٦-١٥٧). ولقد كان اليهود يطلقون على العرب وصف «أميين» بمعنى «غير الكتابيين» لا «غير الكاتبين»: ﴿ومنها من إن تآمنه بديننا لا يؤده إليك إلا ما دمت عليه قائماً ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب

وهم يعلمون﴾ (سورة آل عمران، الآية ٧٥). ولقد وصف القرآن اليهود الذين لا يعرفون حقيقة كتابهم وتعاليمهم «بالأميين» أيضاً فقال بالحق سبحانه: ﴿ومنها أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون﴾ (سورة البقرة، الآية ٧٨).

على أنه من المعروف المقرر الآن أنه ليس مهمة تناقض بين «الأمية» و«الثقافة»، فللأمة خبراته ومصادر ثقافته غير المكتوبة التي لها وزنها وقيمتها. وقد أفاض في ذلك مؤرخو الحضارات والأنثروبولوجيون والاجتماعيون ومن إليهم من الباحثين.

وإذا كان من بديهة العقل ومن تعاليم رسول الإسلام صلوات الله عليه، ألا يُحَاظَبُ قومٌ إلا بما يفهمون حتى لا يُكْتَذَبَ الله ورسوله، فهل من المقبول أن تُخاطب آيات القرآن بدواً حفاة عن المشكاة والمصباح الذي هو في زجاجة كأنها كوكب دري، وعن الصرح الممر من قواير، وعن السرر المرفوعة والأكواب الموضوعة والتمازق المصفوفة والزرايب المبهوثة؟^(٢) وهل تنسج لغة هؤلاء البدو الحفاة كما يتصور البعض جميع عرب شبه الجزيرة لمثل تلك المفردات الواردة من الآيات وهي كسائر القرآن بلسان عربي مبين، وما يرسل الله رسولا إلا بلسان قومه ليبيّن لهم^(٣)؟ وهل يكون في وسع البداية الحفاة تذوق صور القرآن البيانية الرائقة وإدراك إعجازه الأدبي؟

ولم يكن العرب الذين عاصروا مشرق رسالة الإسلام بمعزل عن الحضارات والثقافات من حولهم إيرانية أو هندية أو بيزنطية يونانية أو غيرها... وكانت رحلات العرب التجارية تتردد على اليمن والحيرة والشام، وتجاوز ذلك إلى ما جاورها من العراق وفارس ومصر وقد توغل إلى ما هو أبعد من ذلك. وكانت إمارات المناذرة والغساسنة على صلة بالفرس والروم على التوالي... وكل هذه كانت سبلاً مفتوحة لاتصال العرب المستمر بالحضارات المعاصرة لهم قبيل الإسلام^(٤).

وحين استشار الخليفة الراشد عمر بن الخطاب في شأن تزايد الوارد إلى بيت المال من المغنم والخراج بعد الفتح «قال الوليد بن هشام ابن المغيرة: قد جثت الشام نرايت ملوكها قد دونوا ديواناً وجندوا جنداً فدون ديواناً وجنداً جنداً. فآخذ بقوله». وذهبت بعض الروايات إلى أن هذه المشورة استندت إلى سوابق الفرس لا سوابق الروم، وأن صاحبها قد يكون أحد المرازبة الفرس الذين والوا المسلمين أو غيرهم من الفرس^(٥).

ولقد أفاد المسلمون من سوابق النظم الساسانية والبيزنطية التي وجدوها في البلاد المفتوحة في كل مجال للاجتهاد، ما دامت توافق مبادئ الشريعة العامة وقواعدها الكلية، ولا تتعارض مع أحكامها الجزئية القطعية. وبدا ذلك الاقتباس المباح جلياً على صفحات تراثنا الفقهي:

«قال أبو يوسف: إذا كانت في البلاد سنة أعجمية قديمة لم يغيرها الإسلام ولم يبطلها، فشكاهم قوم إلى الإمام لما يناهم من مضرتها، فليس له أن يغيرها، وقال مالك والشافعي: يغيرها وإن قدمت، لأن عليه نفي كل سنة جائرة سنها أحد المسلمين فضلاً عما سن أهل الكفر»^(٦).

وقد خرج المسلمون من شبه الجزيرة في فتوحهم إلى مراكز حضارات

العالم من حولهم «فرحوا إلى أم فارس والروم وطلبوا ما كتب الله لهم من الأرض بوعد الصديق... فرخرت بحار الرفه لديهم»، ولقد استفادوا من الخبرات الحضارية العملية المتنوعة التي وجدوها لدى أهل البلاد المفتوحة «ولما استعملوهم في مهنهم وحاجات منازلهم، واختاروا منهم المهرة في أمثال ذلك والقومة عليهم، فأفادوهم في علاج ذلك والقيام على عمله والتفنن فيه، مع ما حصل لهم من اتساع العيش والتفنن في أحواله، فبلغوا الغاية في ذلك، وتطوروا بطور الحضارة والترف في الأحوال، واستجادة المطاعم والمشارب والملابس والمباني والأسلحة والفرش والأنية وسائر الماعون والحرفي...» (٧).

كذلك لم يتوان المسلمون عن الاستفادة من المعارف العلمية في البلاد التي فتحوها وهي معارف بطبيعتها إنسانية عالمية كما بين ابن خلدون بحث «فالعلوم العقلية هي طبيعية للإنسان من حيث إنه ذو فكر، فهي غير مختصة بملة بل يوجه النظر فيها من أهل الملل كلهم ويستوون في مداركها ومباحثها، وهي موجودة في النوع الإنساني منذ كان عمران الخليفة».

ولما انقضى أمر اليونان وصار الأمر للقيصرية وأخذوا بدين النصرانية هجروا تلك العلوم (!) أو بقيت في صحنها ودواوينها مسجلة باقية في خزائنها، قد ملكوا الشام وكتب هذه العلوم باقية فيها. ثم جاء الله بالإسلام وكان لأهله الظهور الذي لا كفاء له، وابتزوا الروم وملكهم فيما ابتزوه للأمام^(٨)، وابتدأ أمرهم بالسذاجة والغفلة عن الصنائع، حتى إذا تبحروا من السلطان والدولة وأخذوا من الحضارة بالخط الذي لم يكن لغربهم وتفتشوا في الصنائع والعلوم تشوقوا إلى الاطلاع على هذه العلوم الحكيمة بما سمعوا من الأسافرة والأفنة المعاهدين بعض ما ذكر فيها وسمو إليه أفكار الإنسان فيها. فبعث أبو جعفر المنصور إلى ملك الروم أن يبعث إليه بكتب (التعاليم)... فقرأها المسلمون وأطلعوا على ما فيها وازدادوا حرصاً على الظفر بما بقي منها.

وجاء المهامون بعد ذلك وكانت له في العلم رغبة بما كان ينتحله، فانبعث لهذه العلوم حرصاً، وأوفد الرسل على ملوك الروم في استخراج علوم اليونانيين وانتاخها بالخط العربي، وبعث المترجمين لذلك، فأوعى منه واستوعب. وعكف النظار من أهل الإسلام وحذقوا في فنونه. وانتهت إلى الغاية أنظارهم فيها، وخالقوا كثيراً من آراء المعلم الأول...» (٩).

وشملت العلوم العقلية أو الحكيمة: الرياضيات من حساب وهندسة، والطبيعات من فلك وفيزياء وكيمياء إلى جانب الطب وبالإضافة إلى المنطق. وكانت «التعاليم» في اصطلاح تصنيف العلوم - وقد وردت في ثانيا كلام ابن خلدون سالف الذكر - تعني فروع الرياضيات من حساب وهندسة وتعني الهيئة (مواضع الكواكب والنجوم ومسافاتها) كما تشمل الموسيقى.

ومن ثم ليس للمسلمين المؤمنين بدينهم وقيمهم وحضارتهم أن يعزلوا أنفسهم عن الحضارة الإنسانية في مرحلتها الراهنة انتظارها لانهارها

وسقوطها، وهم يحسبون أنهم يستطيعون وقفها القفز في الفراغ لإقامة الحضارة الإسلامية المجتدة. فالحضارة لا تسقط أو تموت على ذلك النحو، والحضارة لا تنشأ أو تقوم على هذا النحو. وكل حضارة هي بعبارة أدق «طور حضاري» في الحضارة الإنسانية العامة، ومرحلة في المسيرة المتصلة المستمرة. ولا تقوم حضارة (أو طور حضاري) إلا في ظل حضارة سابقة (أو طور حضاري سابق)، فتستفيد من مناخها وتمثل خير ما فيه، ثم تحتويه وتتجاوزه بما تقدمه من قيم ومنجزات ذات خصائص تتعمق إلى الكيف والجوهر ولا تقف عند حدود الكم والشكل.

والفرد أو الجماعة، إذا عزلا نفسها عن المناخ الحضاري الفاعل والتيار الحضاري السائد، يكونان قد حكما على نفسها بالانقراض والتجمد والانقراض، لكن الحضارة الراهنة هي التي تبقى إلى أجلها المقدور.

على أن هذا لا يعني بطبيعة الحال أن يقبل المسلمون كل جزئيات الحضارة القائمة، فلم يأخذ المسلمون الأولون ميثولوجيا اليونان أو تحتهم، والمسلمون في كل عصر لا بد أن يحكموا قيمهم في تحديد الإيجابيات والسلبيات وتقرير ما يأخذون وما يدعون. ولكن لا يُعقل أن يحرموا أنفسهم وفكرهم ومجتمعهم من أية خبرات إنسانية نافعة، ومنها خبرات أهل الحضارة المعاصرة في نقد حضارتهم وتحليل أزماتها ومعضلاتها، والشكاوى المرة التي طالما صعدتها المفكرون والأدباء والعلماء من تحوّل «الإنسان» في ظل التقدم التكنولوجي المهول إلى آلة ورقم أو نمط مفرّد لا تفرّد فيه، أو بالأحرى تحوّل الإنسان إلى حالة نمطية - أو حالة مرضية - متكررة: من التمزق والضيق والاضطراب! ولم يفلح التراكم «الكيمي» «الشيئي» «السطحي» للمنتجات المادية في مدافعة أزمت النفوس والعقول - وحتى الجيوب - التي تعانيها المجتمعات المتقدمة والنامية على السواء!

ومع ذلك فللحضارة الراهنة منجزاتها التي لها قيمتها غير المتكورة في مجالات الفكر السياسي والاجتماعي والاقتصادي، فضلاً عن مجالات العلم التجريبي والتقدم التكنولوجي. والمسلمون محتاجون للإفادة من وسائلها المنهجية في البحث وأساليبها في العرض والشر والإعلام، ومؤسساتها السياسية والإدارية والقضائية والتعليمية والاقتصادية على المستويين الدولي والدولي.

إن الإفادة من هذه الخبرات والمنجزات الحضارية الإنسانية العالمية ضروري للمسلمين، لكي يعيشوا في المناخ الحضاري الحيوي للإنسان أولاً، ولكي يفكروا تفكيراً حضارياً رشيداً فيما ينشدون من الحضارة وما ينبغي من العمل للطور الحضاري الذي يطلبونه: مما تكون صورته المبتغاة، وما تكون سبيل العمل لبلوغ الغاية المتوخاة!

وإن تجدد الحضارة الإسلامية لا يعني ضرورة استحضار كل ما كان من ماضي هذه الحضارة وإن كان زاهراً متألّفاً، فلكل زمان وبيئة بنية وتركيب، وحاجات ونصيرات، فليس ثمة شكلاً واحداً أو قالباً مفرداً لا بُد أن تصبّ فيه الحضارة الإسلامية، لتغدو

صورة جامدة مكرورة في كل مكان وزمان ولقد حققت الحضارة الإسلامية ، في إبان ازدهارها في القرون الأولى للهجرة « التنوع في نطاق الوحدة » Variety Within Unity . . . وهي تتنوع خلال الزمان كما تتنوع في أرجاء المكان ، في حدود تعاليم الإسلام .

وتعاليم الإسلام تركت مجالاً رحباً فسيحاً يسمى المباح حيث لا أمر أو نهي والمسلمون قادرون على الإبداع الفكري أو العملي في حدود هذا المجال الرحب الفسيح ما داموا لا يصادمون نهياً قاطعاً صريحاً وليس ما يبدهه جبل بعينه ملزماً لكل جبل ، ما دام الأمر أمر المباح ! وكان ما كان محلّ اجتهد قابل لاجتهاد غيره قد يخالفه على أن يسلك النهج المشروع في الاجتهاد والاستنباط ودائرة المباح متروكة لأي نشاط إنساني بناءً في أي زمان أو مكان ، يستثمر المباح ويبذل فيه ما يحقق صالح الإنسان في ضوء المقاصد العامة للشريعة فلا تسترط حضارة الإسلام ، مثلاً ، طرازاً معيارياً معيئاً ، أو علمياً طبياً لا يتغير ولا يشترط أن تثبت فنون الإسلام على « الأرابيسك » التقليدي ، والحق إنّ له جماله الذي يتذوقه كل عصر وبينة ، لكنه قطعاً ليس الصورة الوحيدة للإبداع الفني في مجال الزخرفة في كل حضارة تنتسب إلى الإسلام

ما أوحج الإنسانية إلى « الحضارة الإسلامية المعاصرة » الحضارة التي تعالج جذرياً أدواء الإنسانية وغملاً خواءها من الأعماق ، دون أن تتجاهل واقعها المعاصر وما تحقق فيه من مكاسب وإيجابيات ، ولا تحمد عند أشكال وقوالب تاريخية للحضارة الإسلامية في زمان أو مكان بعينها ، وإنما تحرص على الأصول الحضارية الثابتة الخالدة في الكتاب والسنة ، وتجد في تفهمها خالصة من يتابعها دون تأثر بما قد يكون شاب تفهمها فيما مضى من (ظرفية) بحكم (محدودية) الإنسان في كل زمان ومكان ، ما دام ليس هو الرسول المعصوم صلوات الله عليه

وعلى المسلمين ألا يجربوا أو يعوقوا الحضارة الإسلامية المنشودة للعصر (بعدم المعاصرة) في التفكير أو في عرض الأفكار أو في الحوار عند اختلاف الأفكار !

ويوم نصف أنفسنا وعقولنا وحضارتنا ، فإننا نعهد السبيل أمام هذه الحضارة لتحقيق خلاص الإنسان بما يكاد يقضي على روحه وذاتيته وكيفيته المتفردة وجوهره المتميز الفذ الأصل « يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين . قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون . قل أرايتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً قل ءالله أذن لكم أم على الله تفترون . وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثرهم لا يشكرون » (سورة يونس ، الآيات ٥٧-٦٠) صدق الله العظيم .

الهوامش

(١) تشير روايات السنة المطهرة إلى تفرقة عميقة قائمة بين العرب في عصر

البعثة النبوية بين البدو والحضر . فقد أتى رجل الرسول صلوات الله عليه بطعام هدية ، فتوقفت عن تناوله أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فطمأنها الرسول بأن الرجل كان ممن يتردد على عشيرته في مكة وله نفس عادتهم . وقد أظهرت غزوة حنين ، مثلاً ، بعض الفوارق والاختلافات الحادة بين قبائل البادية وفريش . وقد ذكر ابن كثير في تفسير قوله تعالى « الأعراب أشد كفسراً ونفاقاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله » (سورة التوبة ، الآية ٩٧) حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذي رواه ابن عباس : « من سكن البادية جفا » - أخرجه أحمد وأصحاب السنن عدا ابن ماجة وقال الترمذي : حسن غريب . وتضمن تفسير ابن كثير للآية قوله : « ولما كانت الغلظة والجفاء في أهل البراري لم يبعث الله منهم رسولاً وإنما كانت البعثة من أهل القرى » وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم من أهل القرى » . ولما أهدى الأعرابي للرسول عليه الصلاة والسلام رد عليه أضعاف مديته حتى رضي ، لكنه قال صلوات الله عليه « لقد هممت ألا أقبل هدية إلا من قرشي أو ثقيف أو أنصاري أو دوسي » لأن هؤلاء كانوا يسكنون المدن فهم ألطف أخلاقاً من الأعراب . وفي حديث مسلم عن عائشة قالت : قدم أناس من الأعراب على رسول الله فقالوا : أنفيلون صبيانكم ؟ لكننا والله ما نقبل ! فقال الرسول : أو املك إن كان الله نزع منكم الرحمة ! وفي خلافة عثمان رضي الله عنه نصح بعض الصحابة أباً ذر الغفاري رضي الله عنه حين اعتزل في « الريلة » أن يتردد على المدينة حتى لا يستغفره التبذير . واتهم « جفاة البدو » مع فئات أخرى بأنهم كانوا من أدوات الفتنة التي وصلت إلى قتل الخليفة الراشد الشهيد .

(٢) هذه الكلمات والعبارات رردت في الآيات الكريمة التالية : « الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح المصباح في زجاجة الزجاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة زيتونة لا شرقية ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار نور على نور » (سورة النور ، الآية ٣٥) ، « قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبتك لجة وكشفت عن ساقها قال إنه صرح ممرد من قوارير » (سورة النمل ، الآية ٤٤) ، « في جنة عالية . لا تسمع فيها لاغية . فيها عين جارية . فيها سرر مرفوعة . وأكواب موضوعة . ونمازق مصفوفة . وزواجر مبثوثة » (سورة الغاشية ، الآيات ١٠ - ١٦) .

(٣) يقول سبحانه « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم » (سورة إبراهيم ، الآية ٤) ، « نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين . بلسان عربي مبين » (سورة الشعراء ، الآيات ١٩٣ - ١٩٥) .

(٤) صلات العرب قبل الإسلام بالحضارات المعاصرة هم حقيقة تاريخية مقررّة ، لكنها لا تبدو واضحة لدى الكثيرين . ولقد انخاض فيها جواد علي في « الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام » وبينها صالح العلي في « محاضرات عن تاريخ العرب قبل الإسلام » ، ومحمد عزة دروزة في « عصر النبي وبعثته قبل البعثة » ، وغيرهم . ولأستاذي الجليل محبّ السنين الخطيب رحمه الله كتابات مبرزة في هذا المجال توزعت في عدة مواضع .

(٥) البلاذري : فتوح البلدان - بتحقيق رضوان محمد رضوان - القاهرة ، ص ٤٣٦ ، وقارن : ابن الطقطقي : الفخري ، ابن خلدون : المقدمة .

(٦) البلاذري : المصدر السابق ، ص ٤٣٥ .

(٧) مقدمة ابن خلدون - وهي الجزء الأول من تاريخه - طبعة دار الكتاب اللبناني ومكتبة المدرسة - بيروت ، ص ١٧٢ ، ٢٠٤ . (والخبري) : المتاع .

(٨) ابنز : أخذ قهراً .

(٩) مقدمة ابن خلدون ، ص ٤٧٨ ، ٤٨٠ - ٤٨١ .

أقام العرب دولتهم في شبه الجزيرة الإسبانية زهاء ثمانية قرون ، مذ فتح طارق بن زياد إسبانيا في سنة ٧١١م ، إلى أن فقد العرب غرناطة آخر القواعد الإسلامية في سنة ١٤٩٢م . وفي هذه الحقبة الطويلة حول العرب سائر الأقاليم التي تغلبوا عليها في شبه الجزيرة ، ولا سيما قسمها الجنوبي - الأندلس - حولوها من قفار موحشة إلى حقول وحدائق غناء ، وسطعت بها حضارتهم الإسلامية الزاهرة ، التي بهرت بعلومها وفنونها جيرانهم في شبه الجزيرة من الممالك النصرانية ، كما بهرت أمم الفرنج الأوروبية ، التي كانت تغمرها يومئذ موجة من الجهالة والتأخر .



الحضارة الإسلامية الأندلسية

أيام الناصر ، ثم أيام ولده الحكم المستنصر ، ثم عصر الحجاب المنصور ، المتغلب على الدولة ، في حلة ساطعة من العظمة والبهاء ، وتضاءلت إزائها سائر ممالك إسبانيا النصرانية ، وأخذت تحط عظمها وودها ، كما انجذبت إليها أنظار سائر ممالك الفرنج ، منذ قسطنطينية في المشرق إلى سائر ممالك الغرب النصرانية ، مثل فرنسا وألمانيا ، وأخذت تبادلها العلاقات الدبلوماسية والسفارات ، وتعقد معها معاهدات المودة والصداقة .

وازدهرت العلوم والآداب والفنون في عاصمة الخلافة ، وفي حواضر الأندلس الكبرى مثل إشبيلية وسرقسطة ، وجيان .

وبلنسية ، ومرسية وغيرها . وغدت جامعات الأندلس ومعاهدها مقصد الطلاب من ممالك إسبانيا النصرانية ، ومن سائر أنحاء الممالك الأوروبية ، ولا سيما رجال الدين ، فنرى مثلاً الراهب الفرنسي جريير ، يقوم بالدراسة في الجامعات الأندلسية بقرطبة وإشبيلية ، ثم يظفر بعد ذلك بكرسي البابوية في سنة ٩٩٩م باسم سلفستر الثاني .

ونرى العلامة الإيطالي جيراردو الكريموني التوفي سنة ١١٨٧م ، يدرس العلوم العربية في معاهد طليطلة ثم يقدو بعد ذلك أستاذاً لمدرسة ترجمة كتب العلوم العربية إلى اللاتينية ، ويقوم بترجمة عدد منها ،

مثل جداول الزرقالي ، وكتاب الفرغاني في الفلك ، وقانون الطب لابن سينا وغيرها . ويقال إن ما ترجمه من كتب العلوم العربية

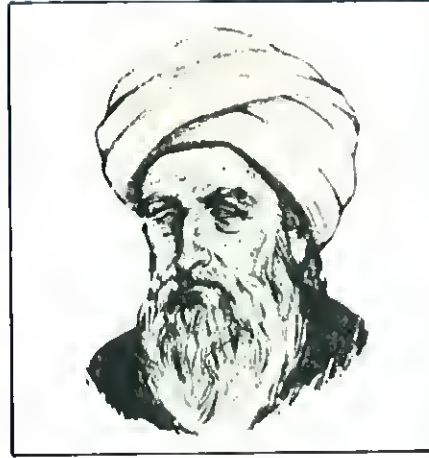
إن تاريخ إسبانيا المسلمة ، ليقدم إلينا قصة طويلة مشجية من تقلب المصائر والحظوظ ، تتناوبها صور متباينة من القوة والعظمة ، والضعف والاخلال ، والاتحاد والتفرق ، والنعماء والضراء ، ولكن يميزها دائماً ذلك الطابع الحضاري المؤثر ، الذي جعل من الأندلس المسلمة . أمة نموذجية عبقرية ، تتفوق على سائر أمم العصر بعلومها وفنونها .

تلقى العرب إسبانيا من القوط بلداً ، فرقه الخلاف والحروب الأهلية ، وغلب عليه المحل والخراب ، فلم تضح سوى حقبة صغيرة ، حتى بدأ يسوده السلام والطمأنينة والرخاء ، وبالرغم مما وقع في العصر الأول من المنازعات الأهلية بين طوائف الفاتحين أنفسهم ، فإن ذلك لم يمنع من استمرار تيار الفتح الإسلامي في الاندفاع نحو الشمال ، وعبور جبال البرنيه ، وغزو فرنسا واجتياحها حتى شواطئ نهر اللوار ، واحتلال ثغر فرنسا الجنوبية مدى حين . ولما انتهى عصر الولاة ، واستطاع عبد الرحمن الداخل الأموي أن يتغلب على الأندلس ، وأن يقيم بها أول إمارة تخضع لسلطان بني أمية ، بدأت الأندلس ، عصر السيادة القومية ، وأخذت شخصيتها تبدو في ثوبها الإسلامي العريق ، وتلثف حولها سائر القبائل والقوى ، وتتطلع إلى مزيد من القوة والمجد .

وانتهى عصر الإمارة ، وقامت الخلافة الأندلسية في سنة ٣١٦هـ (٩٢٩م) على يد عبد الرحمن الناصر ، أول خلفاء بني أمية بالأندلس ، وأعظمهم شأنًا ، وأضحت مدينة قرطبة عاصمة الأندلس ، مركز الخلافة في الغرب الإسلامي ، وبدت خلافة قرطبة منذ



★ جابر بن حيان ★



★ أبو العلاء المعري ★



★ ابن رشد ★

سير خلافتهم في القرنين العاشر والحادي عشر

يرى على ستين كتاباً .

بضم : محمد عبد الله عن

(١٠٦٤م) ، وابن حيان أعظم مؤرخي الأندلس المتوفي سنة ٤٦٩ هـ
(١٠٧٦م) ، والشاعر الكبير ابن زيدون المتوفي سنة ٤٦٣ هـ
(١٠٦٩م) وعشرات آخرين من العلماء والكتاب والشعراء ، بل لقد كان
ملوك الطوائف أنفسهم في طليعة العلماء والأدباء والشعراء مثل الأمير
العالم عمر بن الأفطس صاحب بطليموس ، والشاعرين الكبيرين ،
المعتمد بن عباد صاحب إشبيلية ، والمعتمد بن صمدح صاحب
المرقية .

عهد المرابطين

ولكن سرعان ما انكشفت هذه النهضة الفكرية والأدبية الزاهرة ،
عقب مصرع دول الطوائف واستيلاء المرابطين على الأندلس في سنة
٤٨٤ هـ (١٠٩١م) ، وكان أولئك البربر الصحراويون قوماً غلاظاً ،
يؤثرون مهارة الجندي والخشونة ، وتغلب عليهم الأفكار الرجعية العتيقة ،
فل تأخذهم مظاهر الحضارة الأندلسية المصقولة ، ولم تكن تهمزهم أصداء
الشعر والآداب الرقيقة . ومن ثم فقد طردت في ظلهم الكتب العلمية
والفلسفية ، وكتب الأصول الشرقية وفي مقدمتها كتب الغزالي ، فركدت
في ظلهم دولة التفكير والأدب ، وذوى بهاء الحضارة الأندلسية . أجل
سقطت في ظل دولتهم الفضيحة الأمد في ميدان التفكير الأندلسي جمهرة
من الشخصيات اللامعة من حفاظ وعلماء وكتاب وشعراء ، مثل أبي بكر

دولة الطوائف

ولما انهارت خلافة قرطبة ، في أواخر القرن الرابع الهجري (العاشر
الميلادي) واضمحلت النظم السياسية والاجتماعية ، وسادت الثورة
والفوضى أرجاء الأندلس ، ذوت الحضارة الأندلسية مدى حين ، حتى
قامت دول الطوائف فوق أنقاض الدولة الأموية ، واستطاعت بالرغم
من صغرها ، وتنافسها ، وتطاحنها في ميدان الحرب ، أن تعيد لحة من
بهاء الدولة الإسلامية ، وسطعت آيات الحضارة الأندلسية في قصورها
ومنشأتها ، وأبعت في ظلها دولة التفكير والأدب ، وعرفت الأندلس في
هذه الحقبة المضطربة من تاريخها طائفة من أعظم مفكرها وأدبائها
وشعرائها . مثل الفيلسوف ابن حزم المتوفي سنة ٤٥٦ هـ



★ ابن باجة ★

والبحث . وكانت قد صفدت في عهد المرابطين ، وأفرج عن كتب الغزالي وغيره من مفكري المشرق .

وفي تلك الفترة بالذات ، أعني في أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع للهجرة ، بلغ التفكير الأندلسي ذروة النضج ، وتفجرت ينباع النبوغ ، وظهرت طائفة من أعظم أقطاب العلم والأدب ، وسطعت الحضارة الأندلسية وبلغت ذروتها . وكان في طليعة أقطاب العلم في هذا العصر بنو زهر الإشبيليون ، وعميدهم الوزير والطبيب الأشهر أبو العلاء زهر بن عبد الملك بن زهر ، ثم ولده أبو مروان عبد الملك بن زهر المتوفى سنة ٥٥٧ هـ (١١٦١ م) وهو المعروف باللاتينية باسم : Avenzoar . ويعتبر ابن زهر أعظم طبيب ومشخص في العصور الوسطى بعد أبي بكر الرازي ، ويعتبره تلميذه ابن رشد . أعظم طبيب بعد جالينوس ويعتبر كتابه « التيسير » ، من أعظم مراجع الطب في العصور الوسطى . وكان لمؤلفاته ، التي ترجمت كغيرها إلى اللاتينية في عصر مبكر ، أثر عظيم في سير البحوث الطبية في أوروبا ، وخلفه في مهنته ولده الطبيب الأشهر أبو بكر ابن زهر المتوفى سنة ٥٩٥ هـ (١١٩٨ م) . وظهر إلى جانب هؤلاء العديد من أقطاب الفلاسفة مثل أبي بكر ابن طفيل الوادي أشي المتوفى سنة ٥٨١ هـ (١١٨٥ م) وهو صاحب رسالة « حي بن يقظان » الشهيرة . والإمام الفيلسوف أبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي المتوفى سنة ٥٩٤ هـ (١١٩٨ م) .

وقد كان ابن رشد بلا ريب أعظم فلاسفة الإسلام ومفكره في ذلك العصر ، وقد ولد بقرطبة سنة ٥٢٠ هـ (١١٢٦ م) . وانصل منذ فتوته بأبي يوسف يعقوب بن عبد المؤمن ، المشرف على شؤون الأندلس ، وكان الأمير مثل أبيه يجمع حوله أعلام المفكرين والعلماء . وبرع ابن رشد في الفقه والطب والفلسفة ، وتولى قضاء إشبيلية في سنة ٥٦٥ هـ . ثم ولي قضاء قرطبة ، واستمر زهاء خمسة وعشرين عاماً يتقلب في مناصب القضاء والإدارة في ظل حكومة الموحدين بالأندلس والمغرب ، وتولى أثناء ذلك ، إلى جانب أستاذه ابن طفيل منصب الطبيب الخاص للخليفة

الطرطوشي الفيلسوف السياسي المتوفى سنة ٥٢٠ هـ (١١٢٦ م) صاحب كتاب « سراج الملوك » ، وابن بسام الشنتريني صاحب « الذخيرة » المتوفى سنة ٥٤٢ هـ (١١٤٧ م) ، وابن قزمان أمير الزجل الأندلسي المتوفى سنة ٥٥٥ هـ (١١٦٠ م) والذي اقتبست الأغاني القشتالية كثيراً من مقطوعاته وأزجاله ، ومن العلماء أبو القاسم خلف بن عباس القرطبي الطبيب الأشهر المتوفى سنة ٥١٩ هـ (١١٢٢ م) ، وأبو القاسم الزهراوي القرطبي : Abul-Kasis ، المتوفى سنة ١٠١٣ م . وقد كان أعظم جراح في الإسلام ، وكان لطرائقه الجراحية أعظم تأثير على فن الجراحة في أوروبا حتى عصر الاحياء ، وابن باجة الطبيب الفيلسوف المتوفى سنة ٥٣٣ هـ (١١٣٨ م) وهو المعروف باللاتينية : Avempace .

بيد أن ظهور هؤلاء وأضرابهم في هذه الفترة لم يكن إلا أثراً من آثار النهضة الفكرية والأدبية في ظل دول الطوائف ، إذ يجب ألا ننسى أن الحركة الحضارية والفكرية ، كانت في عهد دول الطوائف ، وقبل مقدم المرابطين تجوز حركة اندفاع قوي ، وأن العلوم والآداب قد ازدهرت في ظل قصور الطوائف ورعاية ملوكها ازدهاراً يدعو إلى الإعجاب ، وإذن فقد كان من الطبيعي أن يستمر هذا الاندفاع وقتاً آخر قبل أن يجبو ، وأن تحتفظ الحركة الحضارية والفكرية بقوتها مدى حين .

دولة الموحدين

وفي ظل دولة الموحدين ، التي خلفت دولة المرابطين في حكم الأندلس ، انتعشت الحضارة الأندلسية والتفكير الأندلسي . وقد نشأ الموحدون كالمرابطين في مهاد الخشونة والتقشف ، ولكنهم كانوا أوسع أفقاً ، وأكثر قبولاً لثمار التمدن . وكان لدولتهم بالأخص صبغة علمية دينية ، إذ كان مؤسسها المهدي ابن تومرت من أئمة التفكير الديني ، وأبدى خلفاؤه عبد المؤمن بن علي وبنوه من الخلفاء اهتماماً بالعلوم والفنون ، فأطلقت حرية التفكير



★ ابن ريدون ★

أبي يعقوب يوسف ، ثم لولده الخليفة يعقوب المنصور بعد وفاته . واتهمه بعض خصومه من فقهاء الموحدين بالزندقة والخروج على شريعة الإسلام ، فأمر الخليفة المنصور بنفيه إلى مدينة اليسانة على مقربة من غرناطة ، وفرضت عليه رقابة شديدة . ثم عفا عنه ، واسترد مكانته في أواخر حياته ، واستدعي ثانية إلى مراكش عاصمة الخلافة الموحدية . وهناك توفي بعد قليل في سنة ٥٩٥ هـ (١١٩٨ م) . وأعظم آثار ابن رشد هو شروحه لفلسفة أرسطو ، في المنطق وما وراء الطبيعة . وقد ترجمت إلى اللاتينية منذ القرن الثالث عشر ، وكانت مفتاح الدراسات الأرسطوطالية في العصور الوسطى . وقد كان يغمرها الغموض والخلك قبل أن يتصدى ابن رشد لشرحها . وغدت شروح ابن رشد في الوقت نفسه أساساً لكثير من المباحث الفلسفية ، التي ازدهرت أيام حركة الأحياء الأوروبي ، بل يرى مؤرخو الفلسفة أن الفلسفة الجدلية الأوروبية استمدت من العرب والفلسفة العربية . أكثر مما استمدت من قسطنطينية التي كانت مستودعاً لتراث الفلسفة اليونانية .

وكتب ابن رشد في الطب مؤلفه «الكليات» وهو من أهم الآثار الطبية في العصور الوسطى . وقد ترجم إلى اللاتينية وغيرها من اللغات الأوروبية منذ القرن الثالث عشر . وابن رشد طائفة كثيرة أخرى من الرسائل والبحوث الفلسفية والكلامية .

الزراعة والصناعة

هذا ، وقد كانت الأمة الأندلسية من أبرع الأمم في الزراعة والصناعة ، وكانت الزراعة منذ أيام الدولة الأندلسية الكبرى من أعظم موارد الأندلس . وكانت وديان إسبانيا الخصيبة التي تتخللها عدة من الأنهار العظيمة ، وترتبتها البديعة ، وإقليمها المتقلب بين الحرارة والبرودة تفسح أعظم مجال لهذا الشعب العامل الذكي . وكان مسلمو الأندلس من أنجح الشعوب في فلاحه الأرض وتربية الماشية

وغرس الحدائق وتنظيم طرق الري ، ومعرفة أحوال الجو ، وكل ما يتعلق بفنون الزراعة وخواص النبات ، وكانت مزارعهم وحدائقهم مضرب الأمثال في الجودة والتمام .

وقد نقل العرب من المشرق وشمال إفريقيا إلى إسبانيا كثيراً من الأشجار والمحاصيل ، كالقطن والأرز ، وقصب السكر والزعفران والنخيل . وكانت بساتن الجزيرة في أيامهم رياضاً نظرة ، وكانت غياض القمح وغابات الزيتون ، وحدائق البرتقال والتوت والكروم ، من أبدع ما ترى العين في وديان الأندلس ومروجها النظرة . وأما نبوغ أهل الأندلس في تنظيم وسائل الري والصرف ، واستجلاب الماء وتوزيعه بالطرق الفنية ، فما زالت تشهد به آثارهم الباقية إلى الآن ، في وديان الأندلس من القنوات والجداول الدارسة . وقد أقيمت أيام الدولة الأموية بعض القنوات الشهيرة ، وحفرت ترع ومصارف لا حصر لها ، في مختلف أنحاء إسبانيا ، وكلها مما يشهد لصانعها بالمهارة والتفوق .

وكان لأهل الأندلس شهرة خاصة في غرس الحدائق وتنسيقها ، وقد كانت حدائق الرصافة والزهراء والزاهرة ، بدائع تشهد هم بالبراعة وحسن الذوق . وما زالت هذه البراعة حتى اليوم علماً على جمال الحدائق الأندلسية . وقد اتخذت فنون الزراعة على يد الأندلسيين طابعاً علمياً وألفت فيها الكتب القيمة . وقد انتهى إلينا من آثارهم في ذلك كتاب « الفلاحة » لابن بصال الطليطلي (القرن الحادي عشر الميلادي) وكتاب « الفلاحة » أيضاً للنميد أبي زكريا ابن العوام الإشبيلي (أواخر القرن الثاني عشر) ، ومؤلف ثالث في الفلاحة أيضاً للطغزني الغرناطي . وفي هذه الكتب كلها ما يدل على مبلغ ما وصل إليه مسلمو الأندلس من معرفة بخواص التربة ، واستخراج كنوز الأرض ، وطرق الري والصرف ، وأحوال الطقس وغيرها .

وقد كان من آثار غزوات البعوث الأندلسية المجاهدة في القرن العاشر الميلادي في جنوب فرنسا ، أن نقلت إلى هذه المنطقة بذور بعض المحاصيل والمواد الخام ، مثل القمح الأسمر ، الذي يعتبر حتى الآن من أهم المحاصيل الغذائية في جنوبي فرنسا . ومن آثارهم الصناعية عملية استخراج القطران الذي تطلّى به قاع السفن ويحميها من العطب ، فهم الذين علموه لأهل بروفانس ، وما زال عندهم من الصناعات الذائعة وما زال اسمه الفرنسي Goudron (القطران) يتم عن أصله العربي .

وأما في علم النبات فقد اشتهر من علماء الأندلس عالمان عظيمان ، هما : ابن الرومية الإشبيلي المتوفي سنة ١٣٤٠ م ، وابن البيطار المالقي المتوفي سنة ١٢٤٨ م ، وقد طاف كلاهما شمال إفريقيا وبلاد المشرق في سبيل البحث عن الأصول النباتية ، وكان لبحوثهما في علم النبات أعظم تأثير على البحوث الأوروبية في هذا الميدان .

وكذلك ضرب مسلمو الأندلس في الصناعة بأوفر سهم ، وكانت إسبانيا المسلمة أيام قوتها ، أعظم الأمم الصناعية في



★ داني ★

الأدبية . فقد أشرنا مثلاً إلى اقتباس الأغاني القشتالية من أزجال ابن قزمان . ويرى البحث الحديث أن يربط مثلاً بين ملحمة دانتي الرائعة « الكوميديا الإلهية » وبين كتاب الغفران لأبي العلاء المعري ، وبين قصة ديفوني « روبنصن كروزو » وقصص السندياد البحري ، وإن كان هذا التمثيل يرجع إلى أثار التفكير الإسلامي الشرقي ، بيد أن أعظم الآثار الأدبية الأندلسية يبدو قبل كل شيء في تكوين النزعة الشعرية في جنوبي فرنسا .

وقد ظهرت هذه الآثار واضحة في الحركة الأدبية التي نعرف « بحركة التروبادور » : Troubadour التي ظهرت في جنوبي فرنسا . وفي شمال إسبانيا وشمال إيطاليا ، منذ القرن الحادي عشر الميلادي ، وقوامها القريض الحربي والغنائي ، وزعمائها فرسان شعراء وفنانون . أضف إلى ذلك أن تأثير الحضارة الإسلامية الأندلسية في سير الحضارة الأوروبية ، لم يقف عند هذا العصر ولا عند هذه الحدود . فقد استمرت العلائق بعد ذلك طويلاً بين مسلمي الأندلس والأمم النصرانية المجاورة ، وكان للحضارة الأندلسية في تطورها العقلي والاجتماعي أعظم الآثار .

ثم إننا نستطيع أن نزيد على ذلك أن آثار هذه الحضارة قد طبعت شبه الجزيرة الإسبانية بطابعها الرائع ، وإننا نستطيع أن نلمس هذه الآثار في كثير من طبائع الشعب الإسباني وتقاليده . ولا سيما في ولايات الأندلس الجنوبية فيما وراء نهر الوادي الكبير ، في قرطبة وإشبيلية وغرناطة ومالقة . ثم نلمسها واضحة في اللغة الإسبانية ذاتها ، وهي تحتوي على المئات من الكلمات العربية المحرفة إلى الإسبانية ، ونلمحها في طراز العمارة القشتالية حيث يقول لنا الأستاذ جونتالت بلانينا إن البيت القشتالي لم يكن سوى صورة مطابقة من طراز البيت الأندلسي ، بفنائه الداخلي ، ونوافذه المطلّة على الفناء ، وشجر البرتقال والتخيل قائم في وسطه ، وأن تقاليد الأسرة القشتالية ، كانت مشابهة إلى حد كبير تقاليد الأسرة المسلمة . ونحن نكتفي بقول هذا العلامة الإسباني الكبير ، دلالة على أصالة الحضارة الأندلسية وتأثيرها البعيد في شبه الجزيرة حتى يومنا .

أوروبا . وكانت ثرواتها المعدنية من الحديد والرصاص والزنبق والذهب والفضة وغيرها ، تمدّها بأسباب التفوق في هذا الميدان . وقد اشتهرت الأندلس بنوع خاص بصناعة الأسلحة الممتازة ، تنتجها بوفرة ، وتصدرها إلى أمم أوروبا وإفريقية . وكذلك اشتهرت بصناعة الصوف الحرير والأقمشة الملونة الممتازة ، وصناعة الجلود الدقيقة التي برع فيها أهل قرطبة بنوع خاص . وطبق مسلمو الأندلس تفوقهم في الكيمياء في ميدان الصناعة ، فبرعوا في صنع الأدوية والعقاقير ، واستخراج العطور من الأزهار ، وتركيب الأصباغ المختلفة ، ولا سيما اللون الذهبي ، وغيره من الألوان الزاهية ، وكانت صناعة الحرير صناعة زاهرة ، ولا سيما في مالقة والمرية ، وكانت من أعظم موارد الأندلس .

وقد نقلت المدن الإيطالية التي اشتهرت بصناعة الحرير في العصور الوسطى ، عن الأندلسيين معظم طرائقهم وفنونهم في هذه الصناعة المربحة . وكانت مدينة فينيزا (فلورنس) تستورد كميات كبيرة من الحرير الخام من غرناطة حتى أواخر القرن الخامس عشر . ولبثت صناعة الأواني الخزفية الجميلة المزدهرة حتى العصر الأخير . وما زالت بقايا هذه الصناعة الأندلسية القديمة قائمة حتى اليوم في بعض المدن الأندلسية ، ولا سيما في إشبيلية ومالقة . وما زالت المتاحف الإسبانية تغص بكثير من الأواني الخزفية الأندلسية والموريسكية البديعة الصنع والزخرفة . واشتهرت الأندلس أيضاً بصناعة الورق ، وأنشئت لها المصانع العظيمة ولا سيما في طليطلة وشاطبة ونقلها الإسبان عن المسلمين ، ثم انتقلت إلى أوروبا عن طريق فرنسا ، وذاعت فيها منذ القرن الثالث عشر ، وكان لهذه الصناعة مكانتها في مملكة غرناطة .

التجارة

أما التجارة فقد بلغت شأواً بعيداً في الأندلس ، وذلك لحسن موقعها وكثرة ثغورها ، وتوسطها بين أوروبا وإفريقية . وانتظام صلاتها البحرية مع سائر ثغور البحر المتوسط ، وكانت علائقها التجارية تمتد حتى قسطنطينية ، ونغور الشام والإسكندرية ، وترسو سفنها التجارية في الثغور الإيطالية ، ولا سيما جنوه وروما والبندقية . وكانت ثغورها تزخر بمختلف الواردات من بلاد أوروبا وإفريقية والمشرق . وكان لتجار الأندلس سمعة عالية في حسن التعامل والأمانة والوفاء .

النهضة الأدبية

هذه صورة عابرة من الحضارة الإسلامية بالأندلس . وإذا كنا قد أشرنا إلى بعض الآثار التي خلفتها في الحضارة الأوروبية ، ولا سيما حضارة عصر الأحياء القريبة منها من الناحية الزمنية ، وإذا كانت هذه الآثار تجتمع بالأخص حول المؤثرات العلمية مثل الطب والكيمياء والفلك والنبات وغيرها ، فإن هذه المؤثرات تحتل كذلك مكانتها في النواحي

الرقعة البطيخ الأحمر

مدينة
وتاريخ



يقلم : د . عبد الرحمن حميدة

حياة المدن كحياة الأفراد من بني الإنسان ، تتقاذفها صروف الدهر بين رفع وخفض ، وسار أو سوار ،
ولكن مع فارق وحيد ، هو أن بعض المدن قد تنبعت من مرقدها في فترات متقاربة نسبياً في عمر الزمن
لتمارس أدوارها الغابرة ، في حين يقول فيلسوف المعرفة في بني آدم :

تخطئنا الأيام حتى كأننا زجاج ولكن لا يُعاد له سبك



★ قصر البسات .. وقد تم التنقيب عنه في موسم ١٩٧٨ - ٧٩ م ، على يد بعثة وطنية بإشراف رئيس ابحاث فاسم طوير ★

وكانت تنضوي تحت زعامة آراميي دمشق ، وذلك خلال القرن الحادي عشر والعاشر والتاسع قبل الميلاد . وحوالي منتصف القرن التاسع قبل الميلاد اكتسح الآشوريون الإمارات الآرامية ، وهاجم ملك آشور ناصربال بيت آدين واستولى عليها ، وفرض عليها الجزية ، ونقل ٢٤٠٠ نسمة من سكانها الآراميين إلى مدينة كالح ، إحدى عواصم الآشوريين على نهر دجلة .

الرقعة في العهد الهليني والروماني

قبل أن يختارها الرشيد كمصيف له ، كان فوق متوقع مدينة الرقة الحالية ، مدينة على قدر لا بأس به من الأهمية ، تحمل اسم ثيقفوريوم ، ينسب بعض المؤرخين تأسيسها إلى الإسكندر بن فيليب المقدوني ، في حين يعزو الآخرون بناءها إلى سلوقس الأول ، وتقع تحت أنقاض المدينة الرومانية البيزنطية . ثم دعي كالكينيقيوم ليونتوبوليس ، باسم سلوقس الثاني كالكينيقيوس ، الذي جدد المدينة القديمة في عامي

لتبادل السلع وتكديس الحاصلات والمؤن وتصديرها إلى بلاد كثيرة بواسطة الطريق المائي ، وهو الفرات ، والذي كان دائماً صالحاً للملاحة النهرية ، فاستخدمه الحثيون ونقلوا عليه سلمهم إلى بابل والخليج العربي والهند ، مثلما استخدموا الطريق البري الذي يواكب ضفة الفرات اليمنى الذي كانت تسلكه القوافل مارة بالموانئ النهرية الهامة مثل قرقيش ، أي (جربلس) الحالية ، والتي كانت عاصمة الإمبراطورية الحثية الثانية ، ومدينة إيمار ، وهي (ترابساك) البيزنطية أو (بالس) العربية التي مر بها شيخ المعرة في رحلته إلى بغداد ، أو (سكنة) الحالية ، ودورا أو روبروس ، أو الصالحية الحالية .

وكانت منطقة الرقة مركز إمارة آرامية تدعى «بيت آدين» ، وكان مقرها تل برسبب المجاور للرقعة ، وكانت إحدى الإمارات الآرامية على الفرات مثل إمارة رجبوت النهر (الرجبة = الميادين) ، وإمارة زوحي ولوقي (حلبية وزلبية) ، وكانت هذه الإمارات على اتصال وثيق فيما بينها ، وتؤلف حلفاً في وجه الدول المجاورة الطامعة ،



★ على بعد حوالي ٤٠ كيلومتراً عن الرقة تقع مدينة الرصافة الأثرية الرائعة . وقد كانت في الماضي البعيد مفتاح البادية والممر الصليبي لعصر خلفه بني أمية ★

الفرس بمدينة نصيبين وكالينيقوس وآتاكساتا .

وقد اكتسبت مدينة الرقة بعض الأهمية خلال الحروب بين البيزنطيين وبين الفرس الساسانيين مثلما نالت الرقة نصيبها من الفواجع والأحداث أثناء تلك الحروب ، لوقوعها على طريق الجيوش المتحاربة في كرها وفرها ، وفي زحفها أو انسحابها . ففي عام ٥٣١ م ، انهزم الجنرال البيزنطي بيليزير تحت أسوارها في وجه الملك الفارسي كافاد الأول الذي قضى نحبه بعد هذا النصر بقليل ، وخلفه خسرو الأول الذي حكم بين ٥٣١ و ٥٧٨ م ، والذي أمر بتوطين قبيلة مضر العربية في منطقة الرقة ، والتي دعبت ديار مضر في ذلك الحين .

ولكن الإمبراطور جوستينيان تمكن من أن يقلبها من عثرتها بعد أن طرد الفرس منها وشيد فيها أسواراً متينة بسبب توالي الحروب بين الفرس والروم ، إذ كانت تؤول إلى هؤلاء تارة وإلى أولئك تارة أخرى . واستقرت بيد الروم بعد انتصارهم الأخير على الفرس كما تنبأ بذلك القرآن الكريم مسبقاً في سورة الروم ، ولعبت الرقة دوراً هاماً في هذه

٢٤٤ - ٢٤٢ ق . م ، وهو أحد فواد الإسكندر وواحد من حلفائه . ويدعم المؤرخون السريان هذه الرواية ، ولكن مؤلف الدليل الأزرق الفرنسي يقول إن المدينة دعبت كالينيقوس تكريساً للذكرى فيلسوف البتراء الوثني الذي يحمل نفس الاسم والذي قتل فيها . ويقول ابن العبري في كتابه « مختصر الدول » : « إن بطليموس ، من ملوك الدولة اليونانية ، ملك سناً وعشرين سنة ، وفي زمانه بنيت فالينوس ، وهي مدينة الرقة » . وكانت الثقافة اليونانية تتفاعل في الرقة مع السريانية والعربية .

وفي عهد الإمبراطور جوليان كانت المدينة الرومانية تقوم شرقي باب بغداد القائم حالياً في الرقة ، وكانت حصناً منيعاً في وجه الفرس ومركزاً تجارياً هاماً . ثم أطلق الرومان عليها اسم قسطنطينو بوليس نسبة إلى الإمبراطور قسطنطين . وفي سنة ٥٠٣ م ، دافع القائد تيموستراتوس ببسالة عن المدينة في وجه الفرس . وفي عام ٥٢٩ م ، منحها الإمبراطور امتيازاً تجارياً حقق لها الكثير من الرخاء عندما قرر حصر التجارة في مدن النخوم مع



★ جانب من الترميمات الجديدة للصور القديمة - الرقة ★

أيا سرّوتني بستان زكّى سلمتم
ومن لكما أن تسلمها بضمان
وسا سرّوتي بستان زكّى سلمتم
وغال ابن أُمي نائب الحدثان

وقال الصنوبري من مقطوعة :

كم غدا نحو دير زكّى من
قلب صحيح فعاد وهو حزين
لو على الدير عجت يوماً
لأهتك فنون وأطربتك فنون
لائمي في صبابتي قدك مهلاً
لا تلمني إن الملام جنون

أما الأقوام التي استوطنت المنطقة ، منذ الألف الثالث قبل الميلاد حتى
الفتح الإسلامي ، فقد كانت شعوباً سامية يغلب عليها العنصر العربي والذي

الخروب .

وكان أهلها نصارى يعاقبة من القائلين بالطبيعة الواحدة للمسيح ، نسبة
إلى يعقوب البرادعي الحرّاني المولود عام ٥٠٠ ميلادية ، المتوفي سنة
٥٧٨ م . وكانت الرقة مقر أسقفية وكان يقوم بجوارها دير مشهور هو دير
زكّى ، شرقي باب بغداد القائم حالياً في الرقة ، وعلى مسافة ثلاثة
كيلومترات من المدينة الحالية والذي لعب دوراً هاماً لا بأس به في « أدب
الديارات » ، إذ كان يتردد عليه الشعراء كالصنوبري ، وكانت الملوك إذا
اجتازت به نزله أياماً لما اجتمع فيه من حسن العمارة وطيب الموقع وتوفر
المأكل المتقن والراحة . ومن أجلّ من نزله أيام مجده هارون الرشيد
الخليفة العباسي ، فاستطابه وبرز أهله .

قال البكري في صدد وصفه لدير زكّى بكتابه (معجم ما

وشرباً أياماً ، وخرجوا إلى مصر ، فمات أخوه بمصر ، وعاد فنزل بهذا الدير
فقال :

ووظف عليهم مع الدينار أقدرة من قبح وشيئاً من زيت وخل وعسل ، ثم إنهم فتحوا أبواب المدينة وأقاموا للمسلمين سوقاً على باب الرها .

وكتب عياض لأهل الرقة عهداً هذا نصه :

«بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عياض بن غنم أهل الرقة يوم دخلها : أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم لا تخرب ولا تُسكن ، إذا أعطوا الجزية التي عليهم ، ولم يحدث مغيلة ، ولا أن يحدثوا كنيسة ولا بيعة ، ولا يظهروا ناقوساً ولا باعوثاً ولا صليباً . وكفى بالله شهيداً . وختم عياض بخاتمه » .

وقد سجل سهيل بن عدي القائد الذي كان في جيش عياض ، فتح الرقة بهذه الأبيات :

وصادفنا الفرات غداة سرنا

إلى أهل الجزيرة بالعوالي

أخذنا الرقة البيضاء لما

رأينا الشهر لَوَح بالهلال

وأزعجت الجزيرة بعد خفض

وقد كانت تخوف بالزوال

وصار الخرج ضاحية إلينا

بأكناف الجزيرة عن تقال

وكان مجيء عياض إلى الرقة في جيشه عن طريق بالس ، أي من الغرب ، فنزل عياض على بالس ، وكان القائد خالد بن الوليد قد فتحها صلحاً بعد فتحه لـ قنسرين ، جنوب حلب . فأقام عياض على بالس وسرح سهل بن عدي كطليعة إلى الرقة . فنزل على حصارها وكان عليها بطريق اسمه يوحنا ، كان من قبل صاحب رأس العين وكان قد استعد

زحف على شكل موجات متعاقبة من الجزيرة العربية ، كانت أبرزها مضر قبل الفتح الإسلامي كما أسلفنا ، ثم تلتها تغلب ، وآخرها عزة وهمر قبل قرن ونصف من الزمن .

الفتح العربي الإسلامي

فتح العرب المسلمون الرقة في عام ١٧ هـ ، أو ٦٣٨ م ، أي بعد انتقال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، إلى الرفيق الأعلى بستة أعوام ، في خلافة أبي بكر ، كما يذكر الطبري في «تاريخ الرسل والملوك» ووافقه على ذلك ياقوت الحموي في «معجم البلدان» ، في حين يرى الواقدي صاحب «فتوح الشام» والبلاذري مؤلف «فتوح البلدان» أن فتحها كان عام ١٨ للهجرة ، على يد القائد عياض بن غنم .

ويروي البلاذري أن الرقة كانت مدينة مسورة لها عدة أبواب ، منها باب شمالي اسمه باب الرها . ويقول الواقدي : «سار عياض إلى الجزيرة سنة ١٨ هـ ، وانتهت طليعته إلى الرقة ، فأغاروا على حاضر كان حوفاً للعرب ، وعلى قوم من الفلاحين ، فأصابوا مغناً ، وهرب من محبا من أولئك فدخلوا مدينة الرقة . وأقبل عياض في عسكره حتى نزل باب الرها في تعبته ، فرمى المسلمين حتى جرح بعضهم ، ثم إنه تأخر تأخر عنهم لئلا يبلغهم حجارتهم وسهامهم ، وركب قطاف حول المدينة ، ووضع على أبوابها روابط ، وبث السرايا فجعلوا يأتون بالأسرى من القرى والأطعمة الكثيرة . وكانت الزروع مستحقة . فلما مضت خمسة أيام وهم على ذلك ، أرسل بطريق المدينة إلى عياض يطلب الأمان . فصالحه عياض على أن يأمن جميع أهلها على أنفسهم وذرائعهم وأموالهم ومدينتهم . وقال عياض : «الأرض لنا قد وطئناها وأحرزناها» . فأقرها في أيديهم على الخراج . ووضع الجزيرة على رقابهم ، فالزم كل رجل منهم ديناراً في كل سنة وأخرج النساء والصبيان ،

★ مثال من الزخارف الجصية التي وجدت في حفريات الرقة ★



ويذكر المقدسي في كتابه «أحسن التقاسيم» جامعها في علة
الجزائر ويقول إنه كان فيه شجرتا عنب وشجرتا توت .
وكانت الرقة ، منذ أن فتحها العرب ، مؤلفة من عدة
«رقات» متقاربة ، هي الرقة البيضاء ، وهي أكبرها والمقصودة
في بحثنا ، والرقة السوداء على مسافة فرسخ واحد منها إلى
الشرق ، وتسمى الرقة المحترقة ، والرقة المعوجة وتقوم فوق
موقعها اليوم قرية رقة سمرا على ضفة الفرات الشرقية .
وقد ذكر الشاعر الأموي عبد الله بن قيس الرقيات الذي كان
ينزل الرقة في سنة ٥٧٠ هـ ، الرقتين في بيت من قصيدة يمدح بها عبد الله بن
جعفر بن أبي طالب في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان :

ذكرتك إن فاض الفرات بأرضنا

وجاش بأعلى الرقتين بحارها

وانحازت الرقة إلى جانب الوالي معاوية بن أبي سفيان في النزاع الذي
نشب بينه وبين الخليفة علي بن أبي طالب وكان أميرها سماك بن مخزومة
الأسدي في طاعة معاوية ، فسار إليه علي بن أبي طالب بجيشه بعد انتصاره
في موقعة الجمل وكاد أن يبطش بها لما حال أميرها بينه وبين عبور
الفرات ، فتجاوزها ، ولكن مدير شرطته الأشتر النخعي هدها ، فوافق
أهلها أخيراً على عبور الجيش إلى أن التقى بمعاوية وجيشه في صفين ، واستمر
القتال مائة عشرة أيام ، وكانت أعظم الوقعات ليلة الهرب في ٢٨ تموز (يوليو)
سنة ٦٥٧ م ، التي حل فيها الأشتر النخعي فزعزع جيوش الشام عن
مراكزها . وكانت الفتتان قد سئمت القتال وكرهه الكثيرون من المسلمين ،
ونزل علي بن أبي طالب مكروهاً على قبول التحكيم الذي كان نصراً حاسماً
لمعاوية واعترافاً به .

الرقة في العصر الأموي

عني الأمويون بالرقة واتصل تاريخهم بها طيلة مدة عهدهم في الشرق بين
عام ٤١ و ١٣٢ هـ . فقد كانت محطتهم إلى أرمينية التي فتحها حبيب بن
مسلمة بأمر من الخليفة عثمان ، كما كان لمعاوية نفسه خلال ولايته على
الشام في عهد الخليفين عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان غزوات في بلاد
الروم ، فبلغ عمورية وأسكن الحصون التي في طريقه جماعات من أهل الشام
والجزيرة .

وهكذا عاشت الرقة في كنف الدولة الإسلامية الأولى عامرة
مزدهرة بفضل موقعها الجغرافي الممتاز ومركزها التجاري
وحاصلاتها الزراعية المتنوعة ، فكانت تموز الجيوش وتمتد المناطق
الأخرى بخيرات الوفيرة . وكانت تشرف على القبائل العربية في الجزيرة الفراتية
والتي كانت مركزاً من مراكز الخوارج منذ تاريخ خروجهم على الإمام علي في
(صفين) . فكانت تشرف على الجزيرة الفراتية كلها التي كانت درعاً للشام
وقاعدة لانطلاق الجيوش إلى الشمال والشرق .

وقد اهتم الأمويون بها حتى أن الكثير من أمراءهم كانوا ينزلون فيها ،
وكان لبعضهم قصور في ضواحيها ، ومزارع على البليخ وفي نواحي أخرى ،
فكانت عامرة في عهدهم ، ونزلها بعض الصحابة وبعض التابعين والكثير
من المحدثين مثل وابصة بن معبد الأسدي ، ويزيد بن الأدهم ،



★ «فارس الرقة» - قتال خزي مطل بالذهب ، وقد عثر عليه داخل السور ★

للحرب وعباً آلة القتال . وقد اتخذ عياض من الرقة قاعدة لفشوحاته في
الجزيرة الفراتية ، إذ فتح الرها ورأس العين على صلح واحد . وكانت الرقة
عند فتحها على أيدي المسلمين العرب ذات أسوار وعدة أبواب وكانت كثيرة
الغلات ولها سوق هامة . ولم يؤذها الفاتحون ، بل أبقوا أراضيها في أيدي
أهلها ورثبو عليها تكاليف الأمن من خراج وجزية ، واستأنفت الرقة حياتها
الاعتيادية وهي تنعم بعدالة حكم العرب ومن نعمة الاستقرار فضلاً عن
خصوصية أرضها ووفرة مياهها وموقعها الجغرافي الممتاز ، مما منحها أهمية تجارية
فريدة .

وبعد وفاة عياض بن غنم ، فاتح الرقة ووالي الجزيرة ، ولّى عمر بن
الخطاب سعيد بن عامر بن خديم سنة ٢٠ هـ ، فبنى فيها مسجداً من
الاجر استعمل في بنائه أنقاض الرخام القديم في المدينة العتيقة التي كانت
شرقي الرافقة والتي ضاعت معالمها قبل ربع قرن ، وهي الرقة البيضاء
المذكورة في الكتب التاريخية والجغرافية القديمة .

وسالم بن وابصة ، وميمون بن مهران أبو أيوب ، وجعفر بن برقان . فكانت حركة الحديث ناشطة في الرقة ، فنزلها الكثير من الفقهاء والعلماء والأدباء ، وأخذ الطابع العربي يغلب عليها لكثرة من نزل فيها من العرب في ذلك العهد ، هذا بالإضافة إلى من كان فيها من العرب في ضواحيها وبيواديها .

وتوسعت الرقة وأرسلت إليها المياه في عهد هشام بن عبد الملك المتوفى سنة ١٢٥ هـ ، أو ٧٤١ م ، من قناتين سمّينا « الهني والمرى » ، تستمدان الماء من الفرات . وقد بنى الخليفة هشام مقابلها على الضفة الشامية قصرين سرعان ما قامت حولهما المنشآت العديدة ، فتحول المكان إلى ضاحية جميلة دعت « واسط الرقة » . وكان ينزل بها هشام في طريق سفره إلى « الرصافة » حيث كان يقيم أكثر وقته .

وقد أنشأ هشام جسراً بين تلك الضاحية والرقة ، مؤلفاً - على الأرجح - من زوارق مثبتة بألواح خشبية ، ولكن يبدو أنه لم يدم طويلاً ، إذ لم يرد له ذكر في مؤلفات الرحالة ، وإنما ذكره المستشرق هونيغمان نقلاً عن ميخائيل السوري أو ديونيسوس تل محرس ، وكان يرتكز على عضادات حجرية لا يزال يظهر بعضها في موسم الصيف ، أي موسم شح المياه في شهر أيلول (سبتمبر) ، يعتقد البحّارة أنها من بقايا ذلك الجسر . وقد سجّل الشاعر الأموي جرير عناية هشام بالري وبالمشاريع الزراعية بعدة قصائد ، يمدح بها هشاماً وهو مقيم في الرصافة ، جاء في إحداها :

شقت من الفرات مباركات

جواني قد بلغن كما تريد

بها الزيتون في غلل ومالت

عناقيد الكروم فهن سود

فتمت في الهني جنان دنيا

فقال الحاسدون هي الخلود

يعضون الأنامل إن راوها

بساتيناً يؤازرها الحصيد

ومن أزواج فاكهة وتخل

يكون بحمله طلع نضيد

وفي آخر العصر الأموي مثنى على الرقة الضحّاك بن قيس الشيباني الخارجي الصفري الذي غلب على العراق وسار للقاء مروان بن محمد في جيوش عظيمة ومعه سليمان بن هشام بن عبد الملك في جمع مواليه ورجاله سنة ١٢٨ هـ ، فأرسل مروان بن محمد عسكرياً تحاربه ، فانكسر الخوارج وقتل الضحّاك .

ولما لحقت الهزيمة بمروان بن محمد ، آخر خلفاء بني أمية في الشرق ، أقام عبد الله بن علي ، القائد العباسي بالرقة ، وأنفذ أخاه عبد الصمد في طلب مروان الذي سار إلى دمشق ومنها إلى البصرة ، وفيها قبض عليه وقطع رأسه وأرسل إلى عبد الله بن علي في الرقة ، فأرسله هذا بدوره إلى أبي العباس السفّاح في العراق أول الخلفاء العباسيين ، وعندما ألقي أمامه تمثال بهذا البيت :

لو يثربون دمي لم يرو شاربهم

ولا دماؤهم للغيط ترؤبني



الرقعة في العهد العباسي

نستشف مما سبق أهمية الرقعة ومنطقتها في العهد الأموي من الناحية الاقتصادية ومن الناحية الاستراتيجية باعتبارها قاعدة لانطلاق الجيوش بأنحاء أرمينية وبلاد الروم ، مما لفت إليها انتباه الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور ، فأمر أن تبنى فيها سنة ١٥٥ هـ (٧٧٢م) مدينة جديدة دعاها «الرافقة» . وقد أراد أن تكون ذات غمط مستدير كمخطط بغداد ، ولكنها أتت على شكل حدوة الحصان بسبب مرور نهر الفرات إلى الجنوب منها .

وكان اهتمام الخليفة بمشروعه العمراني هذا عظيماً حتى أنه أرسل ولي عهده محمد المهدي كي يشرف بنفسه على أعمال البناء ، وكان الخليفة العباسي يرمي من وراء ذلك استغلال موقعها الجغرافي والاقتصادي ، لتحويلها إلى مركز عسكري للجيش الصائفة ، فنشرف بذلك على الجزيرة الفراتية وعلى الثغور الشبالية ويصد غارات الروم البيزنطيين ، ولا يستبعد أن الخليفة كان يرغب في إبعاد الجيش الحُرَاساني عن بغداد خشية الشغب والقتال بين فرق الجيش ولا سيما بعد اغتيال أبي مسلم الحُرَاساني .

وهكذا بنيت الرقعة على نمط بغداد في التخطيط ، وفي استعمال مادة البناء نفسها وهي الطابوق ، وقامت إلى جانب الرقعة البيزنطية - الأموية على مسافة ٣٠٠ ذراع إلى الشمال الغربي . فشيدت أسوارها من الطابوق على هيئة أسوار بغداد ، أي تتألف من سور مضاعف داخلي وخارجي بينهما فصيل ، وحفر حول السور الخارجي خندق ، وكان عرض السور الخارجي يبلغ ٤,٥ أمتار ، وكان أساس السور من الحجر الكلسي . وشابهت بغداد في بيوتها وأبوابها ، وجعل للمدينة بابين ، الأول في الزاوية الجنوبية الشرقية ، لا يزال قائماً حتى اليوم ويسمى باب بغداد ، وكان البابان من الطابوق . وكان يقرم إلى جانب كل منهما برج مستدير نصف قطره ٧,٨ أمتار . ولا يزال برج الباب الأول ماثلاً ، في حين اندثر برج الباب الثاني ، وهو باب الجنان ، بسبب اعتماد سكان الرقعة حتى فترة ما بين الحربين العالميتين على أطلال الرقعة في استخراج الطابوق اللازم لبناء بيوتهم ، وقد رآه الأستاذ الأثري هرتزفيلد سنة ١٩٠٨ م ، وكان لها باب ثالث في الجهة الشمالية يسمى باب أورفة .

ويذكر الرحالة ابن حوقل ، في معرض كلامه عن المهدي في تونس : «ولها بابان ليس لها فيما رأيته من الأرض شبيه ولا نظير إلا البابين اللذين على سور الرافقة وعلى مثاليهما عملاً» . وقد بني المسجد في وسط المدينة وقامت حوله الأسواق التجارية . وقد ذكر المقدسي من هذه الأسواق سوق الصاغة ، كما ذكر الاصطخري عن المسجد أنه جامع كبير ، تُقام فيه صلاة الجمعة . ويذكر ياقوت الحموي أن المنطقة كانت تروى من ماء نهر البليخ .

هرون الرشيد والعصر الذهبي للرقعة

هذا ويسهب الجغرافيون والمؤرخون العرب ، ولا سيما الاصطخري ، في حديثهم عن وفرة المياه وكثرة المزارع والرخاء الاقتصادي الذي كانت تنعم به المنطقة ، بعد أن استصلحت الأراضي حول الرافقة وتحولت إلى حدائق

وبساتين تروى بواسطة جداول المياه المشتقة من البليخ والفرات بأن واحد ، كما يتكلمون عن توسع الرافقة خارج السور ، لأن الخليفة هرون الرشيد بنى قصراً كبيراً دعاها قصر السلام وأسماء الناس القصر الأبيض .

وسار على غراره الأمراء والوزراء ومن أتى بعده من الخلفاء ، ببناء القصور حتى بلغ اتساع الرقعة مساحة تبلغ قطرها عشرة كيلومترات . وقد أطلق ياقوت الحموي اسم الرقعة الوسطى على الرقعة الكبيرة العامرة بين الرقتين القديمتين والرافقة ، مثلما دعاها العالم الأثري الفرنسي دونان ، «مدينة الرشيد» ، وهو أول من قام بأعمال التنقيب فيها . وقد تكلم ياقوت أيضاً عن إنشاء الرض بين الرقعة القديمة والرافقة ، وهو ضاحية فيها السوق الكبير لبيع الرقيق والمحاصيل المتنوعة والماشية .

وقد أنشد الشعراء في قاعات قصر السلام وأبياته أجمل الشعر وأجزله وأسنى المدائح في العاهل العربي العظيم الرشيد . قال أحمد بن يسار الجرجاني الشاعر : دخلنا يوماً على الرشيد بالرقعة ، وقد فرغ من قصره الأبيض ، أنا والتميمي وابن رزيق وأشجع السلمي ، فأنشده التيمي قصيدة يذكر فيها نقفور ووقعته ببلاد الروم فكان كأنه ينثر به درراً ، ثم أنشد أشجع :

قصر عليه تحية وسلام

نشرت عليه جالها الأيام

فيه اجتلى الدنيا الخليفة والتقت

للملك فيه سلامة ودوام

قصر سقوف المزن دون سقوفه

فيه لأعلام الهدى أعلام

نشرت عليه الأرض كسوتها التي

نسج الربيع وزخرف الأوهام

وكان الرشيد متكئاً فاستوى جالساً ، ودنوت منه فأنشدته بعد أشجع :

زمن بأعلى الرقتين قصير

لم يشه للحادثات غرير

لا تبعد الأيام إذ زمن الصبا

غض وإذا غض الشباب نضير

فأعجب بشعري وقال : قل للمغنين يعملوا الحاناً في غزل هذه القصيدة ، وخرجت لنا صلة فاقسمناها .

وأوعز لبعض رجال دولته أن يبنوا قصورهم بجانب قصره فبنوا . وأمر بإنشاء كل ما يلزم فيها من وسائل الراحة والترف كميايين سباق الخيل وملاعب الصولجان وموانئ السفن والخراقات والحدائق المزدهرة على ضفتي الفرات ، فأصبحت من المدن الجميلة .

وقال أبو الفرج الحلطي بتاريخ «الدول السريانية» في سنة ٧٩٠ م ، «ارتحل هرون الرشيد من بغداد إلى الرقعة يريد الإقامة فيها ، فزاد في عبارتها وغرس في ضواحيها جنان كثيرة وجلب لها نهراً من الفرات ونهراً ثانياً من سروج ، وقد اشترى مياه فرى سروج من أصحابها ، واحتفر لها نهراً جديداً» .

وكان الرشيد يستعذب هواء الرقعة في الصيف ، فكان يحب الاستراحة فيها في طريقه إلى غزوة أو حجة . وكان يحب الرشيد



★ باب بغداد ★

للشعراء بالإشهاد بين يديه ، وكان المهدف البعيد من إنشاء المدائح في المواسم
هو الدعاية السياسية للخليفة ، فدخلوا عليه وفيهم أشجع السلمي
فأنشد :

لا زلت تنشر أعياداً وتطويها
تمضي لها بك أيام وقضيها
ولا تقضت بك الدنيا ولا برحت
يطوي بك الدهر أياماً وتطويها
ليهنك الفتح والأيام مقبلة
إليك بالنصر معقوداً نواصيها
أمت هرقلة تهوي من جوانبها
وناصر الله والإسلام يرميها
ملكها وقتلت الناكثين بها
بنصر من يملك الدنيا وما فيها

في بدايته لأغراض عسكرية وسياسية ودينية وقومية ، وكان
يربح فيها جيشه ويمونه منها . ومن الرقة كان يراقب الجزيرة ، إحدى
قواعد الخوارج مذ خرجوا على علي بن أبي طالب ، وكان الرشيد يحنّاهم ،
حتى لقد هدد أحدهم وهو الوليد بن طريف ملكه . وجاء بطش
الرشيد بالبرامكة عاملاً آخر في إشاره الإقامة في الرقة نهائياً ، لولا أن
اضطرته حركة رافع بن الليث بخراسان للخروج إليه لقمعها وموته
هناك .

وغزا الرشيد الروم الذين نقضوا العهد لتأديبهم ، بعد أن قطع نقفور
الجزية ، وطالبه برد ما سبق أن استلمه من أموال من الملكة السابقة ، وكتب
إليه الرشيد عبارة هي أشبه بالبرقيات في أيامنا ، جمعت فأوعت « الجواب ما
تراه دون ما تسمعه » وذلك سنة ١٩٠ هـ (٨٠٦ م) ، وعاد مكللاً بغار
النصر ودخل الرقة باحتفال مهيب يوم العيد بعد أن جعلها عاصمة مملكته
المترامية الأطراف .

ولأول مرة بعد زمن طويل يجلس الرشيد بقصره مجلساً عاماً ويسمح

ما روعي الدين والدنيا على قدم

بمثل هرون راعيه وراعيها

فأمر له بعشرة آلاف دينار وقال : لا ينشدني أحد بعده . فقال اشجع : « والله لأمره ألا ينشدوا أحب من بعده أحب إلي من صلته » .
 ويزيد ورود البشائر من نشوة انتصاراته في بلاد الروم . ففد وصلته
 اختيار سارة بعد أن غزا قائده حميد بن معيوف أمير سواحل الشام
 ومصر بأساطيله جزيرة قبرص واستردها من الروم بعد حصار طويل
 وقتال ، وسبى من أهلها سنة عشر ألف رجل من بينهم أسقف الجزيرة
 نفسه ، واستاقهم إلى الرقة ، فتولى بيعهم في سوقها أبو البخري القاضي
 فاستقبل الرشيد هذه الأنباء بوجه طافح بالبشر ، ودعا ابن معيوف إليه
 وفريه منه ، ثم أمره بالعودة مرة أخرى إلى قبرص وعارية أهلها الذين نكثوا
 العهد وقتلوا الحامية ، فعاد وأرجعهم إلى طاعته ، وسبى خلقاً كبيراً
 منهم .

★ ★ ★

وبعد أيام الرشيد الزاهرة مرت على الرقة أحداث مؤلمة مثل حركة نصر
 ابن شيبث الذي قام بها ضد المأمون ، فاحترق روضها وبعض أبنيتها . وكان
 المأمون أمر طاهر بن الحسين سنة ٢٠١ هـ ، ببناء جدار الرقة والرافقة كيلا
 يقتتل الفرس وعرب الشام الذين كانوا يسكنونها .
 وبعد أن كانت الرقة مصيفاً لخلفاء بني العباس أصبحت ، فيما بعد ،
 ملجأ لهم بعد أن فقدوا كل سلطة فعلية وتحولوا إلى دمي بأبدي أسراء الجيش
 من مختلف الأنوام التي اشتملت عليها بلاد الخلافة .
 ففي عهد المتقي الذي حكم بين عام ٣٢٩ و ٣٣٣ هـ ، بلغت الخلافة

العباسية الحضيض . فقد كان يحكم أمير الأمراء في بغداد والتدبير كله بيد
 وزيره أبي عبد الله الكوفي ، وكان أبو بكر محمد بن رائق إلى جانب
 الخليفة المتقي يذود عنه الديلم وغيرهم ، فخلع عليه المتقي وسماه أمير
 الأمراء .

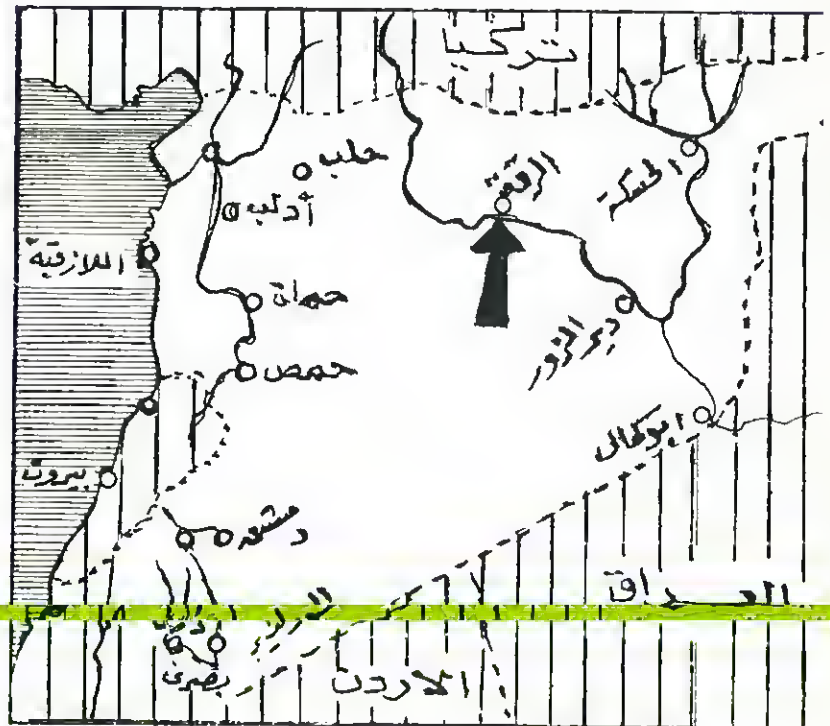
وكانت ديار مصر ، أي منطقة الرقة ، في حكم ابن رائق الذي كانت
 له الشام ، ثم اتفق مع محمد بن طغج الأخشيدي صاحب مصر بعد حروب
 على أن تكون له حصص وحلب .

وعلى أثر استيلاء البريدي على بغداد هرب المتقي وابن رائق إلى الموصل
 التي كانت بيد ناصر الدولة الحمداني الذي قتل ابن رائق بين يدي المتقي
 سنة ٣٣٠ هـ ، ليحل محله في إمرة الأمراء . وسمى المتقي ناصر الدولة أمير
 الأمراء ، وكان معه أخوه فلقبه سيف الدولة وسار المتقي مع بني حمدان
 ودخلوا بغداد وهرب منها البريدي إلى واسط .

ثم عاد ناصر الدولة إلى الموصل تاركاً إمارة الأمراء ، فاختار المتقي القائد
 الدلمي توزون مكانه ، وكان جلفاً غليظ القلب فخافه المتقي ، فارتحل إلى
 الموصل في نسائه وعبيده وتبعه توزون ، فرحل الخليفة إلى نصيبين ثم إلى
 الرقة ، وكانت من أملاك ناصر الدولة بتولاها مع حلب وديار مصر والعواصم
 نيابة عنه أبو بكر محمد بن مقاتل .

وفي محرم عام ١٣٣ هـ ، اجتمع الأخشيدي محمد بن طغج ، صاحب الشام
 ومصر ، بالمتقي على ضفة الفرات في مواجهة الرقة ، فأشار عليه الأخشيدي
 بالسير معه إلى الشام ومصر ليكون بين يديه فلم يجبه ، فأشار عليه بالمقام مكانه
 بالرقة خشية عليه من توزون إذا هوسار إلى بغداد ، وضمن له إن أنام في
 الرقة أن يحده بالأموال فلم يقبل . ولما ضاق الحمدانيون ذرعاً بالخليفة ،
 اضطر هذا لمراسلة توزون أمير الأتراك في بغداد في الصلح ، فأظهر الرغبة

★ الرقة على الخارطة ★





★ الرقة الحديثة . . شوارع مستقيمة وأبنية من الإسمنت المسلح ★

★ جسر الرقة الحديث فوق نهر الفرات في فصل الشتاء ★



وحلف للمثقي وأشهد على حلفه كتابة .

فانحدر المثقي من الرقة في الفرات إلى بغداد لأربع بقين من المحرم عام ٣٣٣ هـ ، ووصل السندية على نهر عيسى قرب بغداد ، وخرج إليه توزون يستقبله في الظاهر ، وغدر به وقبض عليه وخلعه من الخلافة ثم سمل عينيه ، فلما صاح المثقي وصاح من عنده من الخرم والخدم أمر توزون بقرع الطبول لئلا يسمع أحد صراخهم وعويلهم .

الرقة في مسيرة الاخطاط

عانت الرقة الكثير من حكم الحمدانيين . فقد رأى سيف الدولة فيها ازدهار العمران ونشاط الصناعة والتجارة والزراعة ووفرة الخيرات ، فحسد أهلها على ما في أيديهم ، وأرهقها بالضرائب لتسديد نفقات حروبه وبلاطه ولتمنح الأموال الطائلة لمادحيه من الشعراء . ولم يقتنع سيف الدولة بفرض الضرائب الثقيلة على أهل الرقة واستصفاء أموالهم ، بل عمد إلى نزع أبواب الرقة الحديدية الجميلة وأرسلها إلى حلفائه القرامطة في هجر عام ٩٦١ م ، كما قال مسكويه المؤرخ . وكان سيف الدولة يتردد على الرقة من حين لآخر .

واضطرب الأمر في الرقة بعد موت سيف الدولة ، إذ استبد بها

بكجور ، غلامه ، وانجاز للفاطميين ، ولكن سعد الدولة سار إليه عند (بالس) وضرب عنقه وصلبه ، وتقدم إلى الرقة وفيها أولاد بكجور وحرمة وأمواله ، فاستولى على أمواله وعاد إلى حلب ، فأصابه الفالج في طريقه ، ومات في الرابع من رمضان ٣٨١ هـ ، وحمل في تابوت إلى الرقة ودفن في المشهد بظاهرها ، وهو مشهد ويس القراني .

وفي عام ٣٧٢ هـ ، آلت الرقة إلى شبيب بن وثاب الخيري حليف المراديين ، وفي عام ٤٧٧ هـ ، استولى شرف الدولة أبو المكارم مسلم ابن قرواش أحد أمراء الدولة العقيلية على الرقة . ولكن بنو نمير استولوا على الرقة وقتلوا علي بن سالم العقيلي ، وراحت النكبات تتوالى عليها وعلى أحوالها من مدن الفرات بسبب اضطراب الأحوال السياسية .

وفي سنة ٥٢٢ هـ ، آلت الرقة إلى أتايك عماد الدين زنكي ، وفي سنة ٥٣٩ هـ ، راح الصليبيون الفرنجة الذين استولوا على الرها يقومون بغارات على الجزيرة الفراتية والرقة . وانتعشت الرقة نوعاً ما واستردت بعض ازدهارها التليد في عهد نور الدين زنكي ، وبني فيها سنة ١١٦٦ م ، جامعاً ومنازة مستديرة لا تزال قائمة حتى الآن داخل سور البرقة ، ولا يزال جدار من جدران الجامع قائماً .

ولما سقطت بغداد بأيدي المغول عام ١٢٥٨ م ، وهو العام ذاته الذي سقطت فيه قرطبة بأيدي الإسبان ، تدهورت أحوال الرقة وشلّ الرعب أهلها وراح القادرون منهم يغادرونها إلى الشام ومصر . وبعد عام واحد استولى التتار على حران ثم كسبوا الرقة وقتلوا أهلها ودمروها .

وفي عهد المماليك كانت الرقة خراباً يباباً ، فلم يرد لها ذكر في حوادث عصرهم . وقال المؤرخ أبو الفداء ملك حماة سنة ٧٣١ هـ = ١٣٢١ م ، في كتابه «تقويم البلدان» : «والرقة في زماننا خراب وليس بها أنيس» .

ولم تعد الحياة إلى الرقة إلا في مطلع القرن الفائت ، ولكن بصورة بطيئة ، إلى أن أخذت شرايين الحياة تدب في أوصالها بدرجة أكبر بعد الحرب العالمية الثانية ، وعلى الأخص بعد إنجاز مشروع سد الفرات قبل بضعة أعوام وهاجر إليها الكثير من أبناء منطقة حلب ، وراحت تتوسع حسب مخطط عمراني حديث شطر نجني دون أن تتمكن الخدمات من مجاراة سرعة حركة البناء فيها ، مما دعا أديبها الكبير الدكتور عبيد السلام عجيلي إلى القول : «إن كل ما في الرقة زفت إلا شوارعها» مع كل ما في العبارة من دعاية وسخرية مواطن غيور .

دور الرقة الثقافي والعلمي

كان للخليفة هرون الرشيد مجالس كثيرة يعقدها في المناسبات في (قصر السلام) ، أو (القصر الأبيض) ، عندما كان يقيم في الرقة . وكانت له مجالسه الخاصة التي كانت تعقد في أوقات فراغه ، منها المجالس العلمية ويحضرها الفقهاء والعلماء ، والأدبية ويحتمس فيها رواة الأدب والشعر والأخبار ، وأكثر ما تكون مجتمعة يؤمها الفقيه واللغوي والنسابة والرواية والأديب . وكان يعني بمجالسه هذه ويختار المتفوقين ، فأراد يوماً أن يضم إليه شيخاً من شيوخ الأدب واللغة البصريين فجاء له بالأصمعي وأبي عبيدة ، فاختار الأول بعد مقابلة ومحادثة هي أشبه بالاختبار . ومن بين المجالس الخاصة المجلس الطبي ، ويحتمس أعضاؤه عندما

يكون الرشيد متوكل الصحة أو بسبب مرض أحد أفراد أسرته وخاصته . وكان طبيبه جيريل بن بختيشوع يصحبه في حله وترحاله ويسهر على صحته ، وكان يقصد الرقة ويقيم معه .

وكان من شعرائه (أبو العتاهية ، ومروان بن أبي حفصة ، وأبو نواس) وهم أمراء الشعر في عصرهم ، ومن مطربيه إبراهيم الموصلي وابنه إسحق وضاربه زلزل وزامره برصوم ومضحكه ومؤنسه ابن أبي مريم المدني .

وجاء أبو تمام إلى الرقة والخليفة المتصم فيها ، وكان السطائي من أكثر الناس عبثاً ومزاحاً ، وذهب أبو تمام إلى العراق من الرقة ، منحدرراً في نهر الفرات حتى بلغ بغداد ليمدح خلفاء بني العباس .

أما على الصعيد العلمي ، فقد كان البتاني أكثر من عاش فيها شهرة ، وهو محمد بن جابر بن سنان أبو عبد الله الحراني المعروف بالبتاني ، نبة إلى قرية بتان التي ولد فيها حوالي العام ٢٣٥ هـ ، بجوار مدينة حران . وقد هوى الرصد وأنفق فيه أموالاً كثيرة وأمضى حياته في مدينتي الرقة وانطاكية . وبدأ تجاربه في مرصد الرقة سنة ٢٦٤ هـ ، وأقام على عمله مدة ٤٢ سنة .

وقد كانت له اكتشافات عديدة في الفلك والرياضيات . وقد أثبت أسماء الكواكب الثابتة في زيجه لسنة ٢٩٩ هـ ، وتوفي سنة ٣١٧ هـ . وقال عنه ابن العربي في تاريخه «مختصر الدول» : «هو أحد المشهورين برصد الكواكب ولا يعلم أحد في الإسلام مبلغ علمه» ، وترجم زيجه إلى اللاتينية وطبع سنة ١٥٣٧ م ، وأعيدت طبعته في روما سنة ١٧٩٩ م .

وقال عنه طوقان في كتابه «الخالدون العرب» ، المطبوع في بيروت سنة ١٩٥٤ م : «البتاني من عباقرة العالم الذين وضعوا نظريات هامة وأضافوا بحثاً هامة مبتكرة في الفلك والجبر وعلم المثلثات ، ونظرة إلى مؤلفاته والأزياج التي صنعها تبين خصب قريحته وترسم صورة عن عقليته الجبارة» ، فكان من أبرز علماء القرن العاشر الميلادي الذين أسدوا أجل الخدمات إلى العلوم ، على الرغم من عدم وجود آلات دقيقة كالتي نستعملها الآن ، فقد تمكن من إجراء أرصاد لا تزال على دهشة العلماء ومحط إعجابهم . وعده كاجوري من أقدر علماء الرصد ، وقال عنه سارطون : «إنه من أعظم علماء عصره وأبلغ علماء العرب في الفلك والرياضيات» . وقال عنه لالاند العام الفرنسي : «إنه من العشرين فلكياً المشهورين في العالم كله» .

معالم الرقة الأثرية

لقد عانت آثار الرقة الكثير من الإهمال والتخريب ، ولا سيما بسبب تنقيب هواة جمع الآثار ، واعتماد سكان الرقة حتى عهد قريب منا على أطلالها في استخراج الطابوق المشوي لبناء منازلهم وأسواقهم .

وإذا كانت الرقة إحدى مدن بلاد الشام من حيث موقعها الجغرافي ، فهي تنتسب على الصعيد الفني إلى المدرسة العراقية إلى حد كبير حتى إن الأثري الأستاذ محمد أبو الفرج العرش يرى أن مدرستها تمثل مرحلة انتقالية بين الفن الأموي والفن السامرائي مثلما تحوي اتجاهات محدثة توفق بين الفن العباسي والفن الفاطمي ، ونضج الفن الإسلامي فيها وأخذ طابعه المميز في العهد الأتابكي الأيوبي .



★ جامع الرقة مع
المنطقة والرواق ★

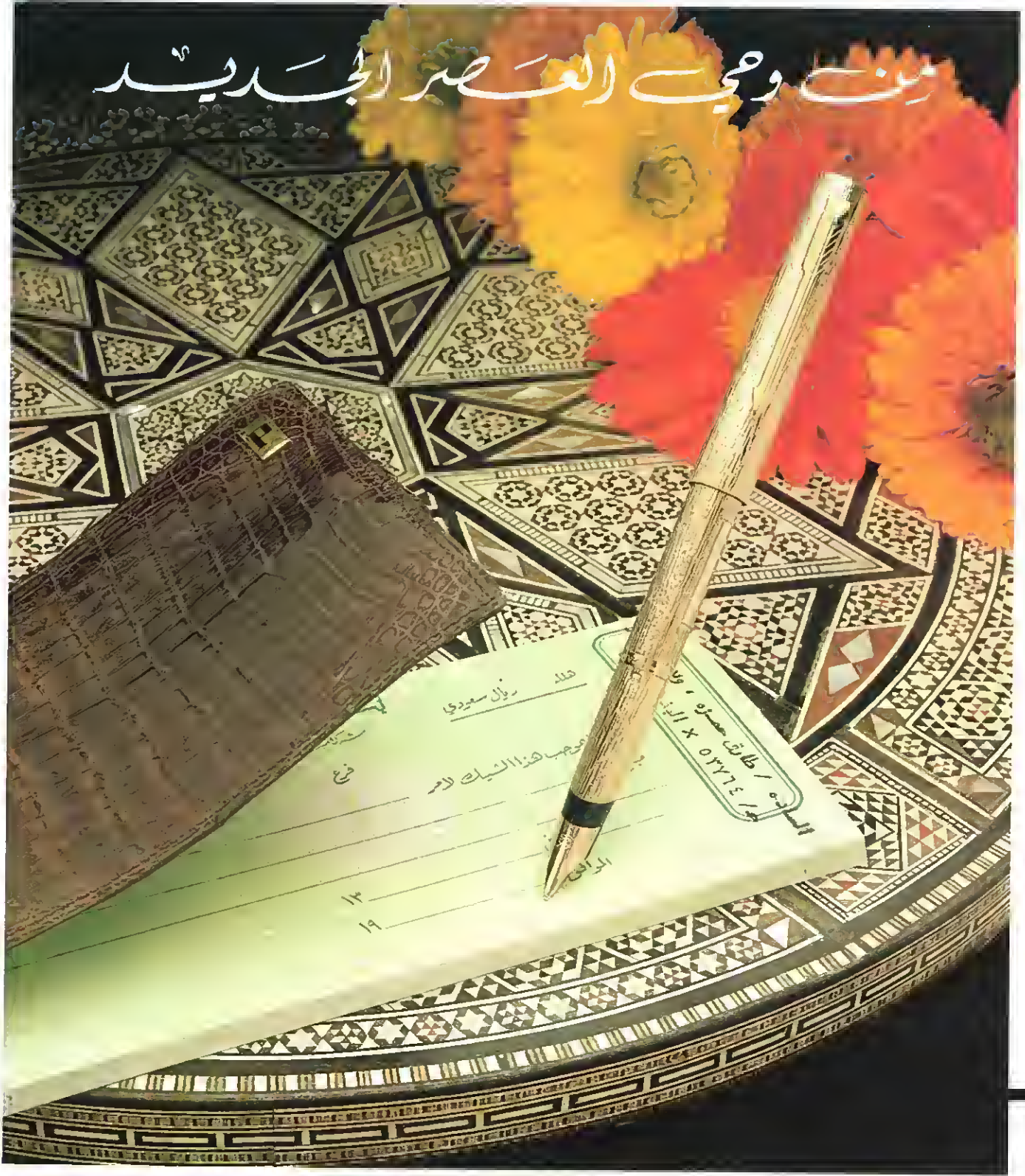
الإسلامي ، ولا سيما في القرن الثاني عشر والثالث عشر ، وإلى هذا العصر يعود تمثال فارس الرقة المصنوع من القيشاني المطلي برفاق الذهب . وفي خلال أعمال التنقيب عام ١٩٤٤ م ، تمكن الأستاذ م . دونان الفرنسي أن يكتشف قصراً يقع على مسافة ٤٠٠ متر شمال السور ، في حين اكتشف العاملون في المديرية العامة للأثار السورية قصراً آخر في شرق السور على مسافة ٢,٥ كيلومتر من باب بغداد . ويتخذ هذا القصر شكل مستطيل طوله ١٦٨ متراً وعرضه ٧٥ متراً . وللقصر سور مدعوم بشوونات شبه دائرية ، وكان هذا السور يحمي ويضم ثلاث حدائق . وكان يشتمل القسم الشرقي من القصر على غرف الخليفة الخاصة المرتصفة حول باحات صغيرة ، في حين كان القسم الغربي مخصصاً - كما يبدو - للحياة العامة والاستقبالات مع باحات كبيرة كانت إحداها مرصوفة بصفائح زجاجية تتميز بنقوشها الشطرنجية الشكل . ويبدو أن القصر قد شيد في بداية القرن التاسع الهجري بأمر الخليفة المعتصم أو في عهد أخيه المأمون . هذه لمحة عن تاريخ مدينة الرقة التي شهدت كثيراً من الأحداث ، نوردها للجبل المعاصر ، للتعرف على ماضٍ ربما لم يطلع عليه الكثيرون .

ولا تزال خرائب الرقة تحتل مساحة عظيمة ويمتد أكبر ميدان لأطلالها على مسافة كيلومتر واحد شمالي ضفة الفرات . وهي عبارة عن بقايا مدينة الرافقة التي تضم سوراً من الطابوق النيء والمدعوم بأبراج مستديرة ويتخذ سورها شكل حدوة الحصان .

وتشغل المدينة الحالية ذات التخطيط الحديث الزاوية الجنوبية الغربية . ولا يزال يقوم في الزاوية الجنوبية الشرقية باب المدينة المسمى الآن بباب بغداد . وتزدان واجهة هذا الباب المهيبه بزمرة من المحارِب مما يجعلها تمت بصلة النسب إلى غط الأبنية الساسانية في بلاد ما بين النهرين لماثلتها لطاق كسرى في ضواحي العاصمة العراقية .

ولا تزال نرى في داخل السور بقايا قصر يحتوي على إيوان بسديع ذي مقرنصات ، وكذلك جامعاً فسيحاً لم يبق منه سوى واجهة قاعة الصلاة والمئذنة . وقد بني هذا المسجد - كما يعتقد - في عهد نور الدين زنكي في عام ١١٦٦ م . أما داخل المدينة ذاتها فلم يكن قبل عشرين عاماً خلعت أكثر من أكوام من الانقراض التي قلبها الباحثون عن التحف الهواة رأساً على عقب ، والذين كانوا يبحثون عن الألواني الخزفية التي اشتهرت بها الرقة في العصر

من وعي العصر الجديد



IP2

باركر ١٠٥ الجديد

باركر ١٠٥ هو آخر مبتكرات باركر وأروعها على الإطلاق . فهو مطلي بالذهب كليا وبكثافة . شكله جبار وجذاب . يعطيك شعورا خاصا بحيث تلمس أناملك الذهب . هذه المادة السحرية وأنت تدون مجرى الأحداث . باركر ١٠٥ مختلف كليا عن جميع الأقلام . ضعه بين يديك وشارك عصرك .

PARKER

المكاتب: **مجموع للمكالات العامة** جدة - ص.ب. ٢١٢٧ - تليفون ٢٢١٩٥ / ٢٢١٩٠ - الفروع: الرياض - ص.ب. ٢٧٢٤٢ - القاهرة ١٦٢٢٧٧٥



« إن ديننا متين فأوغل فيه برفق... » صدق رسول الله فالإسلام ديناً وديناً وشدة ولين...
 جمع كتابه (القرآن) علم الأولين والآخرين... وما تعدو فضايا الإسلام والمسلمين على مر العصور
 والأجيال إلا دلالة قاطعة على قوة هذا الدين الخفيف وعلى عمق عقيدته وسلامته شريعته... وما تحدي
 الإسلام لكل التحديات والصعاب على مر العصور إلا دليل على مدى صلاحيته لكل زمان ومكان إلى
 أن تقوم الساعة... »

● أول لفظ نزل من القرآن (اقرأ)

يُعتبر تقرير الحق وفرض واجب على كل مسلم

عبد الرزاق نوفل



أجرع الحوار :

محمد متولي

الإسلامية لأطفالنا بأفضل الطرق حتى نضمن لأجيالنا المقبلة
 حياة سوية وناجحة... ؟

— نزل القرآن الكريم للعالمين وللأجيال أجمعين وفيه من أبواب
 الإعجاز التي لا تنفذ إلى أن تقوم الساعة .

.. فلماذا كان إعجاز القرآن البلاغي والبياني قد هدى الناس
 — ممن تفهموا هذا الإعجاز — للإيمان بالله والدخول في الإسلام... فإن
 من لم يستطيعوا أن يتدبروه لا بد أن يجدوا فيه ما يعجزهم... لذلك
 وجدنا بعد عصر البلاغة ، وفي عصر التشريع ، أن العلماء والفقهاء

ورغم مرور أربعة عشر قرناً من الزمان على قيام دولة الإسلام إلا أنه
 ما زالت هناك العديد من القضايا الحيوية التي يجب أن نضع النقاط فوق
 الحروف بالنسبة لها... لهذا نوجهنا ببعض هذه القضايا إلى أحد المفكرين
 الإسلاميين وهو الأستاذ عبد الرزاق نوفل لكي يجلو لنا ما غم علينا
 من أمورنا الدينية ويشرح سائر التعيم التي فرضت علينا في أوقات المعاناة
 وينير الضوء الأخضر لتعبير بقضايانا المعاصرة إلى بر الأمان على هدي من
 كتاب الله (القرآن) وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . وبدأ حوارنا
 معه بمنزلة عن الإنسان المعاصر وقضية الإيمان وسألناه...

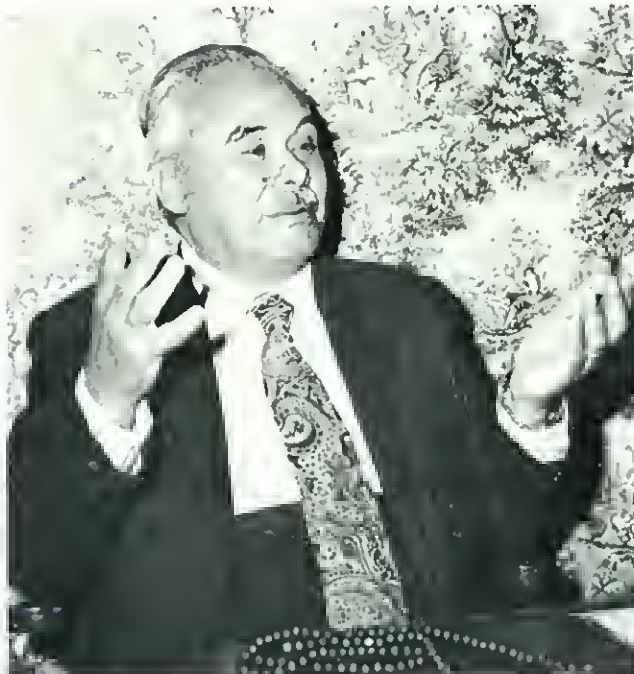
البحث عن الإيمان

● في معترك الحياة العصرية الصاخبة والمعاناة اليومية من
 أجل متطلباتها ، كيف يمكن للمسلم تجديد نشاط إيمانه كي
 يظل مسلماً قوياً فالمسلم القوي خير وأحب إلى الله من المسلم
 الضعيف... ؟

— كما يبحث الإنسان عن الرزق يجب عليه أيضاً أن يبحث عن
 الإيمان وذلك بالنظر والتدبر في مخلوقات الله حتى يطمئن وإذا اطمأن ثبت
 إيمانه وبذلك يستطيع الإنسان المؤمن مجابهة الحياة العصرية والانتصار على
 كل مشاكلها... وعلى كل مسلم بجانب النظر والتدبر أن يتشقق ويتشقق...
 فأول لفظ نزل من القرآن (اقرأ) بمعناها الواسع أي اقرأ لنفسك وقرأ
 لغريك وقال الرسول صلى الله عليه وسلم... « أغد عالماً أو متعلماً محباً
 أو مستمعاً ولا تكن الخامس فتهلك » .

القرآن أسلم دستور

● ما الدروس المستفادة التي تدل على إعجاز القرآن في
 مخاطبة كل جيل بلغة عصره... وكيف نواصل المفاهيم



من وعي العصر الجديد



IP2

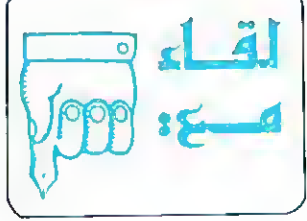
باركر ١٠٥ الجديد

باركر ١٠٥ هو آخر مبتكرات باركر وأروعها على الإطلاق. فهو مطلي بالذهب كليا وبكثافة. شكله جبار وجذاب. يعطيك شعورا خاصا بحيث تلمس أناملك الذهب. هذه المادة السحرية وأنت تدون بحري الأحداث. باركر ١٠٥ مختلف كليا عن جميع الأقلام. ضعه بين يديك وشارك عصرك.

 PARKER

الوكلاء: مجموعة للوكالات العامة - ص. ٢١٢٧ - تليفون ٢٢١٩٥ / ٢٢١٩٠ - الفروع: الرياض - ٢٧٢٤٢ - الهاتف ٧٧٥٧٥٤٢

« إن ديننا متين فأوغل فيه برفق .. » صدق رسول الله فالإسلام دين وشدة ولين ..
 جمع كتابه (القرآن) علم الأولين والآخرين .. وما تعدوا قضايا الإسلام والمسلمين على مر العصور
 والأجيال إلا دلالة قاطعة على قوة هذا الدين الخنيف وعلى عمق عقيدته وسلامة شريعته .. وما تحدي
 الإسلام لكل التحديات والصعاب على مر العصور إلا دليل على مدى صلاحيته لكل زمان ومكان إلى
 أن تقوم الساعة ..



عبد الرزاق نوفل



أجرع الحوار :

محمد منوحي

● أول لفظ نزل من القرآن (أولاً)

يحتبر تقريرحق وفرض واجب على كل مسلم

الإسلامية لأطفالنا بأفضل الطرق حتى نضمن لأجيالنا المقبلة
 حياة سوية وناجحة...؟

— نزل القرآن الكريم للعالمين وللاجيال أجمعين وفيه من أبواب
 الإعجاز التي لا تنفذ إلى أن تقوم الساعة .

.. فإذا كان إعجاز القرآن البلاغي والبياني قد هدى الناس
 — عن تفهموا هذا الإعجاز — للإيمان بالله والدخول في الإسلام .. فإن
 من لم يستطيعوا أن يتذوقوه لا بد أن يجدوا فيه ما يعجزهم .. لذلك
 وجدنا بعد عصر البلاغة ، وفي عصر التشريع ، أن العلماء والفقهاء

ورغم مرور أربعة عشر قرناً من الزمان على قيام دولة الإسلام إلا أنه
 ما زالت هناك العديد من القضايا الحيوية التي يجب أن نضع النقاط فوق
 الحروف بالنسبة لها .. لهذا ترجعنا ببعض هذه القضايا إلى أحد المفكرين
 الإسلاميين وهو الأستاذ عبد الرزاق نوفل لكي يجلو لنا ما غم علينا
 من أمورنا الدينية ويوضح ستائر التعمت التي فرضت علينا في أوقات المعاناة
 ويثير الضوء الأخضر لتعبير بقضايانا المعاصرة إلى بر الأمان على هدي من
 كتاب الله (القرآن) وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم . وبدأ حوارنا
 معه بمنزله عن الإنسان المعاصر وقضية الإيمان وسألناه ..

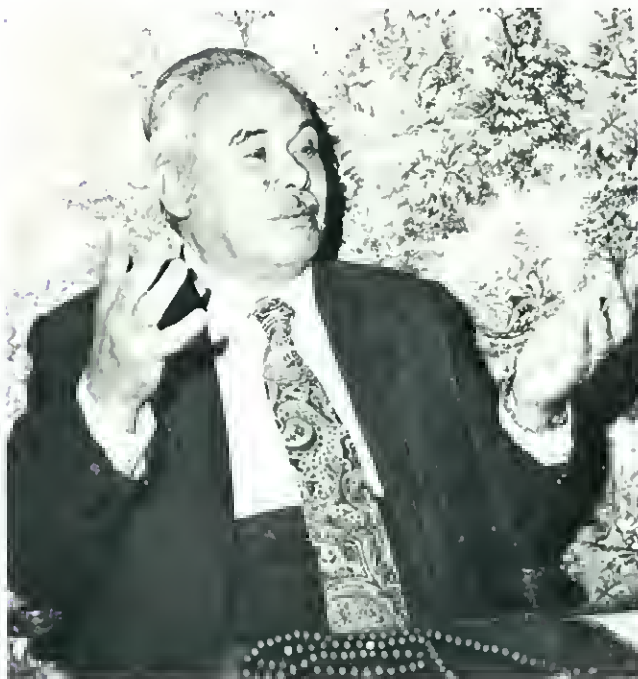
البحث عن الإيمان

● في معترك الحياة العصرية الصاخبة والمعاناة اليومية من
 أجل متطلباتها ، كيف يمكن للمسلم تجديد نشاط إيمانه كي
 يظل مسلماً قوياً فالمسلم القوي خير وأحب إلى الله من المسلم
 الضعيف ..؟

— كما يبحث الإنسان عن الرزق يجب عليه أيضاً أن يبحث عن
 الإيمان وذلك بالنظر والتدبر في مخلوقات الله حتى يطمئن وإذا اطمأن ثبت
 إيمانه وبذلك يستطيع الإنسان المؤمن مجابهة الحياة العصرية والانتصار على
 كل مشاكلها .. وعلى كل مسلم بجانب النظر والتدبر أن يتثقف ويثقف ..
 فأول لفظ نزل من القرآن (اقرأ) بمعناها الواسع أي اقرأ لنفسك وقرأ
 لغيرك وقال الرسول صلى الله عليه وسلم .. « أغد عالماً أو متعلماً محباً
 أو مستمعاً ولا تكن الخامس فتهلك » .

القرآن أسلم دستور

● ما الدروس المستفادة التي تدل على إعجاز القرآن في
 مخاطبة كل جيل بلفظة عصره .. وكيف نواصل المفاهيم





● ظاهرة الأطباق الطائرة تنم عن حقيقة ورد ذكرها في القرآن وهي إلتقاء أهل السماء بأهل الأرض

● في أمل ورجاء و صلاة ودعاء أن يعيد المسلم صياغة نفسه على هدي من القرآن والسنة

الدعوة في أهدافها مع روح الإسلام وأهدافه ..؟

— العلمانية تعني فصل الدين عن الدولة .. وهذا أمر لا يوافق عليه الإسلام بل يشجبه لأنه قام على عكسه فإن أول مسجد أقامه الرسول صلى الله عليه وسلم صاحب النبوة والزعامة الدينية ليكون دار عبادة وعلم وحكومة ومكاناً لاستعراض الجيش وحل مشاكل الناس .. وسار الإسلام على هذا النهج الإسلامي .

الاقتصاد الإسلامي

● هل الاقتصاد الإسلامي في اعتقادكم يعتبر حلاً لمشاكل المسلمين الاقتصادية ..؟

— إن الأخذ بمفهوم الاقتصاد الإسلامي والعمل على تحقيق أهدافه إنما يحقق للعالم حلاً لمشاكله شريطة أن يدرس علماء الإسلام هذه الوسائل الجديدة في عالم الاقتصاد كالبנק والتأمين والشركات .. ووضع ما هدف إليه القرآن والسنة موضع التنفيذ .. فقد هدف القرآن إلى حماية الملكية الفردية ، وعدم طغيان رأس المال والعمل على أن يكرن المال لأهله عامة وفرض على المسلمين حق العمل وحدد أنصبة الميراث والصدقات والزكاة حتى لا تتزايد ثروات الأغنياء ويزداد فقر الفقراء ..

الأطباق الطائرة

● كثر الجدل في ظاهرة الأطباق الطائرة ، فالبعض يقول

إنها مجرد خيالات أو انعكاسات ضوئية تأتي من بعيد وتأخذ هذه الأشكال .. وفريق يقول إنها أسلحة حديثة يختبرها العلماء في الخفاء .. وفريق ثالث يقول إنها مخلوقات من كواكب أخرى تريد الاتصال بنا .. فما قولكم في هذه الظاهرة ..؟

— إن أول أثر لهذه الظاهرة حدث في عام ١٩٠٧ م ، حيث حدث حريق في سيبيريا عرف بعد ٤٠ سنة أنه بقعل إشعاعات ذرية بعد أن قيل إنه بسبب نيازك أو نجم ملتهب .. وفي هذا الوقت كان العالم لم يعرف بعد انشطار الذرة ..

ولقد أجمعت الآراء في كافة الدول على رؤية الأطباق الطائرة وهناك محاكمات حدثت في ألمانيا مع عالم اتصل بملاحى الأطباق الطائرة ، وفي فرنسا وأمريكا آلاف التقارير عن هذه الظاهرة .. والقرآن وجه النظر لدراسة السماوات وما فيها في أكثر من ٣٠٠ آية .. وغزو الفضاء قد جاء به القرآن نصاً وتفصيلاً .. وفي ١٣ آية شريفة يذكر أن هناك مخلوقات من الكواكب في السماء ، وأنها تسبح وتسمع وتتكلم .. وأن الله قد قرر بأنه سيجمع أهل الأرض بأهل السماء إذ قال :

﴿ ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيها من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير ﴾ .

صدق الله العظيم



بالنسبة للمسلم المعاصر . وهو يستقبل قرنه الهجري الجديد ، يُعَدُّ (التاريخ الإسلامي)
(خبرة) من أهم الخبرات وأقدرها في الوقت نفسه ، على تحديد ملامح طريقه صوب
المستقبل ، ومنحه الإمكانيات الحركية الواعية على مواصلة المسير حتى يأذن الله بالنصر لدينه
في الأرض وتنفيذ كلمته في العالم .

من رصيده رحلة الأربعة عشر قرناً

بِقلم : د. عماد الدين خليل

والبشرية .. لقاء بين العقيدة والحركة .
إن الآيات الأولى من سورة العلق التي تحمل دلالتها
في هذا الاتجاه ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من
علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما
لم يعلم ﴾ .. إن القراءة هنا ، بالنسبة لرجل أمي كمحمد عليه الصلاة
والسلام ، لا تعني أبداً متابعة كلمات مرسومة على صفحات الأشياء ،
ولمّا متابعة المعاني والقيم المحفورة على صفحات الكون والعالم ، حيث كل
الأسهم والمؤشرات تقول بوجود الله وتؤكد وحدانيته ، وحاكميته المتفردة ،
وهيمته ، وكلمته التي لا راد لها .

إنها ، بمعنى من المعاني ، طلب التحرك باتجاه هذه الدلائل ، للوصول
الأكثر عمقاً وإدراكاً إلى الله .. وإن تكوين الإنسان المسلم ، بدءاً من
رسول الله نفسه وانتهاء بآخر رجل سيقدر له أن ينتمي إلى هذا الدين ،
لا يتحقق إلا باجتياز هذه البوابة الكبيرة .. ولقد استغرقت عملية
الاجتياز للتحقق بالقناعات العميقة الراسخة ، ثلاثة عشر عاماً هي مدى
العصر المكاني كله حيث كان القرآن ، والرسول الكريم صلى الله عليه
وسلم بينان الإنسان المسلم تمهيداً للدور الذي سيليه .

ومع هذا الأمر الإلهي للرسول عليه الصلاة والسلام بالحركة صوب
الكون والعالم ، طلب منه بعد قليل أن يتحرك صوب الإنسان لكي
يدعوه ﴿ يا أيها المدثر . قم فأنذر . وربك فكبر .. ﴾ ..
وكانت الظروف التاريخية (المرحلية) تقتضي أن تتم هذه الحركة بأكبر قدر
من السرية والكتان .. ولما أن تم بناء القاعدة الصلبة التي ستأخذ
على عاتقها مهمة مد الدعوة إلى أوسع مساحة ممكنة ، جاء الأمر الإلهي

إنه ما من دارس جاد لمعطيات هذا التاريخ إلا وهو يتبين ، عبر
مجرياته الغنية الزاخرة ، عدداً من السيات والمؤشرات التي اختصت بها ،
فمنحته شخصيته وملامحه الخاصة ، ومكنته من الاسهام الفعّال في حركة
التاريخ البشري كله .. وهي نفس السيات والمؤشرات التي يمكن أن
تعطي لمسلمي العالم اليوم دورهم الكبير المنتظر ، عبر القرن الطالع ، في
صياغة مستقبل البشرية ، وتجنبها كل ما من شأنه أن يفتت
جهدها ، ويدمر سعادتها وتوحدها ، ويقودها إلى مواقع التعاسة
والفقر والشقاء .

إن رؤية المسلم المعاصر اليوم ، وبرنامج حركته ، كما أنها
بستمدان من الأسس النظرية للأيدولوجية الإسلامية : كتاب الله
سبحانه ، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وتشريعات كبار فقهاءه ،
فإنها تأخذان - كذلك - من معطيات تاريخه الزاخر بالتجارب
والخبرات .

ولن يتسع المجال - هنا - لاستعراض وتحليل كافة ملامح هذا
التاريخ ، وأوجه إبداعه وتميزه .. ونكتفي - من ثم - بمجرد إشارات
موجزة إلى أكثرها أهمية وتأثيراً .

العقيدة والحركة

منذ اللحظة التي تم فيها أول لقاء بين رسول الله صلى الله عليه
وسلم وبين الوحي الأمين ، حيث أمر بأن (يقرأ) .. حدث لقاء آخر
يوازيه ، وسيقدر له أن يلعب دوره الخطير على مدى تساريخ الإسلام

الثالث إلى الرسول صلى الله عليه وسلم أن (يتحرك) علانية إلى الناس كافة بدءً بعشيرته الأقربين ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين...﴾ ﴿وانذر عشيرتك الأقربين...﴾ فكان ذلك الاجتماع الحاشد الذي دعا إليه الرسول عليه الصلاة والسلام وأعلن فيه - لأول مرة - أبعاد دعوته .

في دعوات القرآن الثلاث لرسوله الأمين عليه الصلاة والسلام ، عبر سني الدعوى الأولى ، يتبين هذا الارتباط الوثيق بين العقيدة والحركة .. وحتى الصيغ التعبيرية والمفردات اللغوية التي اعتمدت لتوصيل التعاليم القرآنية إلى الرسول عليه الصلاة والسلام ، كانت مشحونة بهذا المعنى الخطير : ﴿اقرأ...﴾ ﴿قم فأنذر...﴾ ﴿فاصدع بما تؤمر...﴾ فليست الحركة فحسب - إذن - ولكنها الحركة الواعية بالقراءة ، المخططة بانخاذ الخيطة في السنين الأولى ، العنيفة الحاسمة المستقيمة بدعوة الناس كافة إلى الحقيقة الكبرى التي قدر لها أن تقلب الإنسان والعالم وهي (شهادة لا إله إلا الله) .

ثم كانت هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه رضي الله عنهم إلى المدينة ، حركة باتجاه آخر .. اتجاه تكوين الدولة الإسلامية بالتشريع العقدي بعد أن تم اجتياز مرحلة بناء الإنسان المسلم بالتصور العقدي وقناعاته المتوغلة في الأعماق .. وهكذا يستمر التدفق الحركي للعقيدة الإسلامية منذ لحظات الانبثاق الأولى .. ونحن نعرف جميعاً كيف كانت سني العصر المدني العشر حركة دؤوبة من أجل ترسيخ الكيان الجديد ، والدفاع عن مقدراته ، وضرب كل القوى التي تشكل خطراً عليه .. حتى والرسول عليه الصلاة والسلام يعاني من الحمى القاسية في مرضه الأخير الذي أدى به إلى الوفاة .. نجده عليه الصلاة والسلام يمدّ بصره البعيد إلى ما وراء الحدود وبعد العدة لجيش جديد يتوغل في عمق الأرض العربية في الشمال لكي يضرب عدواً من المواقع المتعاونة مع العدو البيزنطي .

وجاء الراشدون رضي الله عنهم لكي يواصلوا الطريق ، استناداً إلى القاعدة التي سهر الرسول وأصحابه على تكوينها ، وينتقلوا بسالحركة الإسلامية إلى مرحلة جديدة ، كان القرآن الكريم قد أكدها منذ العصر المكي ، وكان الرسول عليه الصلاة والسلام قد رسم - عملياً - مؤشرات الأولى في عدد من الوقائع والأحداث ، تلك هي المرحلة العالمية .

لقد حول الراشدون رضي الله عنهم استراتيجية (الجهاد) صوب الأهداف المركزية التي بدأ الرسول عليه الصلاة والسلام التحرك نحوها في أعقاب صلح الحديبية ، بالكلمة حيناً والسلاح حيناً آخر ، والتي جاءت (الردة) بمثابة عائق وقتي عن مواصلة التحرك في سبيلها .. تلك هي السعي من أجل تنفيذ عالمية الإسلام ، وإسقاط كافة النظم الباغية ، وإزاحة كافة الطواغيت من مراكز السلطة ، وإلغاء كافة التشريعات الوضعية التي صمّمها ونفذها حفنة من المتألمين في الأرض ، وتحقيق البديل الوحيد لذلك كله : ألا تكون فتنة للناس ، وأن يكون الدين ، المنهج والتشريع ، لله .. أي أن يجرى الناس من كافة الضغوط

والمؤثرات التي يمارسها الطواغيت في العالم ، وأن يسود الأرض تشريع عادل واحد ، لا تحيز فيه أو ميل لطبقة أو جماعة أو فئة أو أمة .. ذلك هو شرع الله .

وعبر طريق الجهاد القاسي الطويل ، ومنذ لحظات الفجر الأولى ، كانت العقيدة ، بالنسبة للإنسان المسلم والجماعة المسلمة ، بمثابة الدافع والمهدف .. فهي تحركهم من الداخل بعطائها الدائم ومطالبها المستمرة ، وهي تناديهم من الخارج لكي يتحركوا إلى الأهداف الكبيرة التي جاء هذا الدين لكي يجعل العالم يتحقق بها ، فيكون علماً جديراً بالإنسان الذي كرمه الله تعالى .

ترى .. كم من الحركات التاريخية عبر قرون الإسلام الأولى لم تتمخض عن العقيدة الإسلامية وتنبثق عنها ؟ نعم .. لقد ابتعد بعضها - بهذا القدر أو ذاك - عن روح العقيدة ومسلماتها ورؤيتها ، لكنه ظل في ثيابه الأشمل والأرحب مرتبطاً بها ، مستمداً قدرته على الفعل والامتداد والديمومة من دفعها وقدرتها على الفعل والإنجاز ... وحتى تلك الحركات القليلة التي شذت - بالكلية - عن أي قدر من التوافق والإنسجام والتناغم ، إن هي ، في نهاية التحليل ، إلا رد فعل لهذا الاتجاه أو ذلك .. لموقف عقدي أمل عليها ، لسبب ما ، اتخذ موقفها هي الأخرى .. وما أكثر الأسباب .

إن مساحات واسعة من تاريخنا - إذن - لا يمكن - بحال - رؤيتها وتحليلها إلا على ضوء هذه العلاقة المتبادلة بين العقيدة والحركة .. وإذا كان عصر الرسالة يمثل - ولا ريب - انطباقاً باهراً بين القطبين ، فلأنه عصر النبوة ، حيث قاد الرسول عليه الصلاة والسلام أخطر حركة في التاريخ ، من أجل التحقق بالعقيدة الجديدة ، وعلى كل المستويات ، ابتداءً من أصغر التجارب والممارسات اليومية وانتهاءً بتغيير خراطم العلاقات والقيم والأشياء على مدى العالم كله .

الأصالة الحضارية والانفتاح

تحرك المسلمون - إذن - إلى العالم ، وعبر عقود من الزمن تمكنوا من صياغة حضارة تميّزت بالأصالة التي تستمد ديمومتها من حماية الذات وعدم الذوبان في الكيانات الغريبة التي تدمر الشخصية الحضارية للأمة وتلغي ملامحها وسماتها .. ولكنها لم تنغلق - يوماً - على معطيات الحضارات الأخرى ، بل فتحت صدرها - دوماً - عقدها ولا حساسيات - على العالم الواسع ، وأخذت وتمثلت كل ما هو إيجابي فَعَال في الحضارات الأخرى .

ومنذ اللحظات الأولى ، أخذ الإسلام على عاتقه مهمة تكوين جماعة مؤمنة متحضرة ، تعرف كيف تحقق التفاعل الفعّال بين أصالة الذات العقائدية ، وبين الانفتاح على معطيات الأمم والشعوب . لقد جاء الإسلام إلى أمة بادية في الصحراء تنتشر في مساحاتها

والمسارعة في الخيرات كي ينالوا ثواب الله وينجوا من عقابه على التفريط بما منحهم من إمكانيات قبل فوات الأوان ، تلك المسارعة التي ترد مراراً في القرآن الكريم كصفة ملازمة للمؤمنين والتي تعني ضرورة الإسراع في استغلال الإمكانيات المستغرة للإنسان من مال أو سلطة ، وزمان أو مكان ، وقوة أو علم .

الاستجابة للتحديات

وعبر المسيرة الطويلة ، وفضلاً عن التحديات الحضارية ، جابه تاريخنا تحديات من مستويات أخرى : سياسية وعسكرية ودولية . . . وكان قديراً دائماً على الاستجابة لهذه التحديات ، وعلى تنويع أنماط هذه الاستجابة بأكبر قدر من التكيف والمرونة ، لكي ما يلبث أن يوقف زحف القوى المضادة في الداخل والخارج حيناً ، وينتصر عليها حيناً ، ويحتويها ويمثلها أحبائاً . . . وكانت العقيدة من وراء هذا كله ، وفي موازاة هذا كله ، هي سبب الأسباب !!

إن تاريخ الإسلام هو تاريخ صراع متنوع طويل المدى عميق النفس بين شعوب الإسلام وبين الخصوم . . . إنه ما من أمة في العالم تعرضت لهذا القدر من الهجمات العنيفة المتلاحقة التي كانت تضرب الشاطئ الإسلامي كالبهر العاتي . . . موجة إثر موجة . . . دون أن تترك للمسلمين الفترة الزمنية الكافية لكي يلتموا اشتغالهم ويلتقطوا أنفاسهم ويستجمعوا قواهم .

الوثنية العربية . . الفرس . . البيزنطيون . . الصليبيون . . المغول . . الإسمانيون . . قوى الاستعمار القديم . . ثم الجديد . . الصهاينة . . وأخيراً قوى الوفاق الدولي الذي يسعى لكي يطبق على عالم الإسلام الراهن بكماشته العاتية .

وكان عالم الإسلام ، عبر مساحات واسعة من هذه التحديات ، يملك القدرة على المجابهة ويخرج من المعارك الطاحنة صامداً أو منتصراً . . . يوقف الغزاة ، أو يهزمهم ويردهم على أعقابهم . . . أو يحتسبهم ويمثلهم .

صحيح أن هذه المعارك طويلة المدى قد استنزفت الكثير الكثير من طاقات المسلمين المتجددة ، وامتصت جانباً كبيراً من قدرتهم على الفعل والإنجاز الحضاريين ، الأمر الذي قد يفسر لنا جانباً من أسباب التعثر الحضاري الذي شهده عالم الإسلام في قرونه الأخيرة . . . إلا أن الأمة الإسلامية لم تفقد ، عبر هذا الصراع الطويل ، وإلى فترة قريبة نسبياً ، أيماً شيء . . لا الأرض ولا العقيدة ولا القدرة على الامتداد .

ليس هذا فحسب . . بل إن تاريخنا غمير بخصيصة أخرى تكاد تكون سمة من سماته الأصيلة . . إنه ما إن يتلقى هزيمة في جانب ما من الزمان أو المكان ، حتى يهرع لتحقيق انتصارات جديدة في جهات جديدة يعوض بها عن خسائره تلك . . وأحياناً يكون التعويض أكبر حجماً من الخسارة . . ويخرج عالم الإسلام منتصراً بحساب الخسائر

الشاسعة مدن نقلت ، عن فارس وروما واليونان ، جوانب حضارة لم تستوعب سوقها . . بقايا نظم عمرانية واقتصادية واجتماعية لم تعد يوماً صيغها الخارجية وتتحول إلى قيم متأصلة في كينونة الإنسان العربي ذاته ، إلى قوى مبدعة تتيح له القدرة على التغيير الحضاري بمفهومه الأصيل الواسع .

وفي عقود من السنين محدودة تمكن الإسلام من أن يحول العرب إلى أمة متحضرة خرجت إلى أطراف الأرض تحمل علمها الجديد وحضارتها المتوحدة لكي ترسم للعالمين مصيراً جديداً . . انطلقت إلى تخوم حضارات شاخت ، وعلوم وهنت ، وأفكار طغى عليها ركام الرؤى المشوهة والأضاليل .

خرج المسلم من الصحراء وهو يحمل قيمه الجديدة الحية وتعاليمه الواضحة البينة ، ومعتقداته المتفردة الفذة ، وتصورات الكلية الشاملة وتوحده الذائقي العجيب ، وطموحه الإيماني الذي لا يقف عند حد إلا ليتجاوزه إلى حدود أبعد وأماكن أكثر نأياً . . وهو يحمل سلوكه الأخلاقي الذي شد أنظار المتخبطين في عبودية كسرى وقبصر .

خرج المسلم من الصحراء لكي يصوغ بهذا كله حضارته الجديدة ، وعلمه الحركي الذي أشعلته في ذهنه فتيلة الإيمان . . انطلق المسلم إلى العالم ، مع إخوانه ، يحمل تعاليم الله ورسوله ، تثبيتاً لمفاهيم التوحيد في كل مكان ونشراً للعدل والمساواة في كل أرض ، وتفجيراً للطاقت الحضارية والعلم الصحيح في فؤاد كل إنسان ، وانفتاحاً نادراً على كل ما يمكن أن تقدمه الحضارات القديمة من قيم ومعطيات تساعد الإنسان في تأكيد وتعميق هذه القيم جميعاً ابتداءً من التوحيد المطلق لله سبحانه وانتهاءً بصياغة حضارة تضم جناحيها على منحدرات البشرية منذ أن قدح الإنسان الحجر بالحجر فتطارت الشرارة الأولى وإلى أن يشاء الله فيبتكر المسلمون من يعد ويكتشفوا ويخترعوا ويقدموا للبشرية معطيات حضارة أخلاقية متوحدة لم تعرف يوماً تفريقاً وثنائية وازدواجاً بين العلم والدين . . الحضارة التي أمدت عالم الغرب فيما بعد ، عن طريق الجسور التي أقامتها الأحداث بين العالمين ، بطرائق لا حصر لها في ميادين البحث والتجربة ، وأتاحت له أن يصل - بما أضافه إليها من مبتكرات ومعطيات - إلى العصر التقني الحاضر كما اعترف بذلك الباحثون الغربيون أنفسهم .

لقد كان الإيمان الذي فجّره الإسلام في العقول والقلوب بمثابة دافع حضاري ، فضلاً عن كونه الأساس المبدئي ، أو المعامل الذي يشد القيم المبعثرة والإرادات مختلفة الاتجاه وأعمال الناس ومنجزاتهم إلى هدف محدد ، ويضع لها الإطارات التي تجعل من مجموع هذه القيم والأهداف والإنجازات والأعمال وحدة حضارية متميزة ، فهو فضلاً عن هذا كله يقوم بدور المحرك ، أو الدافع الداخلي الذي يدفع الإنسان والجماعات في نطاق الحضارة الواحدة إلى التقدم دوماً بمحضارهم صوب آفاق جديدة ومكاسب أكثر غنى ، عن طريق استغلال إمكانيات الزمان والمكان إلى أقصى مدى ممكن . . ذلك أن إيمان الناس يعني رغبتهم في تقديم مزيد من الأعمال ،

ونظرة إلى مؤشرات الامتداد العثماني في قلب أوروبا الشرفية أيام محنة المسلمين وانحسارهم في الجانب الغرب من القارة .. وإلى خرائط انتشار الإسلام في أمداء واسعة من آسيا وإفريقيا ، زمن الضغوط الاستعمارية التي لا ترحم ، والاحتلال القاسي الذي افترس الكثير من مساحات عالم الإسلام .. تعطينا بعضاً من المؤشرات العديدة التي تؤيد هذا التحليل .

إن تاريخنا في قدرته الفذة على الرد يجيء بمشابة تحقق في الزمان والمكان لتعاليم كتاب الله ﴿ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين . هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين . ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين . إن يبسكم قرح فقد من القوم قرح مثله وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين . ولیمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين ﴾ (١) .

﴿ ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض وجعلهم أئمةً وجعلهم الوارثين . ونمكن لهم في الأرض ﴾ (٢) .
﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبذلنهم من بعد خوفهم أمناً ﴾ (٣) .

الالتزام

ومن وراء ركائز الأحداث والتغيرات السياسية والعسكرية التي شهدتها تاريخنا عبر قرونه الطويلة ، ومن وراء قيام الدول والسلالات الحاكمة وسقوطها ، ومن وراء تأرجح القيادات العليا للحكومات الإسلامية بين التسبب والالتزام .. من وراء هذا وذاك كان هناك (مجتمع) إسلامي ملتزم ظل على وفائه للعقيدة التي صنعته وأعطته مكاناً في العالم ، وتمثله لقيمها وتعاليمها ، في سعيه اليومي وممارساته المعاشية وعلاقاته الاجتماعية .. ولئن دل هذا على شيء فلإنما يدل على واقعية الإسلام وقدرته على التماسك الدائم مع الحياة الاجتماعية ، وتغطيته لساكن متطلبات النشاط متنوع الجوانب للإنسان المسلم .. ولئن حدث أن شذ بعض الأفراد أو القطاعات الاجتماعية عن التزامها التام أو النسبي بقيم الإسلام وتعاليمه ، بين الحين والحين ، فإن هذه البقع السوداء المحدودة لم تكن لتغطي على المساحة البيضاء الأوسع في الحياة الإسلامية حيث التوحد مع أهداف الشريعة والالتزام بقيمها ومعانيها .. ومن ثم فإنها لا تعدو أن تكون بمثابة الاستثناء من القاعدة الأثقل والأوسع والأهم .. ولن يحكم على المجري العام للحياة الإسلامية من خلال الزبد الذي يطفو على وجهها بين الحين والحين .

إننا هنا بإزاء ميزة ذات أهمية بالغة ، ففي التجارب الوضعية يسقط

الإنسان نفسه ، هذا الكائن المتفرد الفعّال ، بمجرد سقوط دولته وحضارته ، وتكون النكسة - بالتالي - أعمق وأشد خطراً .. أمسا في الإسلام فجاز أن تسقط الدولة أو الحضارة ، ولكن الإنسان المسلم والمجتمع المسلم يستمران على المقاومة والتفاسك أطول فترة ممكنة ، بسبب توفر الحوافز الذاتية والقيم الخلقية التي يولدها الدين والضمير الديني مما لا تجده في التجارب الوضعية . فهنا تكاد تكون القضية طردية : كلما ازدادت الدولة والحضارة تدهوراً وانهاراً ازداد الإنسان (المواطن) تفسحاً وتحلللاً وغيباً .. أما في الإسلام فإن الإنسان والمجتمع يظلان محتفظان بنوع من التفاسك الداخلي ، وربما ازداد هذا التفاسك قوة ومقدرة على البقاء كرد فعل إيجابي لغيباب الدولة والحضارة ، وإن كان ذلك لا يستمر إلى النهاية بحكم تكوين الإسلام نفسه ، حيث ترتبط وتتداخل دوائر الإنسان والدولة والحضارة .

إن ما ذكرناه قبل قليل عبر عن نفسه ، في العصور الإسلامية التالية بظهور عدد من الحركات الإسلامية ، صوفية وسياسية ، سعت إلى تعزيز التفاسك الفردي والجماعي بوجه التشتت السياسي والحضاري ، وهو أمر لا نجد له مثيلاً في التجارب الوضعية ، فيما حققه من نتائج .

إن الدول والحضارات الوضعية كثيراً ما تعاني السقوط من الداخل . في أعقاب تدهور يصيب الإنسان في ذاته ، والمجتمع في علاقاته . وهذا التدهور كثيراً ما يقود الأغلبية الساحقة إلى السلبية والدمار ، ويقود القلة الفذة إلى الانشقاق والتمرد .. والظاهرتان معاً تهددان بالسقوط السياسي والحضاري .. أما في الإسلام ، فصحيح أن الإنسان - كما يؤكد الإسلام نفسه - هو محور قيام الدول والحضارات أو تدهورها وسقوطها ، إلا أن تاريخنا يعلمنا حقيقة أخرى ، وهي أن الكثير من تجاربنا التاريخية سقطت في أعقاب ضربة خارجية قاسية ، وهذه الضربات كثيراً ما كانت تؤدي إلى مزيد من التفاسك الإنساني الفردي والجماعي (كما حدث للمجتمع الإسلامي في عصر الغزو الصليبي) إلا أن ضربات كهذه كانت تعمل إفساداً وتدميراً على نطاق الدولة والحضارة ، سيما في تلك الفترات التي لم تنكأ فيها القوى العسكرية وقدرات التسليح .. وهكذا كانت الغزوات الخارجية تخلف وراءها دولا منهارة وكيانات حضارية تلفظ أنفاسها .. إلا أنها لم تخلف إلا في القليل إنساناً مسلماً محزناً ولا مجتمعاً إسلامياً متدهوراً .. وبدلاً من ذلك كانت تخلف (المجاهد) وأنماط السلوك الاجتماعي العالي المستمد من قيم الإسلام وأخلاقياته .

ولكن هل أن بقاء الإنسان والمجتمع المسلم بدون دولة أو حضارة يمكن أن يظل طويلاً ؟ أبداً .. فهذا سرعان ما يتعرضان لموامل التحلل التي سقمت الأجواء الخارجية ، ورغم طول فترة مقاومتها إلا أن الجرائم لا بد وأن تنقل العدوى إليهما فيتجهان صوب التحلل والدمار . ولذا كان هناك ارتباط متين - في الإسلام - بين الدولة والحضارة من جهة وبين الإنسان والمجتمع من جهة أخرى .. ولن يعم التوحد والتقدم والتفاسك إلا بوجود هذه الأقطاب الأربعة : ابتداءً من الإنسان صانع الحضارة ، فالمجتمع مشكل قيم الحضارة ومنفذها ، فالدولة حارسة الكيان الحضاري ،

فالحضارة نفسها التي لن تكسب استقلالها وحيويتها وامتدادها المتجدد إلا بتوفر الإنسان الفعال (المحسن) والمجتمع الحركي (المجاهد) والدولة القوية (الراشدة) .

من أجل ذلك شهد التاريخ الإسلامي ، منذ نهاية عصر الراشدين وطيلة القرون الأربعة عشر التالية ، محاولات عديدة لإقامة الدولة الراشدة ، المرة تلو المرة ، ومحاولات قادها - حيناً - رجال كبار وجدوا أنفسهم في مواقع المسؤولية ، فاعتمدوها للانقلاب على الأوضاع الفاسدة وإعادة صياغة الحياة بما ينسجم وقيم الإسلام وأطروحاته ، وقادتها - حيناً آخر - تنظيمات جماعية سعت لتحقيق الهدف نفسه .

إن تجريبي عمر بن عبد العزيز (٩٩ - ١٠١هـ) ونور الدين محمود بن زنكي (٥٤١ - ٥٦٩هـ) - على سبيل المثال - تأتينا شاهداً تاريخياً مقنعاً على أن الإسلام كنظرية قدير في أية لحظة تتوفر فيها النية المخلصة والإيمان الصادق والالتزام المسؤول والذكاء الواعي ، على التماس مع واقع الحركة التاريخية وصياغتها ، أو إعادة صياغتها ، على ضوء معطيات الإسلام كتاباً وستة واجتهاداً ورصيداً تشريعياً . وعلى أن الجواهر الإسلامية ، مهما صذت عن الاتصال المباشر بموارد فكرها وعقيدتها وتاريخها ، فإنها تظل تحمل في عقولها وقلوبها ووجدانها ذلك التواصل الدائم والتناغم العميق مع هذا الدين الذي كرمها الله به ، والذي لن تجد معه في أي بديل قد يجيء من هنا أو يؤق به من هناك إلا التغرّب والتمزق والانقطاع .

إنها جماهير قرون الالتزام الطويلة ، ليس مع عقيدة كعقائد تحمل (الخرافة) التي تسقط بها في بدء الطريق ، أو (العتمة المادية) التي تفضل معها في منتصف الطريق ، ولكنها عقيدة المنطق البشري والتوازن المعجز بين مطالب الروح العليا وضرورات المادة وشدها . إنها لا تجد ما تضيّعه هناك : العقل أو الروح أو الجسد . ومن ثم تظل تحمل الاستعداد للعودة إلى العقيدة التي ما ضيعتها - إذ تفرقت بها السبل - العودة التي كانت تحقق كرد فعل تاريخي من خلال بروز تحدٍّ خارجي أو داخلي خطير ، أو في أعقاب ظهور قيادة واعية مؤمنة . العودة التي كانت تخرج بها - دوماً - من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها .

التوازن الفذ

ولغة أخيراً وليس آخراً ما بعد ملمحاً من ملامح تاريخ الإسلام والحضارة الإسلامية وأكثرها خصوصية وارتباطاً بالشخصية الإسلامية في العالم .

إنه (التوازن) . . التوازن في كافة الاتجاهات وعلى كافة الجبهات . . إنه بأطرافه المتقابلة وثنائياته المتوافقة . . بمثابة السدى واللحمة . . هذا التوازن الذي يتصادي هنا وهناك . . في النظرية والتطبيق على السواء . . إنه في صميم فكر الإسلام وفي قلب صيرورته التاريخية .

إن القرآن الكريم يقرها بصراحة ووضوح ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً ﴾^(١) .

والوسطية هاهنا ليست موقعاً جغرافياً أو مكاناً محددًا من قارات العالم . . ولكنه موقف عقائدي ، واستراتيجية عمل ، ورؤية نافذة لموقع الإنسان في الكون والعالم . . إنه القدرة الدائمة على التحقق بالتوازن وعدم الجنوح صوب اليمين أو الشمال . . ومن خلال هذه القدرة يتحقق مفهوم الشهادة على الناس ، لأنها تطل عليهم من موقع الإشراف المتوازن الذي لا يميل ولا يمحور . . تشرف عليهم وهي تتحرك على الصراط . . وهي تمسك بالميزان الحق الذي تزن به كل صغيرة وكبيرة في هذا العالم فتميز بين الطيب والخبث ، وتفرز الذهب من التراب ، وتبين الحق من الباطل .

ورغم أن هذا التوازن قد تعرض على المستوى التاريخي للتأرجح بين الحين والحين إلا أنه في إطار التجربة الإسلامية يظل ، من بين سائر التجارب الأخرى في العالم ، أكثرها وضوحاً ، والتزاماً ، وتألقاً .

إن التاريخ الإسلامي يتميز عن غيره من التواريخ بمعالم وسمات أصيلة تهبه شخصية مستقلة ، فهو يعبر - أكثر من غيره - عن حصيلة أوسع لقاء خلاق بين السماء والأرض وعن طموح الإنسان المؤمن لإعادة سير التجربة البشرية في مجراها الطبيعي وانطلاقها نحو هدفها المرسوم في الكون . التاريخ الذي يصور لنا الجهود الكبيرة التي بذلها المسلمون لتشكيل مصر العالم وفق منهج متفرد يجمع في إطار واحد الظاهر والباطن ، والحضور والغياب ، والطبيعة وما وراء الطبيعة ، والتراب والحركة ، والمادة والروح ، والقدر والاختيار ، والأخلاقية والمنفعية ، والوحدة والتنوع ، والفردية والجماعية ، والعدل والحرية ، والوحي والتجريب . . ويفتح أمام الإنسان الطريق لتقديم أقصى ما عنده من طاقات في بناء حضارة غير متأرجحة ولا مهزوزة ، حضارة تنساح فاعلية صناعاتها على كل المساحات وسائر القطاعات وتنشق عن إيمان عميق بدور الإنسان في الكون ، وهدفية فاعليته وتوازنها .

ترى أوسع المجال لاستعراض وتحليل هذه الثنائيات المتوازنة في مجرى تاريخنا وحضارتنا ، وتقديم الشاهد عليها ؟ .

لا أظن ذلك ولعل مقالة مستقلة أخرى تفي بالغرض ، بإذن الله . تلك هي ملامح من رصيد رحلة الأربعة عشر قرناً . . وهي تمنحنا الكثير ، وتعلمنا الكثير . . أفنطمح ، ونحن نطل على قرن جديد ، أن نستعيد بعضاً من هذه الملامح ونزيدها عمقاً وعطاءً وأن نصيف عليها ملامح ومعطيات أخرى ؟ !

الهوامش

(١) سورة آل عمران ، الآيات ١٣٧ - ١٤١ .

(٢) سورة القصص ، الآيات ٥ - ٦ .

(٣) سورة النور ، الآية ٥٥ .

(٤) سورة البقرة ، الآية ١٤٣ .

الدعوة والإسلام

جاء الإسلام ختاماً لرسالات السماء . وقد بعث محمد صلى الله عليه وسلم للناس كافة وهو رسول الله وخاتم أنبيائه . ولا نبي بعده ، بقوله تعالى :
﴿ ما كان محمد أباً أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين ﴾
(سورة الأحزاب ، الآية ٤٠) .

فإذا كانت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم هي آخر رسالات السماء ، وإذا كان الإسلام دين البشرية كافة ، فإن الدعوة إلى الإسلام وإعلام الناس به باقية ما بقي في الأرض غير الإسلام ديناً ، وما كان الرسل من قبل إلا مسلمين وداعين إلى الإسلام ، فالإسلام هو دين إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء من يذكرون ومن غاب ذكرهم ، وهو دين العالمين ، دين كل زمان ومكان ، لأنه دين التوحيد .



وترقى نفسه بالعمل ، فيعمل الخير النافع المرضي لله . ويترك الشر لأنه يفهم سوء عاقبته ودرجة مضرته .

وحيث تقوم الدعوة إلى الإسلام على العقل والتفكير والتدبر في خلق الله ويكون الإيمان بقدرة الله إيماناً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا يعتوره شك من أي منحى ، ويفرق القرآن بين الإسلام بعد الإيمان والإسلام دون إيمان في قوله تعالى :

﴿ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ﴾ (سورة الحجرات ، الآية ١٤) .

فالإيمان إدراك في العقل ينحول إلى إحساس روحي تمتلئ به نفس الإنسان ، وتزداد به النفس امتلاء كلياً تنزع به التأمل إلى إدراك هذا الاتساق الرائع فما يجري عليه الكون من سنن تتسلسل به ليس فيها تبدل ولا تحول .

جوهر الإسلام

ولا يستوي الإيمان في النفس على وقائع ما لم يسنو جوهر العقيدة — أي عقيدة — مع العقل ومذركاته الكلية لسنن الكون ، ويقوم جوهر العقيدة الإسلامية على التوحيد . وهو ما يؤكد هذا الثبات في سنن الكون ، فالوجود الكلي الواحد المتسق الثالث الذي لا يتغير معناه إله واحد عظيم منقرض لا مثيل له ، وأنه الخالق لهذا الكون ومبدعه وإله الذي لا شريك له .

ويقوم التوحيد على فكرة بسيطة في ذاتها لا يجد العقل عتاء في إدراكها ، ولا تحس الروح جفوة لها ، بقررها الإسلام بطريقة قلما وجد مثلها في أي ديس آخر ، فهو بقرار أن — لا إله إلا الله — ولقد ذهب في دعونه للتوحيد إلى حد إنكار كل الاديان إلا ديناً واحداً . وهذا يرفض رد العقيدة الدهية إلى الفرد ، فما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، فالإسلام هو دين إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء من يذكرون ومن غاب ذكرهم ، وهو دين العالمين ، دين كل زمان ومكان لأنه دين التوحيد .

﴿ وإلهم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم . إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ﴾ (سورة البقرة ، الآية ١٦٣ — ١٦٤) .

﴿ قد جاءكم بضائر من ربكم فن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ ﴾ (سورة الأنعام ، الآية ١٠٤) .

ويقى الإعلام بالإسلام والدعوة إليه وحب المسلمين في كل زمان ومكان حتى يتم الله دينه فلا دين غيره .

﴿ إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب . فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأمةين أسلموا فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد ﴾ (سورة آل عمران . الآية ٨٩) .

وكان منهاج الإعلام الإسلامي وحياً من عند الله :
﴿ ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾ (سورة يونس ، الآية ٩٩) .
﴿ فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً إن عليك إلا البلاغ ﴾ (سورة الشورى ، الآية ٤٨) .

﴿ فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين ﴾ (سورة النحل . الآية ٨٢) .
﴿ لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم ﴾ (سورة البقرة ، الآية ٢٥٦) .

﴿ قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين ﴾ (سورة النور ، الآية ٥٤) .

فليس في منهاج الدعوة الإسلامية ولا في الإعلام بها عنت ولا إرهاب ، وما على الداعي يدعوة الإسلام ، أسوة برسول الله ، إلا أن يعد الناس ويلقيهم رسالة الله إلى خاتم أنبيائه ، وهم بعد ذلك في تعاليم الإسلام بعد أن يعلموها ويعرفوا حقيقتها ما يجذبهم إليها ، فقد جاء الإسلام خطاباً للعقل وجعله حكماً في كل شيء ، فهو ركيزة الإيمان ، وهو السبيل إلى معرفة الخير والشر ومعرفة الحق والباطل :

﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون ﴾ (سورة البقرة . الآية ١٧١) .
ويُفسر الشيخ محمد عبده هذه الآية بقوله :

« إن الآية صريحة في أن التقليد غير عقل ولا هداية هو شأن الكافرين ، وأن المرء لا يكون مؤمناً إلا إذا عقل دينه وعرفه بنفسه حتى افتتح به . فمن ربي على التسليم غير عقل والعمل ولو صاحواً بغير قفه فهو غير مؤمن ، فليس المقصد من الإيمان أن يؤمن الإنسان ليختر كل شيء من أجزائه ، بل المقصد منه أن يتحقق عقله »

بين الأديان

بقلم: د. حنين فوزي النجار

لكسب المال، والعمل المتمر والربح الحلال، وسدد ضريبة قاضية إلى العبودية والغنية والرق.

تمثل هذه التعاليم وتلك الشريعة السمحاء والإيمان الذي ينقبله العقل ولا بضى به الفكر، شُفَّت الدعوة الإسلامية طريقها إلى العالم، وأقبل الناس على الإسلام تحذوهم الغدوة والعرفة، فمن طريق المعرفة عرف الناس التوحيد وهو جسر الإسلام وفي التوحيد أدرك المسلمون ضلال الشرك وما كانوا فيه يعمهون. ودأوا في سمو العقيدة ما يؤدي إلى الإيمان المستير، بحيث يتمم الإنسان النظر ومطيل التأمل، يدعوه إنعام النظر وطول التأمل إلى اليقين بالله جلّت قدرته، وأنه والأرض التي يعيش عليها ذراً في هذا الكون اقتتل من خلق الله، حين يجري على سنن تمسكه وإلى غاية لا يعلمها غير بارئها، وإن ما في الكون من آياته دليل على وجوده جل شأنه، وأنه الخالق المصور الذي يحيط بكل شيء عنده، وإليه يرجع الأمر كله. يقول تعالى:

﴿وَأَيَّةٌ لَهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَنَسُوا أَكْلَهُ . وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَحِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجْرْنَا فِيهَا مِنْ الْعِيُونِ . لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ . سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تَنْبَتُ الْأَرْضُ وَمِمَّنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ . وَأَيَّةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مَظْلُومُونَ . وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ . لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ . وَأَيَّةٌ لَهُمُ أَنَّا جَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفَلَكِ الْمَشْحُونِ . وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ . وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ . إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ (سورة يس، الآيات ٣٣ - ٤٤).

وعن طريق القدوة عرف الناس مجتمعاً إسلامياً لا قبية فيه ولا عبودية ولا عنصرية ولا إثرة ولا أنانية ولا شقاعة في غير الحق، والناس فيه سواسية أمام الله وأمام شريعة لا بشوياً باطل ولا يعتورها حيف، قنعنا جاء أسامة بن زيد شفيهاً لفاطمة الخزومية عند الرسول صلى الله عليه وسلم، وكان أسامة من أحب الناس إليه، مبرراً شفاعته بأنها تنتمي إلى بني مخزوم رهط خالد بن الوليد، وهم بطن من أشرف بطون قريش، وأن إقامة الحد عليها سيحلب عليها وعلى أمها العار، أنكر الرسول شفاعته على حبه له وانتهر قائلاً: «انشفع في حد من حدود الله؟»، ثم قام وخاطب الناس قائلاً: «إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد، وإني لأرى الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها».

وأخذ الخلفاء الأوائل أنفسهم قبل أن يأخذوا الناس بهذا الحق دون هوادة، فله يؤثروا أنفسهم بآثرة لبست لغبرهم، وإتهم ليرضون من العيش بأخشن الجفاف حتى لا يكون للحاكم من بعد حتى يمتاز به على الناس، والضعيف عندهم القوي حتى يأخذوا الحق له، والفوي عندهم الضعيف حتى يأخذوا الحق منه.

كان هذا دستور الإسلام في الحكم وبه تواصى الخلفاء فيما بينهم، فمن رسالة عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري، وهي الرسالة التي جمعت أكثر أحكام الإسلام في القضاء، والتي لم يخرج عنها دستور القضاء في أي بلد من البلدان به قضاء عادل من بعد، ولم تعل عليها شريعة للقضاء في أي بلد متمدين

وكثيراً ما حفل القرآن الكريم بمثل ذلك: آيات تقوم يعقلون، آيات لأولي الألباب، آيات تقوم يتذكرون.

فإذا انتقلنا إلى الدنيويات ترى شريعة نعلو على أي شريعة سواها، حين نقش للناس معاملاتهم وسلوكهم، وعلاقة كل منهم بالآخر في إطار من القيم العليا للفرد وللمجتمع، هي مرقاة لتوفير الحياة وإعلاء الكرامة الإنسانية. وقد عاش العالم أربعة عشر قرناً أو تزيد، منذ بعث الإسلام، لا يجد فيها نامة من خير أو عقلة عن حق، ولا يرى فيها سنه الإنسان، وما جهد لبلوغه البشر، وما سعت إلى تحقيقه المجتمعات الإنسانية في كفاحها الطويل لتوفير الحياة وإعلاء الكرامة الإنسانية، وإقامة مجتمع الخير والسلام والعدالة والأخوة ما يعلو عليها أو يفوقها.

وقد جاء الإسلام والدنيا نفيس بالأخلاق والرياء، فالتناس فلة من الساءة المتعمين بالثروة والنفوذ، والآخر من سواد الشعب اقتاناً يسحقهم الفقر ويطحهم الاستبداد، قتي فارس كان الكهنة والدهاقين - كما يقول مؤلف «روح الإسلام» - هم وحدهم الذين يتمتعون بالثروة والنفوذ، والكثرة لأغلبية مستعبدة. وفي روما كان القيصر وحظاياه ورجال الدين والأشراف، هم الرافلون في التعم، بينما الشفاء والتعاسة تجتاح على الناس جميعاً. وكان القساوسة للأغنياء ضد الفقراء.

فلما جاء نبي الإسلام العظيم نفخ في بوق الحرية وأعلن التبعية لله وحده، وأن الناس متساوون، ولا فضل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أحر إلا بالتقوى.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (سورة الحجرات، الآية ١٣).

ورثه هذه الآية الكريمة لتجيب التفات العنصري بين الناس، وتقضي على الفاي والاستعلاء بين الشعوب والقنائل، لا يسبقها في ذلك سابق، ولم يلحق بها يعد لاحق، وما زالت الشرائع والقوانين دوتها بكثير، فقد أنكر الإسلام أن يكون التعدد في الأسم والشعوب مدعاة للتنايل والتفاخر أو التعصب والنعرة العنصرية، وإنما هو وسيلة للتعارف والتكافل والتعاون، وليس اختلاف الناس سبباً لتحاييزهم، فكلهم لادم، وكلهم في الإنسانية سواء، لتستقيم معه حياة الناس على الألفة والود.

ولا يكون التفات بين الناس إلا في العلم والفضائل والعمل الصالح لخير الفرد وخير الجميع، في قوله تعالى:

﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (سورة المجادلة، الآية ١١).

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة الزمر، الآية ٩).

ولا يفق الإسلام ضد التقدم الاجتماعي، وليس فيه ما يأخذ جانب السلطة ضد الفقراء والكادحين، أو المساكين بلغة القرآن الكريم، بل كان عوناً لهم على حقوقهم، فأنصتهم قبل أن يتصفوا أنفسهم. ومن فضاء الإسلام من وقف في الحق لضعيف ضد الخليفة نفسه، وأنكر الإسلام الطبقية حين تيد القليلة والعنصرية والتفاخر بالألناس والأحساب وإجاه وسعة الرزق، وإن لم ينكر التباين في المسائر وفي التفات العقلي والخلقي - كما قلنا - وسوى بين الناس جميعاً في أخوة إسلامية جامعة، وثيد القليلة والشعبية وقال بالدولة العالمية التي تجتمع رايها في ظل الإسلام، حيث تملو شريعة الحق، تضع للمسلم مثلاً تضع لغيره من حق الأمان والرعاية وكفالة القانون، وقروض تراكم رأس المال والملكية الخاصة بما فوره من أحكامها، وإن لم يجب النزعة إلى الثراء والسعي

في وقتنا هذا، قوله :

« آس - أي سري - بين الناس في وجهك وكذلك وعجلك حتى لا بطمع شريف في حيفك، ولا يباس ضعيف من عدلك. البينة على من ادعى واليمين على من أنكر، والصالح جائز بين المسلمين إلا صلحاً أحل حراماً، أو حرم حلالاً، ولا يتمتعن قضاء قضيته بالأمس فراجعت اليوم فيه عقلك وهديت فيه إلى رشدك أن ترجع إلى الحق، فإن الحق قديم، ومراجعة الحق خير من التصادي في الباطل... »

وعمر هو القائل : « متى تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً »، عبارة قيلت في الثورة الفرنسية بعد ذلك بثلاثة عشر قرناً، وهو القائل للرجية : « إني لم استعمل عليكم عملاً لاضرروا أنساركم وليستموا أعراسكم ويأخذوا أموالكم، ولكني استعملتكم عليكم ليعلموكم كتاب ربكم وسنة نبيكم. فمن ظلمه عامله بمظلمة فلا إذن له علي، ليرفعها إلي حتى أفصه منه... »

وفي وصيته للخليفة من بعده يقول :

« اجعل الناس عندك سواء لا تبال على من وجب الحق ثم لا تأخذك في الله لومة لائم، وإياك والمحاباة فيما ولاك الله... »

وقد سئل عما يحل للخليفة من مال الله فقال :

« إنه لا يحل لعمر من مال الله إلا حلتين، حلة للنشأ وحلة للصيف وما أحج به وأعتمر، وقوتي وقوت أهلي كرجل من قریش ليس بأغناهم ولا بأفقرهم، ثم أنا بعد رجل من المسلمين... »
وغضب منه علي بن أبي طالب حين خاطبه بكنيته بينما خاطب خصمه الذي جاء بشكواه باسمه وكان يهودياً - والخطاب بالكنية أسلوب في التوقير - فقال عمر : أكرهت أن يكون خصمك يهودياً وإن ثقل معه أمام القضاء - فقال : لا، ولكنني غضبت لأنك لم تسو بيني وبينه، فخاطبته باسمه وخاطبته بكنيته.

انتشار الإسلام

تلك هي الفتوة التي حلت الناس زرافات ووحداً على اعتناق الإسلام، وكانت الفتوة هي التي تحمل الناس من غير المسلمين إلى معرفة القيم والمبادئ التي تحكم هؤلاء البعض من يزلون بينهم أو هؤلاء القوم من يجاورونهم، فيعرفون أنهم يقيمون على دين يحكم ما هم عليه من مبادئ وقيم، فتكون المعرفة بعد الفتوة مدخلا لاعتناق الإسلام، وما كان الدعاة في الإسلام إلا قدوة تجذب إليهم غيرهم، ثم كانت المعرفة عندهم هدفاً لمن ينشدها. فالإسلام لا يحتاج لغير التعريف به، وفي المعرفة الإسلامية لمن يعقلها أعظم دعوة للإسلام، وقد كانت زادا لأمة الإسلام في دعوتهم، ويذكر ابن خلكان في هذا الصدد أن عشرين ألفاً من المسيحيين واليهود والمجوس قد تحولوا إلى الإسلام يوم وفاة الإمام الأكبر أحمد بن حنبل، كما أسلم على يد محمد بن الهذيل مؤدب المأمون ثلاثة آلاف.

ويذكر أبو الفرج الجوزي، الفقيه السني، وكان أعلم أهل زمانه في القرن الثاني عشر الميلادي، أن عشرين ألفاً قد اعتنقوا الإسلام على يديه، بل كان من الصليبيين الذين جاءوا للقضاء على المسلمين واستخلاص بيت المقدس من أيديهم من تحولوا إلى الإسلام بعدما رأوا من عدالة المسلمين ومماحبهم وحسن صنيعهم ما جذبهم إليه.

ومما يذكر عن اعتناق بركة خان (١٢٥٦ - ١٢٦٧ م) الزعيم المغولي ورئيس القبيلة الذهبية - وكان أول من أسلم من أمراء المغول - أنه التقى ذات يوم بتاجر من مسلمين في عبر للتجارة قادمة من بخارى، فسأله عن الإسلام، فشرحه له شرحاً وافياً حله على اعتناقه، وتبعه جيشه على الإسلام، وقبل أن جنوده فد غدوا وهم يعملون سجادة الصلاة معهم أبنا ساروا، ولم بعد في جيشه من يشرب الخمر، وغدت مجالسه وهي حافلة برجال العلم والدين، وفند حالف بركة خان الظاهر بيبرس سلطان مصر حينذاك.

وقد شهدت هذه الفترة من تاريخ المغول لقاء حاداً بين المسيحية والإسلام، إلا أن الإسلام قد ظهر بما لم نظفر به المسيحية في جذب المغول إليه، وكان الفضل

في ذلك للفقهاء والتجار، وكثيراً ما كان المغول يتحولون إلى الإسلام بعد اعتناقهم المسيحية، فقد شب «تيكودار أحمد» (١٢٨٢ - ١٢٨٤ م) أول من اعتنق الإسلام من أيلخانات المغول في فارس مسيحياً قبل إسلامه، وعمد في صباه باسم «نقولا» فلما بلغ سن الرشد اعتنق الإسلام على يد بعض المسلمين الذين كلف بدبنتهم، وكانت له مراسلات مع سلطان مصر قسلاوون، ذكرها القلقشندي في كتابه «صبح الأعشى» وقد طلب فيها محالته.

ويعلى «توماس أرنولد» في كتابه «الدعوة إلى الإسلام» على اعتناق تيكودار أحمد للإسلام بقوله : « إن من يرس تاريخ المغول وفضائلهم ليرتاح عندما يراهم وقد تحولوا مرة واحدة إلى أسمى عاطفة إنسانية وإلى حب الخير... »
وكما أسلم تيكودار أحمد، كان إسلام «غازان» (١٢٩٥ - ١٣٠٤ م) سابغ أيلخانات المغول وأعظمهم شأنًا، وتحوله عن البوذية إلى الإسلام، ويقال إنه كان كثير النظر في الأدب وشرايعها كثير الحوار مع أمته، وأقبل على الإسلام عن إيمان، وعمل في حاس على حمايته وإعلاء شريعته، وافق جنده أثره، وكان طوال حياته مثال الحاكم المسلم الصالح، ومنذ ذلك العهد غدا الإسلام دين أيلخانات فارس.

وكان هؤلاء الدعاة من الفقهاء المقيمين ومن الرحالة والتجار الجوابين من الفضل في انتشار الإسلام بالهند ومالي وجزر ملديف أكثر مما كان لحاكم أو سلطان، وما زالت آثار الدعاة وأضرحتهم قائمة في تلك البلاد يعمل الناس على صيانتها.

وكما كان انتشار الإسلام في آسيا الوسطى والشرقية، كان انتشار الإسلام في إفريقيا حله التجار العرب إلى وادي النيل كما حملوه إلى إفريقيا، فحيث استعصى على الفاتحين العرب فتح مملكة النوبة المسيحية، فوقفت سداً بينهم وبين السودان، لم تستعص على التجار العرب فالتقوهم بها يتجارهم وماشيتهم، واتسبوا منها نحو السودان، حيث وجدوا في فجاجه المترامية ما ينشدونه من الماء والكلأ والمراعي المعشبة الواسعة بعيداً عن الجباية والخراب، ولم يكن ثمة فرق بين طبيعة بلادهم وطبيعة السودان الإفريقية والمناخية، فليس البحر الأحمر إلا كسرأ التوائاً في أرض واحدة شطرها شطرين هما السودان وبلاد العرب، فنشأ بها جراً ومضاباً وفجاجاً، وكان أول اتصال للعرب بالسودان عن طريق عيذاب على البحر الأحمر وانتشروا بين النوبة ودنقلة، وحين هرب بنو أمية من وجه العباسيين، كان لهم في أرض الجزيرة بالسودان ملجأ أمين.

وفي أواخر القرن الثالث عشر الميلادي كان الإسلام فد عم بلاد النوبة الدنيا، وأصبح صاحب دنقلة من رعابا صاحب مصر وصار يحط على منابر بلاده «بخليلة العصر وصاحب مصر». وأخذت موجات من القبائل العربية تندفق على السودان حتى بلاد الحيشة وداوفور، وتزح كثير من عرب جهينة إلى السودان، وكانت القبائل العربية في هجرتها إلى مصر، كهجرتها إلى السودان، تقيم حيث يطيب لها المقام، وكثيراً ما تفرقت بطونها بين السودان ومصر، واعتنق أهل «سنار» الإسلام على يد التجار، وكان لبني الكنز نفوذهم حتى عيذاب.

كما كان للفرق الصوفية دورها الكبير في انتشار الإسلام في القارة الإفريقية كالكادورية والتيجانية والشاذلية، ركان للدعوة المهدية أثر بالغ في نشر الإسلام بين القبائل الزنجية في الجنوب، كما كان لأتباع محمد عثمان الميرغني مثل هذا الأثر في كردفان كما دخل في طريقه كثير من أبنةاء النوبة ودنقلة.

وقد حمل الإسلام إلى القارة الإفريقية نظماً جديدة قضت على الكثير من عاداتهم القديمة. وعلمهم القراءة والكتابة، فسادت الثقافة الإسلامية وأخذوا بالسنة الكريمة، وتطبيق ما نصت عليه الشريعة الإسلامية في الوصبة والزواج وغيرها من المعاملات.

وجوب الدعوة

فإذا كان الإسلام دين الناس كافة وأنه ختام رسالات السماء، فإن الدعوة

الإسلامية حق على كل مسلم ، « وتكليف للأمة الإسلامية بها لا يتخلل عنها مؤمن — كما يقول الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه « الدعوة إلى الإسلام » — ولا يزكها أمين » ، وعلى الداعية أن يكون بصيراً بالأمور « يأتيها من طرقها السلوكية في رفق ، ليناً في دعوته ، بأب الأمور من مصادرها ومواردها ، مؤمناً بها على بيئة من أمرها ، لا تتأخذ في الحق هواده ، وليس للباطل عنده إرادة ، وما من مسلم إلا وهو شاهد على الناس ، تقتضيه هذه الشهادة أن يدعواهم إلى الحق ، وهي شهادة قائمة مستمرة في أعناق المسلمين » حتى يعم الإسلام الأرض ، ونحقق دعوة الله على الناس . وفي قوله تعالى :

﴿ وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس ﴾ (سورة الحج ، الآية ٧٨) .

﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون . ولا تكونوا كالألذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم ﴾ (سورة آل عمران ، الآيتان ١٠٤ - ١٠٥) .

فالدعوة إلى الإسلام واجبة بإجماع الصحابة ، لا بنجد بها أن تعاليم الإسلام ومبادئه خبر داع له ، أو أن البلاغ قد غم ، فإدام في الناس من لا يعرف حقيقة الإسلام ، فإن وجوب التعريف به قائم في أعناق المسلمين أحاداً وجماعات ، ومادام الإسلام دين البشرية عامة ، دين إبراهيم وموسى وعيسى ، فقد وجب التعريف به لدى كل من لا يعرفه ، فإن البلاغ لا يم إلا بتعريف الناس بالعقيدة وفحواها ، وهو واجب المسلمين في كل زمان ومكان ، حتى يم الله دينه ، فلا دين غيره يقولوه تعالى :

﴿ إن الدين عند الله الإسلام وما اختلف الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم ومن يكفر بآيات الله فإن الله سريع الحساب . فإن حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والأمينين السلمم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعباد ﴾ (سورة آل عمران ، الآية ١٩ - ٢٠) .

فالتعريف شرط البلاغ ، والناس بعد ذلك أحرار فيما يرون ، وقد خلق الله الإنسان وميزه بالعقل والإدراك والعرف ، وترك له حرية الإرادة فيما يرى وفيما يختار . ﴿ يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين ﴾ (سورة المائدة ، الآية ٦٧) .

وما كان للرسول عليه الصلاة والسلام أن يحمل الناس على الإسلام قهراً ، وإن كان عليه ألا يبي في البلاغ ، وهو شأن الدعاة من بعده . فلا فرق في الدعوة إلى الإسلام بين الماضي والحاضر ، فقد بدأت الدعوة إليه منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم على أسس منهجية ثابتة ، سدت التعريف بالدين الجديد ، ولحمتها ما يقوم عليه الإسلام من عبادات وجوهرها التوحيد ، ومن معاملات تنتظم في إطارها العلاقات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي يقوم عليها نظام الجماعة الإسلامية كأكمل ما يكون النظام ، ومن أخلاقيات أو قيم تقوم على حقيقة ثابتة لا تتغير هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهي فم تجمع عليها المذاهب الإسلامية ولا تختلف عليها الفرق ، وإن اتخذت كل فرقة منهاجها الخاص للدعوة ، فإنها تجمع على ما جاء به الإسلام من عبادات ومعاملات وقيم .

وأول ما تقوم عليه الدعوة الإسلامية هو المعرفة الصحيحة بقواعد الإسلام وشرعيته ، وقد قام بها الصحابة والتابعون في صدر الإسلام ، كما وضع منهاجها الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم . فقد كان عليه الصلاة والسلام يبعث إلى

القبائل بعد أن نسل من يقرنها القرآن ويفهمها في الدين ، وكان الخلفاء من بعده بوصون ولائهم بالتعريف بالإسلام والإعلام بحقيقته ، وكان القدوة والمعاملة نبراس الدعوة في انتشارها وامتدادها ، فإن المعاملة العادلة — كما يقول الشيخ أبو زهرة — تجذب القلوب وتدنيها ، فإذا علموا أنها من السدين الجديد فتحت قلوبهم له ، وصفت إليه واستجابت له .

فالدعوة إلى الإسلام واجبة بإجماع الصحابة — كما قلنا — وهي فرض عين وفرض كفاية على كل قادر عليها ورائته الفرصة إليها . وقد قام بها الأفراد والجماعات بعد أن قعد عنها الخلفاء ، والولاة بعد عصر الراشدين . فإذا كانت الدولة تقوم بها كفاء الناس ممن لا يفتنون عنها مادياً أو علمياً ، فإن ذلك لا يحول دون الباقين ممن يقدرون عليها والقيام بها .

وفد حلل التجار والرحالة ، وهم يجوبون الافطار . رسالة الإسلام إلى كل متجع يقيمون فيه أو يمرون به ، فعلى يد التجار الحضارة انتشر الإسلام في شرق إفريقيا وفي أندونيسيا وجزر الملايو ، كما كان الرحالة . من أمثال ابن جبير وابن بطوطة داعين بأشخاصهم إلى الإسلام أبناً يقصدون . وكانوا جميعاً في حلهم ونرحامهم قدوة في سلوكهم ، وفي ترفعهم عما يشين ، وفي تراضعهم ومحاسنتهم لغيرهم . واختلاطهم بهم على الرود والرعاية والتواضع ما جذب غيرهم إليهم ، ففي أخلاق الإسلام لمن يجذبها ما يجب الاقتداء بها ، وفي تعاليمه ما يجذب الناس إليه . فمن الماثور أن حكيم العرب « أكرم بن صيفي » حين يلقه أسر الإسلام ، أرسل ولده يسألون محمداً صلى الله عليه وسلم عما يدعو إليه ، قتلى عليهم قوله تعالى :

﴿ إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون ﴾ (سورة النحل ، الآية ٩٠) .

فلما رجع الولد لأبيهم ثلوا عليه الآية ، فقال : « إن هذا إن لم يكن ديناً فهو في أخلاق الناس أمر حسن » .

والأخلاق الإسلامية — كما يرى ول ديورانت — مؤلف « قصة الحضارة » — هي التي فتحت القلوب المغلفة للإسلام ، فلم تقض بضع سنين على البعث ، حتى أصبح الإسلام عقيده الملايين من البشر ، ولم يمض قرن من الزمان حتى ارتفعت راية الإسلام في أرجاء العالم القديم وأوقع أبناء البداية الهزمية بجيوش كسرى وقيصر . ودوى صوت صاحب غار حراء — كما يقول سيد أمير علي — بين قارات ثلاث ، واستعربت اسم يأكملها حين حملت الفتوح الإسلامية أعظم موجة بشرية خرجت من الجزيرة العربية في حماس دافق لم يشهد له التاريخ مثيلاً من قبل ، وفيض من الإيمان الزاخر حطم كل السدود والقيود التي تقف دونه ، فلم تقتصر موجة النزوح العربي على أرض الهلال الخصيب بل جاوزتها إلى وادي النيل والشمال الإفرنجي وفارس وآسيا الوسطى ، فاستعربت تلك البلاد واتخذت من العربية لغة ومن الإسلام ديناً ، ولم يشهد العالم من قبل ديناً حل معنفيه على ثقافته ولغته كما كان الإسلام بين ما دان به من الأمم التي أصبحت تعرف بالأسم الإسلامية ، أو بلفظ أدق « الأمة الإسلامية » ، حيث جب الإسلام كل نفرة عنصرية أو لغوية ، ونبذ الشعوبية ودعا إلى الوحدة العالمية في ظل شريعة بلغت اسمى درجات الرقي . وما زال الإسلام « بما فيه من مزايا يقدمها لأصحابه » — كما يقول ونفسرد بلنت في كتابه « مستقبل الإسلام » — قادراً على اجتذاب الناس إليه ، هي مزايا تفوق كل ما نستطيع المسيحية والحضارة الأوروبية أن تقدمه ، فبينما لا يجد البشر المسيحي « وهو يتعثر بدعوته وسط الأدهال الإفريقية ، ما يمنحه للإفريقي الأسود إلا ما يمنه به من أخوة في الحياة الأخيرة ، ويضن عليه بالكرامة ولا يقبل أن يجالس أو يتزوج من زنجية ، يتقدم الداعية المسلم من أبناء مراکش — فيقول للزنجي : « تعال اجلس معي ، خذ ابني زوجة لك ، واعطني ابتك ، فكل من ينطق بشهادة الإسلام كفه في الدنيا والآخرة » ، ويمضي (بلنت) فيقرر بالا ، مفر من أن نصيح إفريقيا لغمة للإسلام ، وما ذلك ببعيد » .

صبر النبي على أهل مكة ، إلى أبي بكر في أعقاب أحداث الصلح ويدور بينهما الحديث التالي :

— عمر : يا أبا بكر ، أليس برسول الله ؟

● أبو بكر : بلى .

— عمر : أولستما بالمسلمين ؟

● أبو بكر : بلى .

— عمر : فعلام نعطي الدنيا في ديننا ؟

● أبو بكر : يا عمر الزم غررك ، فإني أشهد أنه رسول الله .

— عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله .

وانقلب عمر إلى النبي وهو مغضب محق ، وحديثه بمثل ذلك فلم يلب من عزمه ولا صبره على فريش ، وقال لعمر : « أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعني » فقد كان عليه الصلاة والسلام يرى أن عرب الجزيرة قد دائبوا له ، وأن الإسلام على وشك أن يجمعهم إليه ، وأن عليهم بعد ذلك أن يشقوا طريقهم بالإسلام إلى الدنيا الواسعة ، أما فريش وهذا شأنها بين العرب ، وتلك قرابتها من الرسول ومن المهاجرين ، وهذه مكة أم القرى يحج العرب إلى بيت الله احترام أول بيت وضع للناس مباركاً وهدى للعالمين ، وقد جعله الله مثابة للناس وأماناً ، فليس لمحمد عليه الصلاة والسلام بمحكمة وما هذاه الله إليه ، أن يكون لهم قاهراً ، وإليه ليرضاهم حتى يأتي وقت يسلمون له بغير قتال ، ويسلمون دون هوان ، وليكون لهم من بعد ما كان منهم في فتوح الإسلام ونصره ، وهو ما يفسر لنا وحى الله إليه وهو في طريقه بالمسلمين راجعين إلى المدينة في سورة الفتح :

﴿ إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً . ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطاً مستقيماً . وينصرك الله نصراً عزيزاً ﴾ (سورة الفتح ، الآيات ١ - ٣) .

ففي العام التالي كانت عمرة القضاء ، وفيها نزح القرشيون عن مكة نزولاً على صلح الحديبية ، بينما التحدو المسلمون إليها يتقدمهم الرسول ، وقد أخذ عبد الله بن رواحة بزمام ناقته القصواء ، وأهل مكة ينظرون إليهم من حيث كانوا فوق أبي قبيس وحراء ومن فوق كل مرتفع يطل عليها ليرى المسلمون وقد انفرجت شفاههم عن نداء واحد « لبيك لبيك » متوجهين — كما يقول الدكتور هيكل في كتابه « حياة محمد » — بالقلوب والأرواح إلى وجه الله ذي الجلال ، عظيم في حالة من رجاء واثق بهذا الرسول الذي بعثه الله بالهدى وبين الحق ليظهره على الدين كله . . . وفي حراسة هذه الساعة أودع عبد الله بن رواحة أن يقذف في وجه فريش بصيحة ، فصدده عمر ، وقال له الرسول : « مهلاً يا ابن رواحة ، وقل لا إله إلا الله وحده ، نصر عبده ، وأعز جنده ، وخذل الأحزاب وحده » أو كما قال . فتنادى بها ابن رواحة بأعلى صوته ، ورددها المسلمون من بعده ، فتجاوت بأصداها جوانب الوادي ، وارتفعت رهبنا إلى قلوب الذين تسنموا الجبال حوله .

وبدت يواد النصر الذي أوحى به الله إلى نبيه في صلح الحديبية . ووقف خالد بن الوليد فارس قریش وسيف الله المسلول من بعد في جمع من قریش يقول : « لقد استبان لكل ذي عقل أن محمداً ليس بساحر ولا شاعر ، وأن كلامه من كلام وب العالمين ، فحق على كل ذي لب أن يتبعه » .

وفزع عكرمة بن أبي جهل لما سمع ، وقال : لقد صيأت يا خالد . فبضول له خالد : لم أصب ولكني أسلمت . ويرد عكرمة قائلاً : والله إن كان أحق قریش إلا بتكلم بهذا الكلام لأنت . ويسأل خالد : ولم ؟ ويجيب عكرمة : لأن محمداً وضع شرف أبيك حين جرح ، وقتل عمك وابن عمك بيدو ، فوالله ما كنت لأسد ولأنك بكلامك يا خالد . . . أما وأبت قریشاً يريدون قتاله . ويرد خالد : هذا أمر الجاهلية وحيتها ، لكني والله أسلمت حين تبين لي الحق . وأسد من بعد خالد عمرو بن العاص . وعثمان بن طلحة حارس الكعبة ، وكثير آخرون من أهل مكة .

فلما كان فتح مكة ، بانث حكمة ما ذهب إليه الرسول صلى الله عليه وسلم في

وما الحياة بأشد حاجة إلى تعاليم الإسلام كحاجتها اليوم ، إذ عجزت المسيحية الغربية عن أن تمد حضارة الغرب ، حضارة العلم والآلة والسيطرة على أسرار الطبيعة ، بالقيم الروحية التي تمنحها القوة والاستمرار ، كما تمنحها القدرة على مجابهة طغيان الشيوعية والمذاهب المادية الضالة ، التي تعصف بها وتوردها موارد البوار ، مما يدعونا إلى تجديد الدعوة إلى الإسلام والتعريف به ، يقوم بها الاتحاد والجماعات فرض عين وفرض كفاية ، كما كانت من قبل .

عالمية الدعوة

وإذا لم يكن هناك غير إله واحد ، فائمة أديان أخرى إلا أن تكون جميعاً ديناً من تبع واحد ومن سدره تنهي إليها كل حقيقة في الكون ، وإذا كان الإسلام هو دين السماء منذ اتصلت السماء بالأرض ، وكان ختام رسالات السماء ، فقد اكتملت به رسالة الأنبياء ، وكان محمد صلوات الله عليه خاتمهم جميعاً ، وقمت برسائله نعمة الله على عباده ، وكان ختام ما خاطب به المسلمين بعد خطابه الجامع في حجة الوداع تلاوة قوله تعالى :

﴿ اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ﴾ (سورة المائدة ، الآية ٣) .

فلا غرو بعد ذلك أن يكون الإسلام دين الأمم جميعاً ، وأنه للناس كافة :

﴿ إن هو إلا ذكر للعالمين . ولتعلمن نبأه بعد حين ﴾ (سورة ص ، الأيتان ٨٧ - ٨٨) .

﴿ هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾ (سورة الصف ، الآية ٩) .

﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ﴾ (سورة الفرقان ، الآية ١) .

﴿ ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون . إن في هذا لآيلاً لقوم عابدين . وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين . قل إنما يوحى إلي أنما ألهمكم إله واحد فهل أنتم مسلمون ﴾ (سورة الأنبياء ، الآيات ١٠٥ - ١٠٨) .

﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴾ (سورة سبأ ، الآية ٢٨) .

وأول ما نعتبه كل هذه الآيات وغيرها أن الإسلام دعوة للعالم أجمع ، وأن دعوى عموم الرسالة فائمة حتى يحم دين الله الأرض جميعاً .

ولقد وضع محمد صلى الله عليه وسلم قبل أن غضي به الحياة إلى الرفيق الأعلى السبيل إلى عالمية الدعوة ، وخططاً لطريقها إلى انتحام العالم ، وكان قد أفصح عنها حين قال : « إن بلالا أول همار الحبشة ، وإن صهيياً أول همار الروم ، وإن سلمان أول همار الفرس » ، وكان سلمان عبداً نصرانياً بالمدينة أسلم في السنة الأولى من الهجرة ، فكان أول من أسلم من الفرس ، وفي هذا دليل على أن الإسلام ليس للعرب وحدهم بل إنه لهم ولغيرهم من الأمم ، ولم يكن مما يدور في أحلام العرب أن الإسلام سيقتحم بهم الدنيا إلى ما وراء الجزيرة العربية في موجة عارمة من الفتوح الإسلامية الباهرة ، وأنه سيشق طريقه في مدى قرن من الزمان — كما يقول توماس أرنولد وسيد أمير علي — إلى الدنيا الواسعة .

وفي قوله عليه الصلاة والسلام : « كل نبي بعث إلى قومه ، وأنا بعثت للأحر والأسود » ما يدل دلالة صريحة على دعوى عموم الرسالة وعالمية الدعوة الإسلامية .

وما كان صلح الحديبية إلا بداية تأليف قریش ليجتمع العرب صفواً واحداً على الدعوة قبل أن يتجه بها الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الخارج ، ففد عضده الرسول مع فريش على ألا يدخل عليهم مكة عامه هذا ، غضباً ، ببنا السلمون من حوله بضيقتهم بعنت فريش حتى ليذهب عمر بن الخطاب ، وكأنا قد أعجم عليه

صلح الحديبية من تأليف فريش صلحاً حتى لا تكون ترة من فقال لا خير فيه لغالب أو مغلوب . فقد اجتمع العرب على الدعوة ، وخصوا ملحمة الجهاد ، وكان أعلام الشرك في فريش هم أعلام الفتوح ، فخالده بن الوليد قد أصبح بطل الفتوح المعلم ، وعكرمة بن أبي جهل ، وكان آخر من أسلم وآخر من قاوم من فريش وأسطر المسلمين في فتح مكة سهاماً من نباله ، كان من بعد بطل كتيبة الموت في معركة اليرموك وصاحب النداء الذي غزى بالمسلمين إلى النصر في معركة اليرموك ، حين رأى الروم يزعمون المسلمين عن موافعهم ، فيصيح في وجه الروم : « فالتت مع رسول الله في كل موطن وأقر منكم اليوم » وينقلب إلى أصحابه قتيادي : « من يبائع على الموت » ويا به ضار بن الأזור والحارث بن هشام في أرمينية من وجوه المسلمين وقرسانهم بينهم ولده عمرو بن عكرمة ، اندفعوا نحو الروم مستسلين يطلون الشهادة في سبيل ربه ، وزلزلت هجمتهم صفوف الروم ، وأصاب الخراج عكرمة وابنه عمرو ، فلما تم النصر للمسلمين جيء بها إلى خالد وقد اتخذ مكانه في رواف قائد الروم ، قوض رأس عكرمة على فخذه ورأس عمرو على ساقه وجعل يمسح عن وجهيه ويفطر في حلقه الماء حتى استشهدا ، وأصبحت عين أبي سفيان يسهم أخرجه منها أبو خيثمة ، وأبو سفيان هو من تعد موقفه من المسلمين قبل فتح مكة .

وهكذا كان صلح الحديبية ثم دخول مكة سلمياً تأليفاً لفريش على الدعوة ليكون لهم هذا الفتح المعلى في فئوح الإسلام ، ويصلح الحديبية كانت الدعوة الإسلامية قد بلغت من التضج ما يجعلها دين الناس كافة ، وبه اطمأن الرسول إلى وضع الإسلام في الجزيرة العربية وأن له أن يتجه بها إلى الخارج ، فكانت كتبه إلى هرقل وكسرى والمقوقس وبجاشي الحبشة وإلى الحارث الغساني وإلى يازان عامل كسرى في اليمن بدعواهم فيها إلى الإسلام ، وكانت تلك هي البادرة الأولى لعالمية الدعوة الإسلامية .

وكانت البادرة الثانية غزوة مؤتة ثم غزوة تبوك وما كان بعد ذلك من فتح الشام والعراق ثم انسياح العرب بالدعوة الإسلامية إلى ما وراء الشام والعراق . فإذا قيل إن غزوة مؤتة كانت بسبب قتل رسول النبي صلى الله عليه وسلم إلى عامل بصرى ، إذ قتله أعرابي من غسان باسم هرقل ، إذ كانت بسبب إرسال خمسة عشر رجلاً إلى ذات الطلح ، على حدود الشام ، بدعون إلى الإسلام . . فكان جزاؤهم القتل لم ينتج منهم غير رئيسهم ، قلنا كانت لسبب أكثر من هذين السببين وتقويهم بمراحل ، هو توجيه أنظار المسلمين إلى طريقهم في الانسياح بالدعوة إلى العالم الواسع ، بعد أن عرف أن الجزيرة العربية قد دانت بالإسلام أو هي على وشك أن تسلم به ، بل إن بعثة ذات الطلح قد سبقت غزوة مؤتة ، وكما كانت هجرته عليه الصلاة والسلام إلى المدينة إنسياحاً بالدعوة إلى متجمع آخر ، فكذلك كانت بعثة ذات الطلح ، وكما كانت غزوة بدر بعض ما نجم عن الهجرة إلى المدينة ، كانت معركة مؤتة بعض ما نجم عن الاتجاه بالدعوة إلى حدود الشام وما حدث في ذات الطلح ، فقد عرف المسلمون أن محمداً صلى الله عليه وسلم يرود بهم الطريق إلى اقتحام العالم الفسح بدعوة الإسلام ، وأن الشياك حيث متصل الأرض بما وراءها هو طريقهم إليه وليس الجنوب حيث يقف البحر دونهم .

وما كان عليه الصلاة والسلام يجهل ما يمكن أن يصيب هذه الغلة من المسلمين في غزوة مؤتة إذا ما انتقامه الله بهم فاجتمعهم الكثرة فذا يقولون « ادع إلى أصيب » . فجعفر بن أبي طالب على الناس ، وإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس . . ونراه لا يكتفي بذلك بل يوصي بما يكون عليه أدب الحرب في الإسلام ، ألا يقتلوا النساء ولا الأطفال ولا المكوفين ولا الصبيان ، وألا يهدموا المنازل ولا ينقطعوا الأشجار ، فكانت هي الأخرى رؤيا واضحة للقاءات قادمة جهاداً في سبيل الله ، على المسلمين أن يكونوا فيها مثلاً لما جاء به الإسلام أرضاعاً للإنسان إلى مثال الأعلى في دنياه ، وفي كل ما يقوم بينه وبين الناس من رفق أو خلاف .

وحين عاد خالد بن الوليد بغزاة مؤتة إلى المدينة ، وقد لقوا ما لقوا ، حشداهم الناس بالتراب ، وقالوا لهم : « يا فرار ، قررتم في سبيل الله » ، فيقول الرسول صلى

الله عليه وسلم : « لبسوا بالفرار ولكنهم الكرار إن شاء الله » . وفي هذا إيذان بالعودة إلى تلك القياع ، فليس هنالك من سبيل آخر لانتساب الإسلام إلى العالم غيرها ، ولم ين أن يوجه أنظار المسلمين إليها ، قد بليت بعد مؤتة غير قليل ، حتى يعث عمرو بن العاص يستنفر العرب إلى الشام وأمد به أبي عبيدة ابن الجراح وفي رجاله أبو بكر وعمر ، ونفذ عمرو بن العاص قشت حوج أهل الشام الذين أرادوا حربه ، وأعاد بذلك هبة المسلمين في تلك الناحية ، كما أعاد إلى المسلمين لفتهم بأنفسهم بعدما لقوه في مؤتة .

ثم كانت تبوك بعد فتح مكة وإذعان العرب لسلطان الدين الجديد ، غزوا أراد به الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعرف الروم أن العرب المسلمين غير عرب الجاهلية ، وأنها هم ند وقرين ، وأنهم أقوى سما يظنهم الروم ، كما أراد به أن يوحى إلى العرب أنه غير وان عن طلب الشام وما وراء الشام ، لا يمنع عن ذلك حر الهجير ولا يعد المسافة ، ولا شدة الروم الذين عرفوا يوقرة عدنهم ، وكثرة عديدهم وكانوا قد غلبوا الفرس منذ قليل . وحين استنفر الناس للفرس ، كان الوقت صيفاً ، وللهاجرة في جوف الصحراء العربية وقد أليم ، والطريق من المدينة إلى تبوك غير هين ولا سهل ، ويحتاج إلى الطافة أكثر مما يحتاج إلى الجلد ، وإلى الماء مما هو إلى المؤتة ، وكأنه عليه الصلاة والسلام أراد أن يعلم المسلمون ألا يقف في سبيل الدعوة إلى الله رهي ولا مال . وكان قد طلب إلى الأثرياء أن يشاركوا بما لهم في تجهيز الجيش ، ولعله أراد أيضاً أن يعرف المسلمون من منهم الصادق في إيمانه ومن أقبل منهم على الإسلام رغباً ورهباً ، رغباً في الدنيا الجديدة التي تقبل على المسلمين ، ورهباً من هذه القوة الجديدة التي تودي بكل قوة تفد دونها ، وليعد الناس المنافقين منهم والصادقين ، ولكي يكون ليدل المال في الجهاد ما للجهاد بالنفس من ثواب .

وكان عليه الصلاة والسلام قد أعلن عن عزمه على غزو الروم وأن ينجح المسلمون لذلك تحالفاً بذلك تقاليده في سابق غزواته ، حين كان يوجه في كثير من الأحيان بجيشه إلى غير الناحية التي يفصدها تضليلاً للعدو حتى لا يفشلو خبير مستبرته ، وأرسل إلى القبائل يدعواها لإمداد الجيش بأكثر ما يمكن أن تمد به من القتالين ، وكما أراد بإعلانه هذا وبدعوته كافة القبائل لنزال السروم ، أن يهيب العرب للمستقبل الموعود وللرسالة التي أثبتت على عاتقهم لنشر الإسلام في أقصى ما تستطيع رواحله أن تحملهم إليه من يناع وحمله إلى أعد ما يساء الله من أرجاء العالم الواسع حتى يعم دين الله العالمين .

ولم يلبى النداء من لباه من صدق إيمانهم ، أما الآخرون من المنافقين فقد أخذوا يلتمسون الأعذار في الظاهر بينما راحوا فها بينهم يهاون بدعوة محمد إياهم لهذا الغزو البعيد ، يشقون إليه الليالي الخوفة الحارة ، وتزل فيهم قول الله تعالى : ﴿ وقالوا لا تنفروا في الحر قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون ، فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاء بما كانوا يكسبون ﴾ (سورة التوبة : الآيات ٨١ - ٨٢) .

ولما قال للجد بن قيس ، أحد بني سلمة : « يا جد هل لك العام في جلاذ بني الأصفر ؟ » قال : « يا رسول الله ، أرتأذن لي ولا نفتني ، فوالله لقد عرف فومي أنه ما من رجل أشد عجباً بالنساء مني ، وإني أخشى إن رأيت تساء بني الأصفر ألا أصير » ، فأعرض عنه الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفيه نزلت الآية :

﴿ ومنهم من يقول انذرن لي ولا فتني إلا في الفتنة سقطوا وإن جهنم نجاسة بالكافرين ﴾ (سورة التوبة ، الآية ٤٩) .

ثم عرف الرسول أن جمعة من يكيدون للإسلام قد أخذوا بحضون الناس على الفعود والنخلف عن القتال ، وأنهم يزعمون المنافقين نفقا ، لم يشأ أن يتهاون معهم ، وكانوا يجتمعون ببيت سويلم اليهودي ، فبعث إليهم طلحة ابن عبيد الله في نفر من أصحابه ، فحرف البيت عنهم ، فلأذرا بالفرار ولم يعودوا للثأر من بعد .

وأقبل القراء والأغنياء يلبون النداء ، وقد ازدادوا يقيناً أن الرسول صلى الله عليه وسلم يرود بهم الطريق إلى ما شاء الله أن يحملهم بالدعوة التي بعثت بهم ،

﴿ لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم إنه بهم رؤوف رحيم . وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم ﴾ (سورة التوبة ، الآيات ١١٧ - ١١٨) .

وكانت تبوك آخر غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم . أما وقد أُنْهِجَ رسالته على رأس الجيش إلى مشارف الشام ، خرج المسلمون إلى الدنيا الواسعة ، فقد ترك للذين يأتون من بعده من الصحابة والتابعين ومن يقومون على أمر المسلمين ، أن ينموا دعونه ، وأن يخيطوا بها أرض العرب إلى غيرها ، ليعم دين الله الأرض ومن عليها . وكانت تبوك برهاناً عملياً على دعوى عموم الرسالة ، وأن الدعوة إلى الإسلام قائمة حتى يتم الله نوره على العالمين ، وأنها باقية حتى كمال الإسلام .

ما بعد تبوك

وغرست تبوك في العرب نفثهم بأنفسهم ، وقد كانوا من قبل يرون أنفسهم دون الفرس ودون الروم ، إلا أن المسلمين بهذا الجيش اللجب وقد أعدوا له أحسن الإعداد وفضعوا مفازة تلك دون قطعها الأنفس ، ثم قفلوا راجعين دون حرب بعد أن انسحب الروم إلى داخل بلادهم ، إما هيبة من اللقاء ، كما يرى البعض ، وإما استدراجاً للمسلمين لثأبتهم في معالمتهم حيث يجارونهم ويستندون إلى خطوط مواصلات جيدة ومؤن وقيرة نعوز جيش المسلمين ، بعد أن سأت به المقازاة عن قواعد في المدينة ، وامتدت به مواصلاته هذا الانداد اليعيد لا يأمن معه اتسحاباً سليماً حين يقطع العدو عليه خط رجعتهم . وكانت حكمة الرسول أن أمر بالعودة ، إلا أن هذه الحكمة قد تقب على الكثيرين كما غابت عنهم حكمة الغزو ، والقصد اليعيد الذي يرمي إليه الرسول صلى الله عليه وسلم من وراءه ، أما وقد غابت هذه الحكمة عنهم ، وإنها ليست لتأمين حدود العرب الشمالية فحسب ، وإنما هي لاتسباح المسلمين بالدعوة إلى ما وراء الجزيرة العربية ، فقد كان على الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعيد الكرة لغزو تلك البلاد التي لا منفذ للمسلمين سواها لاتسباح بدعوة الإسلام إلى العالم الواسع ، فأمر بالإعداد مرة أخرى لغزو الشام ، ولتجاوز الجيش هذه المرة مؤنة تبوك إلى البلقاء والداروم من أرض فلسطين ، وأمر على الجيش أسامة بن زيد ، وكان يومئذ حدثاً لا يكاد يعدو العشرين من عمره ، وجعل فيه المهاجرين الأولين ومنهم أبو بكر وعمر ، وحدد له غايته لا يتجاوزها ، وأن يشمها ذراكاً حتى لا تسيئ إلى أعدائه أنبأؤه ، فإذا أمم له الله النصر لم يسل يفاءه بيتهم وعاد غافلاً مظفراً .

وبتأيت الجيش على أهمية المسير ، لحسن الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام بالرؤفون الأعلى ، وكان عليه الصلاة والسلام ، وقد اشتد عليه المرض . فد أمر بأن ينفض بعث أسامة ، وروي عن أسامة أنه قال : « لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم هبطت وهبطت معي إلى المدينة ، فدخلت على رسول الله وقد أصمت فلا يتكلم ، فجعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها علي ، فأعرف أنه يدعو لي » . ولما ولي أبو بكر أمر المسلمين أمر بانفاذ بعث أسامة على الرغم مما رآه المسلمون من وقفه بعد أن انتفض بعض العرب على المسلمين ، وقال أبو بكر : « والذي نفس أبي بكر بيده لو ظننت أن السباع تحطفي لأتخذت يمت أسامة كما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو لم يبق في الفري غيري لأتخذته » ، ولما طلب الأنصار « أن يولي أمراً رجلاً أقدم سناً من أسامة » ، وحمل عمر بن الخطاب رسالة الأنصار إلى أبي بكر ، فوثب عليه أبو بكر وأخذ يلحجه وقال مقضياً : « كلكم أمك وعذمتك يا ابن الخطاب ، استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمرني أن أتزعه » ، ورجع عمر إلى الناس ، فسألوه عما صنع ، فقال : « أمضوا كلكم أمهاتكم ما لقيت بسبيكم من خليفة رسول الله » . وأعلن أبو بكر على الناس : « ليم يمت أسامة . الا يبقن بالمدينة أحد من جند

وإن عليهم بقع عبء البلاغ لبحملها المسلمون كافة وحدائراً وجماعات إلى الدنيا الواسعة ، وأنفق ذووا اليسار من مالهم على تجهيز الجيش ، أنفق عثمان بن عفان وحده ألف دينار ، وأنفق غيره كل على قدر طاقته غير ضنين ، ونفد كل قادر على نفقة نفسه بعدته وحاجته ، وجاء كثير من الفقراء يتشدون ثواب الجهاد ، فصحب منهم الرسول من استطاع ، واعتذر إلى الباقي وقال : « لا أجد ما أحملكم عليه » ، فتولوا والحزن يعصف بأفئدتهم ، والدموع تقبض من مآقيهم أمي ألا يجيدوا ما ينفون ، وألا يكون هم إلى الجهاد سبيل ، وليكاثم أطلق عليهم اسم البكائين .

وكان هذا الجيش اللجب الذي اجتمع لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثين ألفاً ، وسمي جيش العسرة ، لما واجه الرسول من عناء تكويته ، سار ومحمد عليه الصلاة والسلام على قيادته ، ولم تكن المدينة ، ولا أرض العرب قد شهدت مثل هذا الجحفل الجرار يثور النفع وتسهل الخيل فيموج صهيلها بأصوات المسلمين تعلو بتكبرة الإسلام ، وقد ارتفعت نساء المدينة سفقها بشهدون هذا الجيش اللجب يتقدمه عشرة آلاف فارس ، غترقاً البيداء صوب الشام لا يقف دونه حر أو ظمأ أو خوف مستغية لا يخشى في سبيل الله لقاء قوم ما كانوا يفكرون من قبل في لقاءهم لما عرفوه عنهم من كثرة عديدهم وعدتهم ، ويتحرك من الحراف والقواعد من أخذ يلبه هذا الجحافل في مسيرة الإيمان ، فهذا أبو خيثمة قد راعه هذا المنظر وقد رأى امرأته قد رشت كل منها عريشها ويردت له فيه ماء وهيات له فيه طعاماً فيقول : « رسول الله في الفح والريح والحر وأبو خيثمة في ظل بارد وطعام مهيباً وامرأة حسناء في ماله مقيم ، هينا لي زاداً حتى الحق به » ، فهياتا له زاده ولحن يبالغش ، ورأى غيره ما في التخلف والتعاقص من عار الخوف ومذلة القعود فلحقوا بهم الآخرون بالجيش في مسيرته .

وبلغ الجيش الحجر ، وبها أطال بقية من منازل شؤد متقورة في الصخر ، ثم انطلق إلى تبوك ، فلما انتهى إليها وعرف أن الروم قد أثروا الاتسحاب ، لم يشأ أن يجيهم ، لكنهم أتواهم بالهداية ، وصالحهم ، وأخرجهم إلى الجزيرة ، كما جاءه يوحنا بن روية صاحب أيلة بالهدايا وصالح الرسول صلى الله عليه وسلم على الطاعة والخزينة .

المسلمين للوثوب إلى ما هدهم إليه من سبيل لاتسباح والانتشار ، أما وقد أمن جانب أيلة ، فقد عمل على أن يأمن جانب أكيدر بن عبد الملك الكندي النصراتي أمير دومة الجندل إذا جاءت جيوش الروم من ناحيته وقدم لها العون ، فبعث إليه خالد بن الوليد في خمسمائة فارس ، وانقلب بعد ذلك راجعاً إلى المدينة ، واتقضى خالد على (دومة) في غفلة من ملكها ، وكان قد خرج لصيد بضر الوحش ، ولم يلق خالد مقاومة تذكر ، فأمر (أكيدر) ، وفنحت له (دومة) أبوابها ، فساق منها ألفي بعير وثمناثة شاة وأربعائة وسن من بر وأربعائة درع وذهب بها ومعه أكيدر حتى لحق بالنبي صلى الله عليه وسلم في المدينة ، حيث عرض الإسلام على أكيدر فأسلم وأصبح للمسلمين حليفاً . وكان ما غنمه خالد من دومة هو كل مغانم المسلمين من غزو تبوك .

ولم يبع كثير من أهل المدينة ما حققه غزو تبوك من كسب سياسي وإعلامي ، وكل ما بدا لهم أن الجيش قطع هذه المشقة الطويلة ، وعاف ما عاناه من جهد وتعب ، ثم عاد لم يغتم ولم يأسر ، بل لم يقاتل ، وكل ما قام به أنه شوى إلى تبوك قرابة عشرين يوماً ثم قفل راجعاً ، إلا أن ما جاء به خالد ومعه أكيدر في حلة من ديباج موشى بالذهب ذل لمآرها أهل المدينة قضى على تنذر المسيرين والمتخلفين بمجدوى الحملة ، وإن كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد أخذهم بالشدة حيثاً وباللين حيناً آخر ، وذهب المنخلفون يعتذرون إليه وقد شاب الكذب معاذيرهم ، فأعرض عنهم تاركاً لله حسابهم ، إلا أن ثلاثة منهم صدقوا الله ورسوله ، فأفروا بنخلهم واعترفوا بذنوبهم ، هم كعب بن مالك ، ومراة بن الربيع ، وهلال ابن أمية . ورأى الرسول صلى الله عليه وسلم ألا يفلتهم من العقاب حتى يتوب الله عليهم ، وأمر أن يعرض المسلمين عنهم خمسين يوماً لا يكلمهم أحد ولا تصل بينهم وبين مسلم تجارة ، حتى نزل فيهم قوله تعالى :

أسامة إلا خرج إلى عسكره بالخرف» ، وقد وفد خطيباً بعد أن رد المعترضين منهم وقال : « يا أيها الناس ، إنما أنا مثلكم ، وإني لا أدري لعلمكم مستكلفون ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطبق ، إن الله اصطفى محمداً على العالمين وعصمه من الأقات ، وإنا أنا متبع ولست بمبتدع ، فإن استقمتم فنباعون ، وإن زغت ققوموني » .

ولما آن له أن يودع الجيش وقف في رجاله عطياً وقال : « أيها الناس قفوا أوصكم بعشر فاحفظوها عني : لا تحنوا ، ولا تغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ، ولا تعفروا غللاً ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة ، وسوف تمرن بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع ، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له ، وسوف تقدمون على قوم ياتونكم بآنية فيها ألوان الطعام ، فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شيء فاذكروا اسم الله عليه ، وتلقون أقواماً قد فخصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حوشاً مثل العصائب فاحفظوهم بالسيف خفياً ، اندفعوا باسم الله ، أقتاكم الله بالطعن والطاعون » .

وقال لأسامة والجيش على أهبه المسير : « اصنع ما أمرك به نبي الله صلى الله عليه وسلم ، أبدأ ببلاء قضاة ، ثم الت أبل ، ولا تقصر في شيء من أمر رسول الله ، ولا تعجلن لما خلفت عن عهده » .

وفما روي عنه عليه الصلاة والسلام حين انتصر العرب على الفرس في يوم « ذي قار » أنه قال : « هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم ونصرت عليهم بي » ذلك أنه بعث عام ذي قار . وفيه ما يمكن أن يوحي بأن رسالته بادرة انتصار العرب على جيرانهم الأقوياء من الفرس والروم .

وقد صدق ما غاب عن القوم من حكمة عليه الصلاة والسلام بغزو مؤتة وتبوك وبعث أسامة إلى البلقاء والداروم في فلسطين ، فلم يمض عامان على بعث أسامة حتى كانت جيوش المسلمين تحتاج فارس وبلاد الروم .

ولم يكن تفكير المسلمين في غزو الروم وفارس وليد الأحداث الطارئة أو لشغل العرب عن ثاراتهم وعصبيتهم وأصقاعهم كما يرى بعض المؤرخين ، فإن تكن حروب الردة قد فلت من وحدتهم ونالست أطباعهم ، فإنها لم تسكن مما أجمعت قبائل المرتدين عليها ، فقد كان فيها من رأى في ردهم نقضاً لعهد عقده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم تكن في ذاتها ردة إلى الوثنية بعد أن قضى الإسلام عليها ، وإنما كانت خروجاً على طاعة المذنبه وإنكاراً لسلطانها ، وكان من أبنائها من نفاخر بهم الحجازيين كعمرو بن معدى كرب صاحب الصمصامة وفارس زبيد المعلم . وكان منها من يحرص على سلطانه البدوي وعصبيته الفيلية ، فكانت ردة استعلاء وطمع أكثر منها إنكاراً لدين الحق . أما وقد هان أمرهم ، فلم يعد فيهم إلا من يرجو العفو ليكون خيراً لدين الله ، وقد أبلوا جميعاً في فتوح العراق والشام خير البلاء .

وإنما كان غزو الروم وفارس يعض ما وجه إليه الرسول عليه الصلاة والسلام أنظار المسلمين وما عمل له في حياته بغزو مؤتة وتبوك وبعث أسامة كما قلنا ، وهو ما أشار إليه أبو بكر ، حين دعا إليه عمر وعثمان وعلياً وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وأبا عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وجلة المهاجرين والأنصار والبهديين وغيرهم ، فتحدث إليهم وذكر لهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد صرف همهته إلى الشام فقبضه الله إليه ، واختار له ما لديه « والعرب بنو أم وأب وقد أردت أن استنفضهم إلى الروم بالشام » ، ثم طلب إليهم رأيهم ، فقال عمر : « والله ما استبقينا إلى شيء من الخير فإلا سبقنا إليه ، قد والله أردت لقاءك بهذا الرأي الذي ذكرت ، فما فضي الله أن يكون ذلك حتى ذكرته الآن ، فقد أصاب الله يك سبيل الرشاد . سرب إليهم الخيل في إثر الخيل ، وابتعث الرجال تتبعها الرجال والجنود تتبعها الجنود ، فإن الله عز وجل تاصر دينه ومقر الإسلام وأهله ومنتج ما وعد رسوله » .

فلم تكن مؤتة أو تبوك أو بعث أسامة ليجتاح أرضاً من فلسطين لتأمين حدود العرب الشمالية ، فقد ظلت الجزيرة العربية بآمن من غزو الروم والفرس ، وما كان بهم حاجة إلى المناهة في قبائلها واختضاع أهلها العارفين يدروها ومفاوزها وقد طيعتهم البادية على أسلوب في الحرب ليس لعدوهم معرفة به أو طاقة عليه ، وقد هلك من قبل جيش أبرهة ، فإن رده العرب إلى أمر الله ، فقد رده الآخرون إلى فجاءات الصحراء وأسراها التي تغيب عنهم . وإنما كانت تلك الغزوات والبعوث إلى الشام ، لأن الشام هي منفذ المسلمين بالدعوة إلى الدنيا الواسعة ما دام الإسلام قد بعث للناس كافة ، وما دامت الدعوة إليه واجب المسلمين حتى يعم دين الله الأرض ومن عليها .

وقد سافت الأحداث المسلمين إلى أبعد مما كانوا يأملون ، فقبل أن يخوض المسلمون مسالحي الشام كان المشني بن حارثة الشيباني قد خاض من نفسه مسالحي العراق وأوقع الهزيمة بهمال فارس ، ولم يمض بضع سنين حتى كانت أعلام المسلمين ترفرف على الشام ومصر وفارس في مرجة باهرة من الفتح الإسلامية ، اعتدت من بعد ، إلى سد الصين وإلى سيف الأوقيانوس ، وقامت الدولة الإسلامية بأذخه شماء لنسود عالم العصور الوسطى ، فقد عرف خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته من بعده ، طريقهم إلى نشر الإسلام ، وعرفوا كيف يدعون إليه حيث يقودهم الطريق إلى أرجاء الدنيا الواسعة ، وحيث تكون الدعوة إلى الإسلام نبراساً لما جاءت به رسالة السماء من الحكمة والموعظة الحسنة ، فلا دعوة بغير إعلام ولا إعلام بغير عمل وجهد وخطة ومنهج ، وما من إعلام ينفض إلى عقول الناس وقلوبهم بغير وسيلة ، وما من وسيلة إعلامية تثمر من غير حقيقة تستند إليها وتقوم بها ، وما من معلم يسلك بدعوته بين الناس ويسنبرهم ما لم يكن هو نفسه فدوة لما يدعو إليه ونبراساً لما يجمع الناس من حوله ، كما أنه لا تكليف من غير إعلام ، ولا ثواب ولا عقاب من غير علم ، بفعله تعالى :

« وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا » (سورة الإسراء ، الآية ١٥) .

ولا يم البلاغ من غير علم .

« يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته » (سورة المائدة ، الآية ٦٧) .

فالإعلام شرط البلاغ ، ولكن الإعلام لا يم بغير الحرية ، وما كانت الفتوح الإسلامية إلا لتأمين حرية الدعوة ، والناس بعد ذلك أحوار فيما يختارون ، وكان الإسلام دعوة بالحق قبل أن يكون دعوة بالسيف ، وقد غمرت دعوته أفاقاً لم تطرفها أسياق المسلمين ، وما زالت الدعوة إليه قائمة فؤض عين وفرض كفاية على المسلمين آحاد وجماعات .

المصادر

- ١ - حياة محمد : الدكتور محمد حسين هيكل .
- ٢ - الصديق أبو بكر : الدكتور محمد حسين هيكل .
- ٣ - الإسلام والسياسة : الدكتور حسين فوزي الشجار .
- ٤ - الدعوة إلى الإسلام : الشيخ محمد أبو زهرة .
- ٥ - انتشار الإسلام في القارة الإفريقية : الدكتور حسن إبراهيم حسن .
- ٦ - دائرة المعارف الإسلامية .
- ٧ - مروج الذهب للمسعودي .
- ٨ - الكامل لابن الأثير .
- ٩ - فتوح الشام للواقدي .
- ١٠ - دائرة معارف القرن العشرين ، للسيد فريد وجدي .
- ١١ - Arnold, Sir Thome: The Preaching of Islam.
- ١٢ - Ameer, Sayed: The Spirit of Islam.
- ١٣ - C. de Perceval. Histoire des Arabes.
- ١٤ - Sedillat, Histoire des Arabes.



الذي حمل الراية ، ورفع اللواء ، وبلغ الرسالة ، ونشر الثقافة والحضارة في العالم ، على امتداد هذه القرون الأربعة عشر .

«كيف ننسى تاريخاً صنعناه بالدماء والشهداء ، وبالتضحيات والبطولات ، وصنعه الله لهذا الشرق الإسلامي ..

أضواء علماء

- ١ -

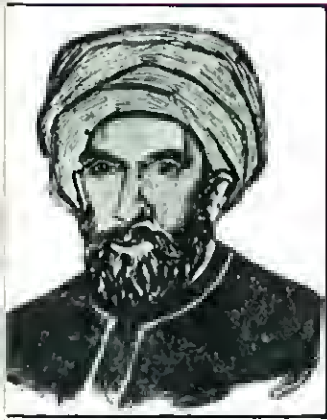
نحن الآن على مشارف القرن الخامس عشر الهجري . وفي مطلع عام ١٤٠١ للهجرة النبوية . نودع عاماً ونستقبل عاماً .

وتتذكر تاريخاً حافلاً مرّ به الإسلام والمسلمون خلال ألف وأربعمائة عام ؛ وتطلع إلى تاريخ جديد نكتبه نحن المسلمين المعاصرين ، ونخطط به لعصر جديد ، ومستقبل عتيق . وما أكثر الذكريات ، ما أحلاها وما أمرها معاً ؛ فما أجل ما صنع الشرق الإسلامي على امتداد الأيام والقرون ، من أجل الإنسان والحياة والمعرفة والحضارة ؛ وما أفدح ما لاقاه من أهوال ويحّن وخطوب على طول الحقب والأجيال .. تاريخ طويل ، وسجل حافل ، وأيام لا تنسى من تخلّده الدهر ، ومن غفل العصور .

وكيف ننسى تاريخاً صنعناه بالدماء والشهداء ؛ وبالتضحيات والبطولات .. وصنعه الله لهذا الشرق الإسلامي الذي حمل الراية ، ورفع اللواء ، وبلغ الرسالة ، ونشر الثقافة والحضارة في العالم ، على امتداد هذه القرون الأربعة عشر .

إن ذاكرة الإنسانية لم تنس ولن تنسى حقوق الإنسان التي كفّلها ورعاها الإسلام ، والتي أقرها المسلمون في أوطانهم ودولهم طيلة أمد طويل ، كان مخضّباً بالدماء ، وبالحروب ، وبالاضطهاد ، وبالاستعباد ، وبأمثال محاكم التفتيش ، وبما هو أسوأ من محاكم التفتيش .

وإن راية الحرية والإخاء والمساواة التي رفعها محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه لم تُنكس أبداً في ظلال حضارات الإسلام العظيمة ، التي أضاعت الشرق والغرب ، والتي بنت للإنسان وللإنسانية صروح الرفاهية والرخاء والسلام والطمأنينة والعدالة على مرور الأيام والأحقاب .



* ابن طفيل *



* صلاح الدين الأيوبي *

لنسال مكة والمدينة ، ولنسال دمشق والفسطاط والقاهرة ، ولنسال القيروان وفاس وقرطبة وإشبيلية ؛ ولنعد بالسؤال مرة أخرى إلى بغداد وجرجان وأصفهان وشيراز ، وإلى سمرقند وبخارى ، وإلى مختلف العواصم الإسلامية في كل مكان من الوطن الإسلامي الكبير ؛ عما قدمت للبشرية من علماء وكشوف علمية ومؤلفات ونظريات وأفكار ، وعما كان فيها من جامعات ومعاهد ومدارس ودور كتب ومراكز آداب وفنون ؛ وعن نبغ فيها من شعراء وأدباء وكُتّاب ومفكرين وفلاسفة وفقهاء ومؤرخين ونقاد ومشرعين وقواد وغير ذلك ..

ولنراجع ذاكرة التاريخ لتحصي لنا ما كان في المدن الإسلامية من متاحف وكنوز وآثار وخطوطات ؛ مما لم ير التاريخ له مثيلاً في شعب من الشعوب ، ولا في مجموعة من مجموعات الأمم المتحضرة ..

وعندما نستعرض تاريخنا لأبد أن نسأل : هل جاد الزمان بمثل أبي بكر وعمر وأبي عبيدة وعلي وعمر بن العاص ؟ .. وهل جاد بمثل الرشيد والمأمون وصلاح الدين والمعز لدين الله

العربية»^(١).

ولا ننسى أن الورق قد بدى بإنتاجه في سمرقند ، حيث أخذه المسلمون عن الصين ، ومن سمرقند انتشر في بقية الأقاليم الإسلامية^(٢).

وأثار حضارة الدولة السامانية (٢٦٢ - ٣٨٩ هـ : ٨٧٤ - ٩٩٩ م) في بخارى وسمرقند ؛ وكذلك آثار الدولة الغزنوية (٣٨٨ - ٥٨٢ هـ : ٩٩٨ - ١١٨٦ م) ما تزال ماثلة في متاحف العالم ، ومنها متحف اللوفر بباريس .

وحدثت عن النهضة الفكرية والأدبية في ظلال دولة الحمدانيين في حلب والشام (٢٩٣ - ٣٨٠ هـ : ٩٠٥ - ٩٩٠ م) على الرغم من المعارك الطاحنة التي دارت بينها وبين الإمبراطورية البيزنطية في ثغور الجزيرة وهذه الثغور كلها من الشام ، وكيف ننسى المحتشبي والفارابي وأبا فراس وابن خالويه والسلامي والوואء الدمشقي والنامي والرفاء وابن نباتة السعدي والصنوبري والخالديين وسواهم ؛ وكان سيف الدولة يحيط نفسه بالشعراء ، ويقرب إليه الفلاسفة والعلماء ، وكان قصره في حلب يحفل بندوات الأدب والشعر ، وفي عهده كانت حلب تضارع بغداد منزلة ومجداً ؛ وقد كان سيف الدولة رائد العروبة في عصره ، وحامي حمى الإسلام ، وقاهر الروم البيزنطيين ، وقد وفد إليه العلماء من أمثال أبي الفرج الأصفهاني (٣٥٦ هـ) صاحب كتاب «الأغاني» المشهور ، وقد أهدى إلى سيف الدولة نسخة منه ، فأعطاه ألف دينار واعتذر إليه^(٣) ، ويقول الشعالي في كتابه «يتيمة الدهر» ، إن عاصمة سيف الدولة - حلب - كانت مقصد الوفود ، ومطلع الجود ، وقبلة الآمال ، ومحط الرحال ، وموسم الأدياء ، وحلبة الشعراء ، ولم يجتمع بباب أحد الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ، ونجوم الدهر^(٤).

وماذا عن الفاطميين في مصر وحضارتهم الزاهية فيها؟ (٣٥٨ - ٥٦٧ هـ : ٩٦٨ - ١١٧١ م) ، وهم بناء الأزهر والآنار والمساجد الفاطمية الكبيرة الباقية على مدى الأيام .

وحدثت عن الجامعات الإسلامية القديمة التليدة ولا حرج : الفسطاط - الأزهر - القرويين - الزيتونة - النظامية - وسواها . . ولا يزال شيخها جميعاً وهو الأزهر باقياً ، وكذلك القرويون ، والزيتونة ؛ وكذلك المستنصرية في بغداد .

وهل ننسى جامعة الفسطاط ، الجامعة الأم ، التي قامت في مصر الإسلامية ، بعد الفتح الإسلامي مباشرة ، على يدي عمرو بن العاص أمير الفتح وأمير مصر آنذاك (توفي عام ٤٣ هـ - ٦٦٣ م) .



وقد صاحب مسيرة التاريخ الإسلامي نشوء المذاهب الفقهية على يدي الأئمة الأربعة : أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل ؛ وجمع الأحاديث النبوية في الكتب

بقلم : د. محمد عبد المنعم حمناحيب

الطريقة



★ اللنبى ★



★ هارون الرشيد ★

وسليمان القانوني؟ .. أو يمثل خالد بن الوليد وسعد بن أبي وقاص ويبرس والملك المظفر قطز؟ .. وهل جاد يمثل مالك والشافعي وأبي حنيفة وأحمد بن حنبل؟ .. أو يمثل الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد وابن طفيل والغزالي وسواهم .

وحدثت عن آلاف الأعلام الذين اشتركوا في بناء صروح التقدم والمعرفة والمدنية في العالم على مدى عصور طويلة .

يقول فلبس : «إنه عند مفترق عصرين : عصر تعطلت فيه العلوم والفنون ، فغشى الدنيا كلها ظلام وجهل ؛ وعصر تألق فيه نجم المعرفة بعد كسوف طويل ، سوف ندرك مدى النهضة الفكرية الشاملة ، التي عاشها المسلمون ، وكانت بشيراً بحضارة إنسانية رفيعة ، تمثلت في تنقيب العلماء عن كنوز الماضي الدفينة ، حتى أصبحت علوم الإغريق بعد احتباسها في متناول العالم ، بعد أن نقل علماء المسلمين كتب الفلاسفة وعلماء الفلك والطب والنبات من الإغريقية إلى

بولديه الأمين والمأمون إلى الإمام مالك لسباع كتابه «الموطأ» منه^(٧).

وحاقت بالمسلمين محنة أخرى هي الغزو المغولي للعالم الإسلامي، وتدميرهم لبغداد، وقضاؤهم على الخلافة العباسية عام ٦٥٦ هـ - ١٢٥٨ م، بقيادة هولاكو المغولي شقيق إمبراطور الدولة المغولية ماغوخان في شرق آسيا^(٨)، ولقد اجتاحت المغول العالم الإسلامي وطوقوه تطويقاً كاملاً، ودمروا مراكز الثقافة والحضارة في ربوعه، ولم يبقوا عند بغداد، بل زحفوا غرباً إلى الشام وفلسطين، قاصدين مصر لغزوها. وفي «عين جالوت» من أرض فلسطين دارت المعركة الرهيبة بين السلطان الملك المنصور قطز وسين جيش المغوليين وذلك في ٢٥ من رمضان عام ٦٥٨ هـ - ٤ من سبتمبر (أيلول) عام ١٢٦٠ م، وانتهت المعركة بالنصر العظيم للملك قطز وجيشه الباسل الذي كان يقوده القائد المشهور بيبرس.

وبعد هذا النصر العظيم انتقلت الخلافة العباسية إلى مصر، وحملت راية الدفاع عن العالم الإسلامي طيلة عصر المماليك. وقد كان هذا النصر سبباً من أسباب عودة الثقة والأمان والطمأنينة إلى العالم الإسلامي، وإقباله من جديد ومرة أخرى على العمل من أجل بناء الحضارة وتعمير البلاد من آثار التدمير المغولي.

ومن الأحداث الكبرى في تاريخ الإسلام أن إمبراطور المغول غمازان خان أعلن إسلامه في الرابع من شعبان عام ٦٩٤ هـ - ١٨ من يونيو (حزيران) عام ١٢٩٥ م، وبذلك أثر اعتناق الإسلام، ودخل جميع رجال دولته في الدين الجديد، وبذلك عاد المغول إلى التكفير عن ذنوبهم وخطيئاتهم التي ارتكبوها في كل مكان في أنحاء العالم الإسلامي.

وفي يوم الجمعة ١٥ من جمادى الآخرة عام ٦٩٠ هـ - ١٥ من يونيو (حزيران) عام ١٢٩١ م، تحررت أرض فلسطين من الاستعمار الصليبي الأوروبي، وعادت أرض فلسطين لأهلها من العرب بعد استعمار صليبي طويل للأرض المقدسة، دام نحو قرنين من الزمان. ومرت الأيام، وكان فتح القسطنطينية على يدي محمد الفاتح العثماني عام ٨٥٧ هـ - ١٤٥٣ م، من أهم أحداث التاريخ الإسلامي بل العالمي كله، وكان من نتائج فتح القسطنطينية آنذاك انتشار النفوذ الإسلامي في شرقي أوروبا، وخضوع كثير من الشعوب الأوروبية لحكم العثمانيين.

وقد مني العالم الإسلامي مرة أخرى بنكبة هزت أعماق كيانه وهي سقوط غرناطة، وضياح الأندلس من أيدي المسلمين، وذلك عام ٨٩٧ هـ - ١٤٩٢ م.

وكان فتح الأتراك العثمانيين لمصر، ودخولهم القاهرة، يوم الاثنين الثالث من المحرم عام ٩٢٣ هـ - ٢٦ من يناير (كانون الثاني) عام ١٥١٧ م، ونقلهم الخلافة العباسية وكنوز مصر وأثارها وتراثها إلى القسطنطينية من أهم أحداث التاريخ الإسلامي الكبير.

ومن أهم معالم تاريخنا^(٩) ظهور الدولة السعودية في الجزيرة العربية، وظهرت الدولة السنوسية في ليبيا، وظهر المهدي في

الصالح المشهورة، وفي كتب المساند الموثقة، وظهر أعلام المحدثين؛ وفي مقدمتهم: الإمام البخاري (١٩٤ - ٢٥٦ هـ: ٧٧٠ - ٩٦٦ م) ومسلم (١٩٦ - ٢٦١ هـ: ٨١١ - ٨٧٤ م)، وسواهما.

وكان الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١ هـ: ٧٨١ - ٨٥٥ م) يعد من أئمة الفقهاء ومن أعلام المحدثين، وكتابه «مسند أحمد» مشهور ومطبوع؛ وكان من أكثر الناس دراية بكتاب الله، وأوسعهم إحاطة بمعانيه، وأعمقهم فهماً لأحكامه؛ إلى تعمقه في الثقافة الإسلامية والعربية والأدبية.

وعلى يدي الإمام أحمد وعلى فقهه واجتهاده تخرجت أجيال من العلماء خدموا الإسلام والمسلمين في كل عصر وكل جيل، وفي مقدمتهم: أحمد تقي الدين بن تيمية (٦٦١ - ٧٢٨ هـ: ١٢٦٣ - ١٣٢٨ م)، ومحمد بن قيم الجوزية (٦٩١ - ٧٥١ هـ: ١٢٩٢ - ١٣٥٠ م) تلميذ الإمام ابن تيمية، بل هو من ألع تلاميذه، والوارث لتراثه العلمي البليغ؛ وعلى سنتهم فيما بعد سار الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١١١٥ - ١٢٠٦ هـ: ١٧٠٣ - ١٧٩٢ م)، رائد الدعوة الإصلاحية السلفية وإمامها في العصور الأخيرة. ودعوته كانت «الصرخة المدوية، والصيحة القوية» التي نهبت الأمة من رقبتها، ووجهت الأفكار إلى البحث ومناقشة الآراء وقرع الحجة بالحجة^(١٠).



وقد كانت محنة الحروب الصليبية التي امتدت طويلاً، وأنهكت العالم الإسلامي، من أسباب وقوف نحو الحضارة الإسلامية، وجود حركة العلوم والآداب والفنون طيلة القرن السادس، بل كانت سبباً من أسباب انتهاء دول إسلامية كبيرة، وظهر دول أخرى حلت محلها في حكم الرقعة الطويلة الممتدة في العالم الإسلامي.

وكان انتصار صلاح الدين الأيوبي على الصليبيين في معركة «حطين» المشهورة (٢٣ من ربيع الآخر ٥٨٣ هـ - ٣ يوليو (تموز) ١١٨٧ م)، وهزيمة الصليبيين أمامه هذه الهزيمة الساحقة المدوية، واستيلاء صلاح الدين على بيت المقدس إثر ذلك (في ٢٧ من رجب عام ٥٨٣ هـ - ٣ من أكتوبر (تشرين الأول) ١١٨٧ م)؛ من أحداث التاريخ الإسلامي الكبرى، التي هزت الشعوب الإسلامية هزاً عتيفاً، من أقصى أطراف العالم الإسلامي إلى أقصاه؛ وكان ظهور صلاح الدين من أهم معالم التاريخ في القرن السادس الهجري، بل في جميع القرون؛ ومع تفرغه للدفاع عن الشرق الإسلامي، ولمقاومة الغزو الصليبي ودحره، كان محباً للعلم والعلماء، أنشأ المدارس والجامعات، وشجع العلماء والطلاب، ويقول السيوطي عنه: إنه رحل إلى الإسكندرية بولديه الأفضل والعزیز لسباع الحديث من الإمام السلفي^(١١)، ولم يعهد ذلك من ملك إلا هارون الرشيد، فإنه رحل



ولقد دمر الاستعمار الأوروبي العالم الإسلامي تدميراً شديداً ، حيث قضى على معظم كنوزه وذخائره ومتاحفه ودور كتبه ، وقضى على الحركة العلمية والأدبية وعلى الثروات فيه ، وجعل الناس يعيشون في فقر مدقع ، وحارب الدين واللغة العربية حرباً شعواء ، ونشر دعوات التبشير في كل مكان ، كما نشر المدارس الأجنبية ومدارس الإرساليات التبشيرية في ربوعه .

واستنفذ الجهاد من أجل تحرير الوطن الإسلامي من نير الاستعمار الغربي جهداً ووقتاً طويلاً ، واستلزم تضحيات هائلة لا نهاية لحدودها .

وقامت دولة باكستان ، ولكن أيدي الاستعمار فصلت عنها دولة سموها دولة البنغال ؛ وحارب التبشير والاستعمار الأقليات المسلمة في كل مكان ، وهاجمت الشيوعية العالمية العالم الإسلامي مهاجمة حاكمة ، ولا زالت تعيث في ربوعه وأراضيه فساداً حتى اليوم .



ماذا تصنع - نحن المسلمين - ونحن على أبواب القرن الخامس عشر الهجري ؟

لا ريب أن العالم الإسلامي لا بد له من أن يوحد صفوفه ، ويجمع شمله ، ويرأب الصدع الذي لحق به . ثم عليه أن يحافظ على تراثه وأصول نهضته ومقومات روحه ، وعلى أصالته بصفة خاصة .

وأهم واجب على المسلمين أن يتحرروا من استعباد المبادئ الهدامة لهم من إلحادية وشيوعية وعلمانية وغيرها . ثم عليهم أن يسعوا بكل جهدهم وطاقتهم للحاق بركب الحياة المعاصرة في العلوم والتكنولوجيا الحديثة وفي كل جانب من جوانب الحياة .

وعلى الجامعات الإسلامية أن تتعاون فيما بينها من أجل الدعوة إلى الإسلام ، ومن أجل محاربة التخلف والجهل والإلحاد في صفوف المسلمين .

ولا بد للعالم الإسلامي من العناية بمخطوطات كتب التراث والعمل على نشرها وتحقيقها .

وعليه أن يحارب البدع والخرافات والأوهام والتخلف بكل ما يستطيع ، مع الاهتمام الأكبر ببحور العقيدة وتصحيحها في أذهان الناس .

والتكامل الاقتصادي والثقافي بين دول العالم الإسلامي ضرورة ملحة يقتضيها العصر والحاجة إلى القوة ، وإلى دفع الهجوم المستمر الذي تتعرض له الشعوب الإسلامية من أعدائها المنتمين للتكالبين عليها وعلى

ولا بد للعالم الإسلامي من تطبيق الشريعة الإسلامية تطبيقاً كاملاً وسريعاً وشاملاً لا هوادة فيه ، فالحكم بما أنزل الله ضرورة دينية واجتماعية وسياسية في وقت واحد ؛ وقيام المجتمعات الإسلامية على الأخلاق والفضيلة هو أمثل الطرق لتكوين الجماعات الدولية .

وأهم واجب على العالم الإسلامي الإيمان بالعدالة في كل شيء والزام كل المسلمين بها حكماً ومحكوماً ، والفصل في كل أمر كبير أو صغير وفق قوانين العدالة الحتمية الإلهية التامة .

ومن الضروري أن يكون نظام الاقتصاد في العالم الإسلامي موحداً وسائراً وفق النظام الاقتصادي الإسلامي ، حتى تعادل الموازين ، وتستقيم الأمور ، ويتحقق الإصلاح الشامل .

وعندئذ سيصبح للمسلمين كيان ، وسيصير لهم شوكة وقوة ، وسيحترمهم العالم كله ، ما داموا ملتزمين بمبادئ الإسلام وإنسانيته وقيمه وفضائله وأصالته وطهره وتوحيده .

إن العالم الإسلامي هو القوة الجديدة التي يجب أن تظهر على مسرح الحياة الدولية ، والتي يجب أن تتسلح بالإيمان والأخلاق والفضائل ، وبالعلم والمعرفة الذين لا حد لهما . وما دام المسلمون ينصرون الله ، فالله ناصرهم ، إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم .

الهوامش

- (١) كتاب هارون الرشيد ، تأليف جون فيليبي ، ص ٦٠ ، بالإنكليزية .
- (٢) ص ٢١ ، كتاب الفنون الإيرانية ، د . زكي محمد حسن .
- (٣) وفيات الأعيان لابن خلكان ، ص ٤٧٥ ، من الجزء الأول .
- (٤) راجع ترجمة الثعالبي لسيف الدولة في الجزء الأول من (تيمة الدهر) لأبي منصور الثعالبي .
- (٥) ٢٠٢ قادة الفكر الإسلامي ، عبد الله بن سعد البرويش ، نشر مكتبة عيسى الحلبي ، القاهرة .
- (٦) من أشهر اعلام العلماء في العصر الفاطمي والأيوبي ، توفي عام ٥٧٦ هـ ، في الإسكندرية عن أكثر من مائة عام (راجع ٢/٧٣ قصة الأدب في مصر) .
- (٧) راجع كتاب السيوطي «حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة» ، وكتابه الآخر «تاريخ الخلفاء» .
- (٨) كانت عاصمتهم هي قره قوروم في شمال الصين . ويلاحظ أن فتح بغداد كلف الخلافة العباسية قتل مليون وثلاثمائة ألف نفس في تقدير الذهبي في كتابه «دول الإسلام» ، أو ثمانمائة ألف نفس فقط في تقدير ابن الفوطي المؤرخ العراقي . ويروي ابن العباد الحنبلي أن القتل والسبي استمر في بغداد أربعين يوماً (شذرات الذهب في أخبار من ذهب لابن العماد) .
- (٩) من أهم الدول الإسلامية التي قامت في الشمال الإفريقي : دولة المرابطين - دولة الصنهاجيين - دولة المرينيين - الأغالبة - الأدارسة - السعديين - الموحدون - الحفصيين - العلويين أو الفلاليين - الدولة الطولونية والأخشيديّة والفاطمية والأيوبيّة والمماليك في مصر - ثم جاء الحكم العثماني لمصر . وفي نهايته ظهر محمد علي .

"إن الفلسفة العربية لم تنجب عقلاً مبتكراً كعقل الغزالي"
"ارتست دنيان"

الغزالي

وفلسفته

بصام : جلال العشري

في مهرجان أبي حامد ، والعالم الأدبي يحتفل بذكراه ، يحلو لنا أن نبث بنحية التقدير والإعجاب إلى ذلك الفيلسوف الصوفي الكبير الذي ارتفع بأرائه وتعاليمه إلى آفاق لم تشارفها جبهة الفلاسفة والمتصوفة إن في الشرق أو في الغرب في القديم أو في الحديث حتى غدا مفكر العربية ، بل مفكر الإنسانية الجدير بأن يحتفل اليوم بذكراه .

سقراط في العصر القديم ، وأغسطين في العهد الوسيط ، وكيركجارد في العهد الحديث . فضلاً عن الغزالي الذي عاش طوال حياته عقلاً صاحباً بهم في عالم الفكر ، وروحاً معذباً يخلق في سماء الدين ، فلم يستمتع بما في حياة سائر الناس من تجانس وتكرار وابتذال ، بل تحور من أسرار الطبيعة ، وتخلص من قسر المجتمع ، واتخذ من تجاربه النفسية العميقة وأزماته الوجدانية الحادة مادة لتأملاته الفلسفية .

وهو يقص علينا ترجمة حياته الروحية في كتابه «المنقذ من الضلال» تلك الرسالة الصغيرة والجليلة معاً ، المليئة بالعبارات اللطيفة المتناقلة ، والتي تمثل اعترافات الغزالي الفلسفية من ناحية ، وتقابلها من ناحية أخرى في العالم الغربي رسالة القيلسوف الفرنسي ديكارت «المقال في المنهج» و«الفرق كبير بين الاعترافات الفلسفية كما نجدها في «المنقذ» أو في «المقال» وبين الاعترافات الأدبية كما نجدها عند «روسو» أو «تولستوي» ، فالنوع الثاني من الاعترافات يكاد يكون خاصاً بمحيث

ولو أننا حاولنا أن نرسم صورة لأبي حامد الغزالي ، لاستطعنا أن نراه في العقل الروحاني الملهم الذي لم تحدده ألوف الظواهر عما يكن وراءها من لباب ، ولا شغله وهم الزمان عن الارتفاع إلى العالم الأبدي ، ولا منعه وهج المادة البراق من الحنين الدائم إلى إدراك المطلق ومعركة الله .

ولكي نقدر هذه الصورة حق قدرها لا بد لنا أن نضعها في الإطار الخاص بها ، ذلك الإطار الذي صنعه حياة الرجل وآراؤه . فالغزالي من أولئك الفلاسفة الذين تتصل حياتهم بفلسفتهم أشد الاتصال ، فلا يمكن أن نفهم فلسفتهم بمعزل عن حياتهم لأنهم يحققون في هذه الحياة نفس الفلسفة ، أو لأن نفس الفلسفة مستخلصة من هذه الحياة . وحينما يتصدى الباحث لأمثال هؤلاء يجب عليه أن يعنى بظواهر حياتهم الرئيسية عساه أن يتبين المنحنى الذي سار عليه تطورهم الروحي . وأوضح مثال لهذا النوع من الفلاسفة



★ الغزالي ★

● والثاني كتاب : « إحياء علوم الدين » ، وفيه نظريته في المعرفة .

● والآخر : « كيمياء السعادة » ، وفيه نظريته في الأخلاق .

والركيزة المحورية التي تدور عليها آراء الغزالي هي نقده لمبدأ السببية ، ذلك النقد العبقري الذي ارتكز عليه في مهاجمة الفلاسفة الإسلاميين ، وإثبات تهاقضهم في ثلاث مسائل هي قولهم بأن العالم قديم ، وأن الله يعلم الكلليات ولا يعنى بالجزئيات ، ثم انكارهم بعث الأجساد . وهو يندقش نظريات الفلاسفة بمنطق الفلاسفة أنفسهم ، فيثبت قصورهم ويعلو عليهم ويفهم ما فاتهم أن يفهموه .

وقد ناقش الغزالي مسألة السببية ، فاستبعد أن يكون التابع المشاهد في الوجود بين الأسباب والمسببات دليلاً على الضرورة التي يستلزم فيها وجود السبب إيجاد المسبب ، فالأشياء عنده مستقل بعضها عن بعض بحيث إن إثبات أحدها أو نفيه لا يتضمن إثبات أو نفي الآخر . والأسباب عنده مقارنات تجري بها العادة دون أن يكون في اقترانها دليل على أن السابق منها ينشئ اللاحق ، وإنما السبب هو الذي يحصل عنده المسبب ولا يلزم عقلاً أن يحصل به . أو كما قال في كتابه « تهاقت الفلاسفة » :

« إن الاقتران بين ما يعتقد في العادة سبباً وما يعتقد مسبباً ليس ضرورياً عندنا . بل كل شئئين ليس هذا ذاك ولا ذاك هذا ، ولا إثبات أحدهما متضمن لإثبات الآخر ولا نفيه متضمن لنفي الآخر . فليس من ضرورة وجود أحدهما وجود الآخر ولا من ضرورة عدم أحدهما عدم الآخر ، وليس للفلاسفة من دليل على قولهم إلا مشاهدة حصول الاحتراق عند ملاقة النار ، والملاحظة تدل على الحصول عنده ولا تدل على الحصول به » .

وبذلك أحدث الغزالي ثورة في تاريخ الفلسفة لا تقل في عنفها وخطر نتائجها عن تلك الثورة التي أحدثها كوبرنيكس في علم الفلك ، وكانظ في نظرية المعرفة ، إلا أنها ثورة لم يدرك الفكر الإسلامي أهميتها حتى الآن .

وفي موقف الغزالي هذا معارضة صارخة لمذهب أرسطو ، كما أخذ به الفارابي وابن سينا وغيرهما من جاء كلامهم تعبيراً عن الروح اليوناني أكثر من تعبيره عن روح الإسلام . فابجو الإسلامي المشيع بالتصور الديني ، القائل بإمكان وقوع المعجزة وأن الفاعل الحقيقي لكل شيء هو الله ، لا يمكنه أن يتقبل قانون السببية الذي يؤدي قبوله إلى عدم تصديق معجزات الأنبياء ، وإلى القول باستحالة الخلق من لا شيء ، وإلى اعتبار الله « محركاً لا يتحرك » ومفكراً لا يفكر إلا في نفسه ، ولا يعرف شيئاً عن وجود الإنسان . فأرسطو مثل سبينوزا يعتقد أنه بينا يتحتم على

يهم صاحبه أكثر مما يهم فرداً آخر سواء ، وإن اهتم به الآخرون فلما فيه من متعة وجمال عبادهما روعة العرض وصدق الانفعال . وذلك بعكس النوع الآخر من الاعترافات الذي يعنى بأمورهم صاحبها بقدر ما تهم الناس لأنهم يقرؤون فيها مشكلاتهم . تلك المشكلات التي تتعلق بالوجود والله والإنسان ، والتي استطاع الفيلسوف أن يرتفع بها من الجزئي الخاص إلى الكلي العام ، وأن يعرضها عرضاً يلقي بها الضوء على الضمير الإنساني كله .

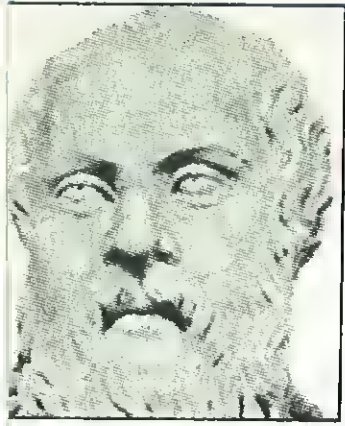
ونعود إلى الغزالي فنجدته يقول في مطلع كتابه هذا : « كان التعطش إلى درك حقائق الأمور دأبي وديني من أول أمري وريعان عمري ، غريزة وفطرة من الله وضعنا في جيلتي لا باختيارى وحيلتي حتى انحلت عني رابطة التقليد ، وانكسرت على العقائد الموروثة على قرب عهد سن الصبا » .

ثم حدثنا الغزالي عما عاناه في استخلاص الحق من بين اضطراب الفرق . . علماً استفاده أولاً من علم الكلام ، وما اجتواه ثانياً من طرق أهل التعلم ، وما ازدراه ثالثاً من طرق التفلسف ، وما ارتضاه آخراً من طريقة التصوف . كما حدثنا عن الستة أشهر التي قضاها مريضاً يعاني آلام الشك ، حزناً يقاسي مرارة الضياع ، حتى هتف به هاتف باطني أعاد إليه يقين الحقيقة العقلية ، وكشف له بهاء الحرية الروحية ، ومكنه من معرفة الله ، وكان هذا الهاتف هو النور الذي زرعه الله تعالى في قلبه ودعاه « إلى التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود » .

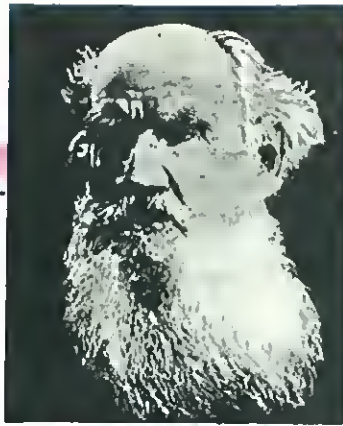
وكان عصر الغزالي عصر المحلل ديني وخلق وعصر ضياع ، فأراد أن يأخذ على عاتقه عبء الإصلاح ، وبينما كان الصليبيون يتأهبون في الغرب لمهاجمة الإسلام ، كان الغزالي يتبأ لأن يكون مناضلاً روحياً عن الدين الإسلامي ، وكما قدر للفردوسي أن يكون شاعر الفرس العظيم ، قدر لمواطنه الغزالي أن يكون عند جميع المسلمين « حجة الإسلام » .

والفلسفة الغزالية مبسطة في ثلاثة كتب مشهورة نال بها الغزالي مكانة ومكانته في تاريخ الفكر الإنساني .

● أولها كتاب : « تهاقت الفلاسفة » ، أي نقد المعرفة الإنسانية ويمثل القطب السالب في فلسفته .



★ سفاط ★



★ نولسي ★

وقد استطاع الغزالي بما له من حرارة الإيمان وبراعة الأسلوب وقوة الحجة أن يجعل من التصوف علماً إلى جانب ما فيه من عمل ، وأن يتسامى به إلى منهج ذوقي يوصل إلى المعرفة ، وطريق روحي يساعد على تحقيق السعادة .

أما كيف وفق الغزالي في حركته هذه ، فهذا ما يقودنا إلى القطب الموجب في مذهبه ، أعني نظريته في المعرفة التي أودعها كتابه « إحياء علوم الدين » . فعند الغزالي أن أفراد الإنسان ليسوا سواء في القدرة على تحصيل المعرفة وبالتالي ليسوا سواء فيما ينبغي عليهم أن يعرفوه . فهناك للإيمان أو لليقين مراتب ثلاث :

●● **أولها :** إيمان العوام المستند إلى الخبر ، وهؤلاء لم يخلصوا بعد من قيود الحس ، ولهذا يجب عليهم أن يكتفوا بالقرآن والحديث ، وألا يتجاوزوا نصوص الكتاب والسنة إلى الفلسفة ، لأن النظر العقلي في أمور الدين ، كما يقول الغزالي ، يشبه خوض البحر ، ولا يجوز لمن لا يعرف السباحة أن يقترب من مزلق الشطوط .

●● **وثانيها :** إيمان العلماء الذي يصلون إليه بالاستنباط ، وهؤلاء كمن يلقون بأنفسهم في البحر كي يتعلموا السباحة ، ولكنهم قد يقعون في الشك والكفر ، لهذا يجب عليهم ألا يتجاوزوا علم الكلام وما كتب في الرد على الفلاسفة .

●● **أما المرتبة الثالثة :** فهي إيمان العارفين وهؤلاء لا يقفون عند ظاهر النص ولا يكتفون بمنطق العقل ، بل يرتفعون إلى نوع آخر من العلم بزرعه الله في القلب فيشهدون الحق بنور اليقين . وهذه هي معرفة الصوفية التي تقوم على أساس من الذوق الروحي ، والكشف الإلهي ، وتحصل للواحد منهم إذا هو « قطع علاقة القلوب عن الدنيا . بالتجافي عن دار الغرور ، والإنابة إلى دار الخلود ، والإقبال بكنهه الهمة على الله تعالى » . ولقد بلغ الغزالي نفسه هذه المرتبة ، ولكنه لما بلغها قال :

فكان ما كان مما لست أذكره

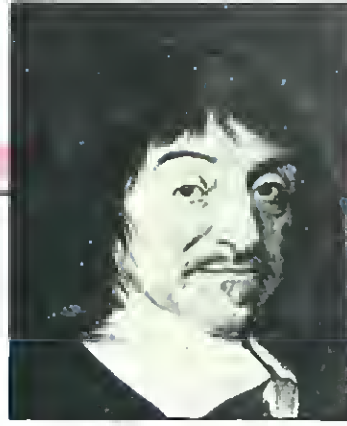
فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

الناس أن يحبوا الله ، يستحيل على الله أن يحب الناس .

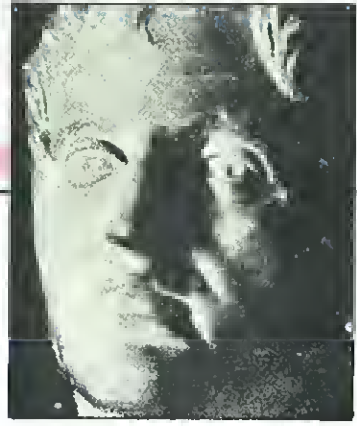
أما الغزالي فهو مدين بالجانب الأكبر من نقده إلى ما استوحاه من القرآن الكريم ، بحيث نرى المتكلمين من قبله كأبي بكر الباقلاني صاحب « إعجاز القرآن » ، ومن بعده كعضد الدين الأيجي صاحب « المواقف » ، يميلون جميعاً إلى القول بهذا الرأي . ومن الطريف أن هذا الرأي قال به الغزالي في القرن الحادي عشر للميلاد هو نفسه الرأي الذي قال به دافيد هيوم بعد ذلك بحوالي ستة قرون . وسواء أطلع هيوم على كلام الغزالي أو لم يطلع عليه ، فما لا شك فيه أن الغزالي كان أسبق ، وأن هيوم كما قال عنه المستشرق الفرنسي رينان : « لم يقل شيئاً أكثر مما قاله الغزالي » . فالسببية عند هيوم معناها التتابع الملحوظ بين حادثتين أو مجموعتين من الحوادث ، تتابعاً يسمح لنا أن نتوقع حدوث المجموعة التالية إذا حدثت المجموعة الأولى ، دون أن يكون في المجموعة الأولى التي يقال لها « سبب » ما يحتم بالضرورة أن تصدر عنها المجموعة الثانية والتي يقال لها « مسبب » . فنحن في حدود مدركاتنا الحسية لا نشاهد ما بين الأحداث من ضرورة وإنما نشاهد ما بينها من تتابع . وليس لنا بأي حال من الأحوال أن نتجاوز حدود المدرك الحسي لاستطلاع ما وراءه من علاقة ضرورية تربط ما بين السابق واللاحق . وبذلك استطاع هيوم أن يضع الأساس الأول للتفكير العلمي المعاصر ، والذي يجعل العلم قاصراً على الوصف دون أن يتجاوزوه إلى التفسير .

وجاء العلم الحديث مؤيداً لما ذهب إليه الغزالي ، فالنظرية التوجيهية كما قال بها « دي بروي » ، زعزعت مبدأ الحتمية العلمية وقضت على فكرة الضرورة في قوانين الطبيعة ، ونظرية « الكم » كما قال بها « ماكس بلانك » أثبتت أن الذرات تبعث الطاقة فيما يشبه القفزات ، بحيث لا يمكن تحديد النسبة بين الطاقة وبين تتابع الاشعاع ، ونظرية اللاتعيين ، كما قال بها « هايزنبرج » قضت على مفهوم اليقين العلمي ، وأثبتت أن قوانين الطبيعة إحصائية أو احتمالية وليس إسلامية أو يقينية ، أي أن حدوث الظواهر أصبح مجرد احتمال في نظر العلم .

وفي هذا كله ابتعاد عن مفهوم السببية بسالغنى الشائع فيما قبل الغزالي ، واقترب من المفهوم الذي قال به الغزالي لأول مرة في تاريخ الفكر والفلسفة ، على أن الغزالي لم يكن يقصد بكتابه « نهات الفلاسفة » مجرد نقد الفلسفة أو تجرييح الفلاسفة ، وإنما هو أراد أن يثبت قصور العقل الإنساني عن الوصول إلى الحقيقة المطلقة من ناحية ، كما أراد أن يكشف من ناحية أخرى عن طريق أقدر على بلوغ المعرفة وتحقيق السعادة ، وذلك هو طريق القلب الذي يصطنعه المتصوفة .



* ديكارت *



* أرسطو *

المعرفة نفسها أدق والطف وكانت اللذة الحاصلة منها أقوى وأروع ، فعلى الإنسان إذن أن يسعى إلى معرفة الله ما دامت تلك هي أقصى مراتب السعادة .

وهكذا استطاع الغزالي أن يكون رجل عمل إلى جانب كونه رجل نظر ، فأكمل الحياة النظرية بالحياة العملية ، وتوج المعرفة بالأخلاق . ولذا عاد من طريق العزلة إلى دنيا العمل يعلم الناس سبيل الحق والإيمان . ونعود إلى ترجمته الروحية أو إلى « المنقذ من الضلال » فزاه يقول في خاتمة المطاف مفرقاً بين تعليمه قبل وبعد العزلة : « وأنا أبغي أن أصلح نفسي وغيري ، ولست أدري أصل إلى مرادي أم أخترم دون غرضي ؟ ولكني أومن إيمان يقين ومشاهدة أنه لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » .

وهكذا نرى كيف أنه في عصر الغزالي كان العلم فاسداً لعدم قيامه على المنهج الصحيح ، وكيف كانت الأخلاق فاسدة لعدم وضعها على الأساس السليم ، وكيف كان النظر الديني فاسداً لعدم اتجاهه إلى الطريق القويم . ولهذا كله كان على الغزالي أن يضع فلسفة جديدة تبدأ من طريق مخالف للطريق الذي سار فيه الفلاسفة المشاؤون ، إذ كان عليه أن يبدأ لا من العقل بل من القلب لكي يصل إلى نفسه وإلى العالم وإلى الله . والدعوة التي قام بها الغزالي في الإسلام شبيهة بتلك التي قام بها كانط في ألمانيا في القرن الثامن عشر ، عندما كشف كتابه « نقد العقل الخالص » عن قصور العقل الإنساني عن إثبات الحرية وخلود النفس ووجود الله . ففضى بذلك على المذهب العقلي الذي كاد يحور العقيدة من الدين ، واليقين من المعرفة ، والمبادئ من الأخلاق .

وبعد . . فنلك صورة مصغرة لأبي حامد الغزالي ، إمام التصوف والفلسفة ، إلا أنها صورة نرى فيها كيف كان الغزالي فيلسوفاً يمتاز بملكة نادرة بين الفلاسفة ، هي ملكة النقد التي مكنته من وضع الأسس الأولى للنقد الفلسفي من ناحية ، والفلسفة النقدية من ناحية أخرى . وكيف كان صوفياً يتسامى بالتصوف إلى نظرية تؤدي إلى بلوغ المعرفة ، وطريقة تساعد على تحقيق السعادة .

وحسب الغزالي أن يقول عنه رينان : « إن الفلسفة العربية لم تنجب عقلاً مبتكراً كمعقل الغزالي » ، وحسبه أيضاً أن يضمه أوبرمان في صف سقراط ، وأفلاطون ، ومالبرانش ، وليبنيتز ، وكناط .

والواقع أن التأمل في فلسفة الغزالي الصوفية لا يسعه إلا أن يقدرها كل التقدير ، وأن يعجب بها كل الإعجاب ، ذلك لأنها فلسفة تعبر أروع تعبير عن الجانب الإلهي في الإنسان .

وفرق كبير بين التصوف الذي يقتصر على الرياضة والمجاهدة بقصد تقويم السلوك وتهذيب الأخلاق ، والتصوف الذي يتجه إلى البحث في مشكلات الطبيعة وما بعد الطبيعة ، ويعتمد على الحساسية النفسية ، واليقظة الفكرية ، والإلهام الروحي .

وشبه كبير بين ما ذهب إليه الغزالي وما يذهب إليه الفيلسوف الفرنسي المعاصر هنري برجسون في تفرقة المشهورة بين « الأخلاق المغلقة » و « الأخلاق المفتوحة » ، فالأولى بيولوجية تتخذ مادتها من الإنسان الأدنى ، وتخضع للضرورة الاجتماعية ، وتقوم على القسر الاجتماعي ، بينما الأخلاق الثانية روحية تعلق على مستوى العقل ، وتتجه نحو الحياة الصاعدة ، وتتخذ مادتها من الأبطال والمصلحين . وهؤلاء عند برجسون لديهم قدرات خاصة على الإحساس بانفعالات جديدة ، لأنهم يتصلون بالمصدر الأصلي للحياة الذي تصدر عنه شتى ضروب الإبداع ، ونحن نستجيب لنداء البطل لأنه لا يخاطب فينا العقل بقدر ما يحرك الوجدان ، ولا يدفعنا من الخلف بقدر ما يجذبنا من الأمام وكذلك المصلح ، وكذلك الغزالي .

ولا يقف الغزالي عند مجرد وضع نظرية في المعرفة ، بل هو يقيم عليها نظرية في الأخلاق حتى يكتمل له النسق المذهبي ، فالحياة النظرية أو المعرفة لا تستقيم حتى تكملها الحياة العملية أو الأخلاق . ولقد أودع الغزالي نظريته الأخلاقية كتابه « كيمياء السعادة » الذي ذهب فيه إلى أن كل نوع من المعرفة له نوع من السعادة . وانتهى فيه إلى أن سعادة الإنسان إنما تكون في معرفة الله أكثر وأمتع مما تكون في معرفة أي شيء آخر . فإذا كانت سعادة الحواس في مشاهدة المناظر الجميلة ، وسماع الأصوات الرخيمة ، وشم الروائح العطرة إلى آخر هذه الأمور .

وكانت سعادة العقل في دقة الاستدلال وقوة الخيال وتمييز الخطأ من الصواب ، فإن سعادة القلب في معرفة الله ، ولا شك في أن السعادة التي تحصل عن معرفة الله أعظم من السعادة التي تحصل عن معرفة أي شيء آخر ، إذ كلما كان موضوع المعرفة أجمل وأشرف كانت

واقعة ومستقبل



الثقافة الإسلامية وأهميتها

ما يتصل بالكون ومظاهره .

وهذه الجوانب الثلاثة كلها يكمل بعضها بعضاً ، ويبدو واضحاً مدى ما تحتله اللغة العربية من أهمية في تكوين ، ومن مفهوم الثقافة الإسلامية ، فهي تشكل جانباً رئيسياً (الجانب الثاني) ، فضلاً عن كونها أداة التعبير عن الجانب الأول (وهو الجانب الديني) ، وأداة التراث للجانب الثالث وهو الجانب المادي .

وفضلاً عن هذا فإن اللغة العربية هي وحدها اللسان الذي يحل للمسلمين أن يستعملونه في صلواتهم . فإنه لا يجوز في الصلاة النطق بتكبير الإحرام وقراءة الفاتحة بغير اللغة العربية .

وبحسب ما عن مستقبل اللغة العربية ودورها في انتشار الثقافة الإسلامية في إفريقيا من الأهمية أن نتعرف على تاريخ ومؤثرات اللغة العربية على خريطة اللغات الإفريقية .

اللغة العربية في إفريقيا

لقد كان اللسان العربي وعاء الدين الإسلامي أينما حل في كل أرض إفريقية . واتخذت لغة الضاد مكانها المرموق في إفريقيا حوالي عام ٨٥٠ م ، ووجدت سبيلها في يسر ووصلت قمة مجدها بعد ذلك مع انتشار الإسلام الذي ظل وحده لا ينازعه دين أكثر من خمسة قرون بين القرنين العاشر والخامس عشر . وخلال هذه القرون تركت اللغة العربية آثاراً

وبما يعزز الإسلام في القارة انتشاره داخلياً على يد أبناء إفريقيا أنفسهم ، أي أنها عملية غو طبيعية منبثقة من الداخل ، وليست تبشير ارساليات مفروضة من الخارج . ولا عجب فهو حقاً دين الفطرة ، والقرى بينه وبين النفس الإفريقية قريبة . ويقدر عدد المسلمين في إفريقيا الآن بنحو ١٧٠ مليوناً مقابل نحو ١٤٠ مليوناً عام ١٩٣١ م ، ونحو ٨٥ مليوناً عام ١٩٥١ م ، بينما لا يتكلم العربية سوى ١٠٠ مليون فقط . ومن الأهمية أن تتطابق حدود انتشار اللغة العربية في إفريقيا على حدود انتشار الإسلام وثقافته ، على اعتبار أنه من العسير ، بل يكاد يكون من المستحيل ، الفصل أو الحجز بين الثقافة الإسلامية في إفريقيا وبين اللغة العربية .

وتأكيداً لهذا يجدر بنا التذكير بمفهوم الثقافة الإسلامية^(٢) وهي مجموعة العلوم والمعارف والفنون التي عرفت للامة الإسلامية على مدى تاريخها واختلاف عصورها . وللثقافة الإسلامية جوانب ثلاثة يتفرع عن كل منها علوم معارف وفنون . الجانب الأول من الثقافة الإسلامية هو الجانب الديني ، ويتفرع عنه علوم الدين والشرعية من تفسير وحديث وفقه وغير ذلك من كل ما له صلة بالعقيدة والشرعية أصالة أو تبعاً . والجانب الثاني هو الجانب اللغوي ويتفرع عنه علوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة وأدب وغير ذلك من كل ما له علاقة باللغة العربية أصالة أو تبعاً . أما الجانب الثالث فهو الجانب المادي ويتفرع عنه كل العلوم الكونية من طب وفلك وطبيعة وكيمياء وجبر وهندسة وغير ذلك من كل

من ظواهر عالمنا المعاصر انتشار الإسلام في ربوع القارة الإفريقية انتشاراً سريعاً وكثيفاً ، فالإسلام يكسب كل يوم أرضاً جديدة في القارة ، ويعمر قلوباً إفريقية ظلت سنوات طويلة خاوية من الإيمان .

وتعترف إحدى الصحف الأوروبية^(١) بأنه «ضمن كل عشرة إفريقيين يتخلون عن عقائدهم التقليدية يتجه سبعة منهم إلى الإسلام» . ولا عجب أن يشير الكتاب والمبشرون الغربيون قبل سواهم إلى أن الإسلام هو دين المستقبل في قارة المستقبل «إفريقيا» .

عُزْبُ الْعَرَبِيِّ فِي إِفْرِيقِيَا

بمِثْلِم : أحمد يوسف المتري

العبادات . والشعر النيجيري نفسه من النادر أن تجد بيتاً من الشعر بلغه الهوسا يخلو من كلمة عربية أو استعارة عربية . وأحياناً نجد أبياتاً كاملة باللغة العربية ومعظمها حكم عربية مأثورة . والأدب والكتابات النيجيرية يتناول معظمها أموراً خاصة بالدين الإسلامي^(٢) .

وهكذا نستطيع القول من خلال هذه النماذج إن للغة العربية أرضية كبيرة في إفريقيا ، منذ دخلت في ركاب الدعاة والتجار المسلمين ، وأصبحت لغة الأدب والعلم والتعامل ، ويكفي أن ندلل على عمق مكانة هذه اللغة فنذكر أن أهم المراجع التاريخية مثل أضاير «أشانتى» و«كانو» في غرب إفريقيا ومحفوظات «كلوة» في شرق إفريقيا ، أكثرها باللغة العربية لغة وحضارة^(٣) .

وفضلاً عن التأثير العربي في اللغات الإفريقية فيتسامى المسلمون الإفريقيون بأسماء عربية إسلامية مثل محمد ، الأمين ، أبوبكر ، فاطمة ، خديجة ... الخ مع تحريف جزئي أو تبديل اللفظ بما يتلاءم مع ذوق الإفريقي فأصبح محمد مثلاً : مامادو ومامادي ، وأصبح أبوبكر : باكاري وبوكر ، وأصبحت فاطمة : فاطمو وفانتا ، وكذلك أصبحت خديجة : كاديتا وكاجتو وكاديا وكاجا ... الخ

ويكرس كثير من الإفريقيين المسلمين حياتهم في تعلم اللغة العربية ،

حضارية كبرى في كل أنحاء إفريقيا . ويشهد «بازل دافيسون» الكاتب المنخصص في الشؤون الإفريقية أن «القراءة والكتابة عطية من عطايا العرب لإفريقيا أحدثت أثراً كان أكبر الأثر»^(٤) ويكفي للتدليل على هذا أن نشير إلى ما قاله أحد المسؤولين في زنجبار من أن «كلمة تعريب في اللغة السواحلية ترادف كلمة تحضير أو تلمين وإذا أردنا أن نتحدث عن مشروع تطوير قرية زراعية مثلاً قلنا تعريب تلك القرية» .

ومن مؤثرات اللغة العربية في اللغات الإفريقية الأخرى نذكر اعتماد اللغة السواحلية (في كينيا) في نحو ٥٠٪ من كلماتها على العربية إما أصلاً أو اشتقاقاً . أما اللغة السواحلية في أوغندا فهي أساساً مزيج من لهجات البانتو مع اللغة العربية وتكتب بالأبجدية العربية . واللغة التجرينية المستعملة في إريتريا كلغة محلية اقتبست كثيراً من اللغة العربية ، حتى أن الأعداد المستعملة فيما تبدو وكأنها شيء واحد . وفي جزر القمر فإن اللغة القمرية تكتب بحروف عربية وتوجد فيها نسبة ٦٠٪ من الألفاظ العربية الأصلية .

وفي غرب إفريقيا ظلت لغة الهوسا تكتب بالحروف العربية حتى عام ١٩٣٤ م ، بعد دخول الإنجليز نيجيريا ، وبعد استقلال نيجيريا عام ١٩٦٠ م ، قرر البرلمان النيجيري الكتابة وتدرس الهوسا بالحروف اللاتينية . ورغم هذا مازالت آثار اللغة العربية واضحة في لغة الهوسا حتى اليوم ، ويبدو ذلك بوضوح في كثير من الألفاظ العربية ولا سيما الألفاظ

وتنتشر المدارس القرآنية في كل مكان ، ويستمر الطالب في تعلم القرآن على لوحة خشبية مرتين أو ثلاث مرات أو أكثر ، وبعد ذلك يسمح له أن يقرأ كتب الفقه مثل الأخضرى والرسالة وغير ذلك ، وحين يبلغ إلى مستوى معين يتسنى له فيه الإلمام ببعض كتب اللغة مثل مقامات الحريري ... الخ

نحو مستقبل أفضل

انطلاقاً من الآثار الحضارية لكل من الثقافة الإسلامية واللغة العربية في إفريقيا ، كان يمكن أن تكون اللغة العربية هي لغة كل الإفريقيين ، لولا التدخل الاستعماري الأوروبي في المصور الحديثة ومحاولات الهدم والتشويه التي مارسها ضد الإسلام : ثقافة ولغة وحضارة .

وفي مرحلة جديدة يتعاظم فيها التضامن العربي الإفريقي ثمة مسؤوليات جديدة على الجانب العربي تحكمها من أجل الاهتمام ببقايا ثقافات عربية مازالت قائمة في بعض الأقطار الإفريقية غير العربية منذ حركة الفتوح الإسلامية . ومن الأهمية - كما أشرنا - أن يتطابق حدود انتشار اللغة العربية في إفريقيا مع حدود انتشار الإسلام والثقافة الإسلامية . ويكفي أن نشير في هذا الصدد إلى عدد من النقاط :

● أولاً : تعلم اللغة العربية لغبر أبناء العربية في إفريقية في حاجة إلى دراسة عميقة حتى نصل إلى منهج قوم يراعى فيه الأصول التربوية والأسس السيكلوجية ، ويزداد عدد الراغبين في دراسة العربية من غير أبنائها يوماً بعد يوم . وكذلك فإن تعلم اللغة العربية لغبر أبناء العربية في إفريقية في حاجة إلى إعداد المعلم المؤهل والكفاء والمتخصص في تعليم اللغة العربية . وفي هذا المجال نشير إلى معهد الخرطوم لإعداد المتخصصين في تعليم اللغة العربية لغبر الناطقين بها ، وهو يتبع أساساً المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، ويقوم المعهد أيضاً بإعداد دراسات ميدانية وإجراء بحوث علمية من شأنها أن تثري المنهج اللغوي وأن تيسر مهمة معلم اللغة العربية لغبر الناطقين بها ، ويتحقق هذا الهدف في إطار وضع وتطوير مناهج تعليم وكتسب اللغة العربية لغبر الناطقين بها ومحاولة كتابة اللغات المحلية بالحروف العربية .

● ثانياً : وتعد قضية تدوين اللغات الإفريقية بالحروف العربية ذات أهمية حضارية في دفع وانتشار الثقافة الإسلامية في إفريقيا . ومن الأهمية في هذا الصدد تصوير المخطوطات المدونة بلغات إفريقية ومكتوبة بالحرف العربي ، وتوجد هذه المخطوطات في مكتبات

إفريقية وعالمية مختلفة ، ونشر مجموعة مختارة من هذه المخطوطات .

● ثالثاً : إعداد معاجم ثنائية اللغة ذات مداخل عربية ، وتكون هذه المعاجم ذات حروف عربية في تدوين هذه اللغات ، وتعد هذه المعاجم على أساس الجهود المعجمية التي أعدها اللغويون الأجانب ، ويجب إكمالها وتعديلها ومراجعتها عن طريق اللغويين العرب والأفارقة . ويجري حالياً إعداد معجم «عربي - هوسا» وهي اللغة التي يتكلمها نحو ٤٠ مليوناً في غرب إفريقيا . وهو معجم من سلسلة معاجم لللغات الإفريقية الكبرى مع اللغة العربية ، تشرف على إعدادها المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

● رابعاً : مساعدة كل الدول الإفريقية التي تجعل اللغة العربية لغة رسمية ، أو لغة أولى ، أو لغة ثانية في مدارسها مثل جمهورية جزر القمر التي أعلنت في أغسطس/ آب ١٩٧٧ م ، اللغة العربية لغة رسمية للدولة وتدرسيها كلغة أساسية في المدارس الابتدائية والثانوية .

● خامساً : أن تسرع المؤسسات العلمية العربية في الاتصال الفكري عبر نقابات علمائها وعلمائهم وقادة فكرنا وفكرهم للقضاء على العزلة الفكرية بين المثقفين المسلمين هنا وهناك .

وختاماً .. فإن المسلمين الإفريقيين مازالوا يتطلعون إلى العواصم العربية وإمكاناتها الروحية الزاخرة ، وهذا هو قدر العرب على مر العصور .

الهوامش

- (١) صحيفة «جورنال دي جنيف» السويسرية في ٢٦ فبراير/ شباط ١٩٧٤ م . مقال مترجم بجريدة الجرائد العالمية ، القاهرة ، ٦ مارس/ آذار ١٩٧٤ م .
- (٢) راجع بتوسع : د . محمد حسين الذهبي : الثقافة الإسلامية وأثرها في النسيج ، مجلة الأزهر ، القاهرة ، عدد ربيع الآخر ١٣٩٣ هـ . مايو/ أيار ١٩٧٣ م .
- (٣) انظر جمال محمد أحمد : وجدان إفريقيا . الخرطوم ، ١٩٧٤ م ، ص ٣٩ وما بعدها .
- (٤) راجع نص فتوى لجنة الفتوى بالأزهر على سؤال من شاب صومالي يقول فيه هل يجوز أداء الصلاة بغبر اللغة العربية . جريدة الأخبار ، القاهرة ، ١٥ أغسطس/ آب ١٩٧٥ م .
- (٥) لمزيد من التوسع راجع :
- شبحر أحمد سعيد غلادنت : حركة اللغة العربية في نيجيريا من ١٨٠٤ إلى ١٩٦٦ م . رسالة دكتوراه غير منشورة . دار العلوم ، جامعة القاهرة ، ١٩٧٤ م .
- علي أبو بكر : الثقافة العربية في نيجيريا . رسالة دكتوراه غير منشورة بكلية الآداب ، جامعة القاهرة ، ١٩٦٥ م .
- (٦) راجع : عبد الحليم عويس : المسلمون في إفريقيا بين الحاضر والمستقبل . مقال بمجلة الأصالة الجزائرية - عدد فبراير/ شباط ومارس/ آذار ١٩٧٧ م ، ص ٦٨ .

الزهرراوي

الرائد للهوول للجراحة

بقلم : د. علي عبدالله الفناع

هو أبو القاسم ابن عباس
الزهرراوي . عاش فيما بين ٣٢٤ -
٤٠٤ هجرية (الموافق ٩٣٦ -
١٠١٣ ميلادية) وولد
بالزهراء لستة أميال شمال غربي
قرطبة بالأندلس . وقد أجمع
النسابة على أن الزهرراوي ينتمي
إلى الأنصار . وعاصر الزهرراوي
عبد الرحمن الثالث وكان
طبيب بلاطه . نبغ الزهرراوي في
الجراحة ففاق أطباء عهده ،

ومارس فن التشريح بنفسه
لأهميته في تطوير حقل الجراحة .
ويقول عنه جورج سارتون في
كتابه المدخل إلى تاريخ
العلوم : « هو أبو القاسم
خلف الزهرراوي ، أول من نبغ
في الجراحة بين العرب ، بل هو
فخر الجراحة العربية ، ثالث
الثلاثة من نوايج الأطباء العرب ،

وهم الرازي ، وابن سينا ،
والزهرراوي كانوا بمثابة
المصابيح التي أضاءت منها أوروبا
قناديلها في العلوم الطبية » .

واستعملت النهضة الأوروبية
مؤلفات علماء المسلمين العلمية
ومن بينها مؤلفات الزهرراوي
كمراجع رئيسية لا يمكن
الاستغناء عنها . ولقب
الزهرراوي بأبي الجراحة بين
أطباء عصره لما قدمه من عمل
وفير وقيم في هذا الحقل . ويقول
الدوميلي في كتابه العلم عند
العرب إن : « الزهرراوي أشهر
أطباء الأندلس في ذلك العصر ،
بل من أعظم أطباء المسلمين
أيضاً وربما كان الزهرراوي أعظم
الجراحين العرب والمسلمين على
وجه الخصوص » .



★ أبو القاسم الزهرراوي ★

وقد قضى الزهراوي معظم حياته يمارس مهنة الطب والصيدلة في مدينة الزهراء ونال شهرة عظيمة في هذا المجال ، كما استمر في دراسته للعلوم الشرعية والعلوم الطبيعية فأبدع فيها .

أعماله في الجراحة

كان الزهراوي دقيقاً في عمله ، إذا كان يعقم آلاته التي يستخدمها في عملياته الجراحية بمادة الصفراء للتأكد من تطهيرها قبل إجراء العملية . وقد أثبت الطب الحديث أن مادة الصفراء تقلل من تواجده البكتيريا .

ودرس الزهراوي الطب الجاهلي كذلك وأخذ عنه بعض العلاجات والعمليات مثل الكسي كوسيلة لعلاج آلام الخلع والكسور وتسكين بعض الآلام الباطنية الناتجة من نورم الكبد وكذلك لايقاف النزيف . وكانت الجراحة تحتل مكانة راقية واحتراماً كبيراً في العالم الإسلامي كما نبه على ذلك المؤلف الكبير كامبل في كتابه الطب العربي : « كانت الجراحة في الأندلس تتمتع بسمعة أعظم من سمعتها في باريس أو لندن أو أدنبرة ، ذلك أن ممارسي مهنة الجراحة في سرقسطة كانوا يمنحون لقب طبيب جراح (Medico-Surgeon) . أما في أوروبا فكان لقبهم حلاق جراح (Barber-Surgeon) وظل هذا التقليد سارياً حتى القرن السادس عشر الميلادي » .

وقام الزهراوي بجراحة صابونة الركبة ، واستخراج الحصاة من مثانة المرأة ، وشق القصبه الهوائية ، وتوسيع باب الرحم ، وعمليات البتر ، كما عالج بنجاح الشلل الناشئ عن كسر فقرات الظهر . وهو أول من قام بربط شرايين الدم لمنع النزيف . وقد اعتمد على فن التشريح واعتبره فرعاً من فروع الطب الضرورية . وتقول المستشرق الألمانية زيغريد هونكه في كتابها « شمس الله تسطع على الغرب » .. « وقد درس الزهراوي علاج تشوهات الفم والفك باستعماله عقاق (صنابير) ، واستئصال العينية أو (البوليب أو الأورام الليفية) في الأغشية المخاطية ، ونجح في عملية شق القصبه الهوائية (تراكوتومي) وقد أجرى هذه العملية على خادمه ، ووفق أيضاً في إيقاف نزيف الدم بربط الشرايين الكبيرة ، محسناً بذلك عملياته الجراحية ، وهو فتح علمي كبير ادعى تحقيقه ، لأول مرة ، الجراح الفرنسي الشهير أمبرواز باري (Ambroise Paré) عام ١٥٥٢م ، في حين أن أبا القاسم الزهراوي العربي قد حققه وعلمه قبل ذلك بـ ٦٠٠ سنة . كما أنه علم تلاميذه كيفية تخييط الجروح بشكل داخلي لا يترك شيئاً مرنياً منها ، والتدريز المثلث (نسبة إلى ثمانية) في جراحات البطن ، وكيفية التخييط بإبرتين وخيوط واحد مثبت بهما ، واستعمل الخيطان المستمدة من أمعاء القطط في جراحات الأمعاء . وقد أوصى في كل العمليات الجراحية في النصف السفلي من الإنسان ، أن يرفع الخوض والأرجل قبل كل شيء . وهذه طريقة اقتبسها الغرب مباشرة عن الجراح العربي واستعملها كثيراً حتى قرننا هذا ، فعرفت باسم الجراح

★ البيروني ★



★ ابن سينا ★



★ الرازي ★

الألماني القدير فريدريك ترند - لنبورغ (Frederich Trendelenbur- gh) . ولكن من يذكر أفضال الجراح العربي العظيم؟! وعنه أخذنا أيضاً طريقة ترك فتحة في رباط الجبس في الكسور المفتوحة ، وأمد الجراحين وأطباء العيون والأسنان الأوروبيين بالآلات اللازمة للعمليات بواسطة الرسوم الجديدة التي وصفها » .

دوره في تحضير العقاقير

وقد بحث الزهراوي في تحضير بعض العقاقير المعدنية والنباتية والحيوانية وأعطاهها أسماء بخمس لغات هي :

- (١) اليونانية .
- (٢) السريانية .
- (٣) الفارسية .
- (٤) البربرية .
- (٥) العربية .

وقد اعتمد على المراجع الأجنبية مثل كتب ديسكوريد ،

مؤلفاته

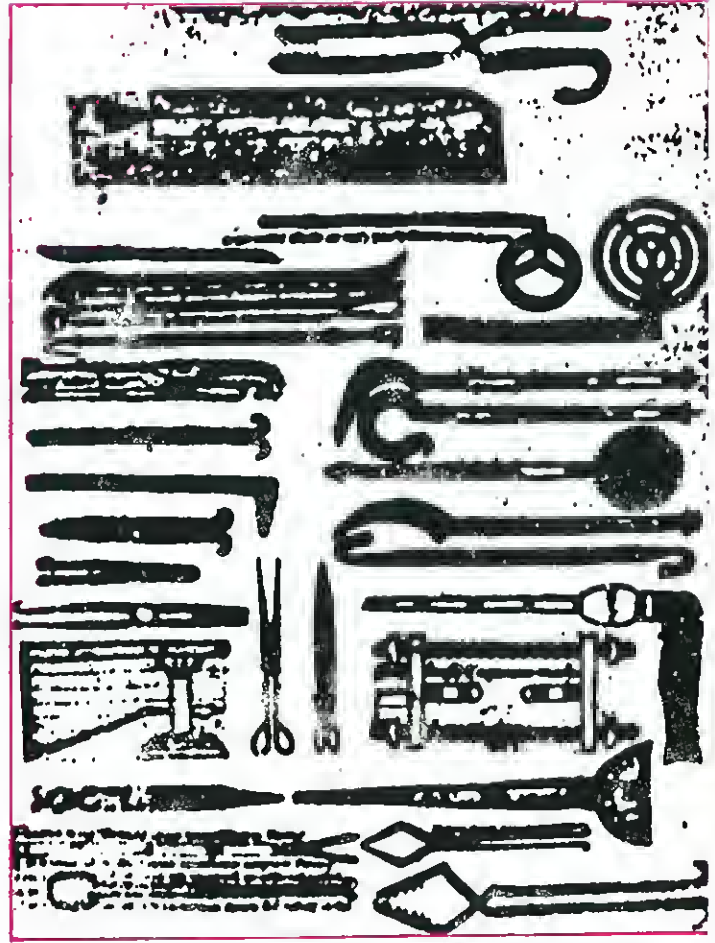
وقد اهتم بالتأليف في حقل الطب فاستفاد من إنتاجه معاصرون ومن خلفهم من علماء المشرق والمغرب . وقد وصف الجراحة في تصنيفاته بأنها فن قائم بنفسه مستقل عن المداواة ومتصل بالتشريح . وألف كتابين أحدهما «أعوار العقاقير المفردة والمركبة» والآخر «كتاب التعريف لمن عجز عن التأليف» وهو دائرة معارف تحتوي على مجموع المعلومات المتعلقة بالطب في وقته ، وقد خصص جزءاً من الكتاب للطب الداخلي ، وجزءاً آخر لعلم الصيدلة ، ونالت لفن الجراحة ، ورابع لأمراض النساء .

ولقد أصبح الزهراوي أستاذ أطباء أوروبا عن طريق هذه الموسوعة لمدة خمسة قرون ، فكان الكتاب المعتمد في مجال الطب لسهولة الأسلوب وكثرة رسومه للآلات التي تستعمل في الجراحة آنئذ . ولقد نص الزهراوي في كتابه هذا ما يلي :

«لما أكملت لكم يا بني هذا الكتاب الذي هو جزء العلم في الطب بكماله وبلغت فيه من وضوحه وبيانه رأيت أن أكمله لكم بهذه المقالة التي هي جزء العمل باليد ، لأن العمل باليد (الجراحة) في بلادنا ، وفي زماننا معدوم البتة حتى كاد أن يندرس علمه وينقطع أثره ، والسبب الذي لا يوجد صانع محسن في زماننا هذا ، لأن صناعة الطب طويلة وينبغي لصاحبها أن يرتاض قبل ذلك في علم التشريح الذي وضعه (جالينوس) حتى يقف على منافع الأعضاء وهيئتها وأمزجتها واتصالها وانفصالها ، ومعرفة العظام والأعصاب والعضلات وعددها ومخارجها ، والعروق والنوايض والسواكن ومواضع مخارجها ، ولذلك قال أبقراط ، إن الأطباء بأسماء كثيرة وبأفعال قليلة لا سيما صناعة اليد ، وقد ذكرنا عن ذلك طرقاتاً في المدخل من هذا الكتاب ، لأنه من لم يكن عالماً بما ذكرنا من التشريح لم يخل أن يقع في خطأ يقتل الناس به » .

ويحتوي هذا الكتاب بتفصيل أكبر على المواضيع الآتية :

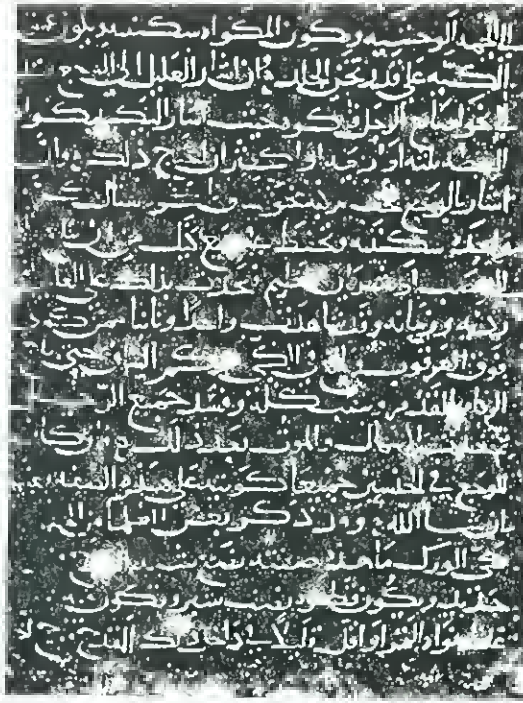
المقالة الأولى	★	تركيب الأدوية .
المقالة الثانية	★	تقسيم الأمراض .
المقالة الثالثة	★	وصف المعاجين .
المقالة الرابعة	★	وصف الأدوية المفردة في جميع السموم .
المقالة الخامسة	★	وصف الأيارجات القديمة والحديثة وادخالها .
المقالة السادسة	★	وصف الأدوية المسهلة من الحبوب المرة .
المقالة السابعة	★	أدوية القيء والحقن .
المقالة الثامنة	★	الأدوية المسهلة اللذيذة الطعم .
المقالة التاسعة	★	أدوية القلب .
المقالة العاشرة	★	الأطريفلات والبنادق المسهلة .



★ بعض صور الآلات التي استعملها أبو القاسم الزهراوي في عملياته الجراحية خلال أوائل القرن الخامس الهجري (الموافق أوائل القرن الحادي عشر الميلادي) ★

وجالينوس ، ويولس واهرن ، ومؤلفات أساتذته الأفاضل من علماء المسلمين مثل الرازي ، وابن الجزار ، وابن خلدون وغيرهم . كما تعلم الزهراوي من البتاني العالم المسلم المشهور ، وابن البيطار كيفية صنع الخبز المركب من أجود أنواع القمح ، وأيضاً استخراج الزيت من النبات . ويمدح ابن أبي أصيبعة الزهراوي في كتابه عيون الأنباء في طبقات الأطباء بقوله : «كان الزهراوي طبيباً فاضلاً خبيراً بالأدوية المفردة والمركبة جيد العلاج» . وأضاف محمد زهير البابا في مقالة بعنوان «الأقرباذينات : أو دساتير الأدوية العربية» ألقاها في الندوة

العالمية الأولى لتاريخ العلوم عند العرب التي عقدت عام ١٣٩٦ هجرية (الموافق ١٩٧٦ ميلادية) في معهد التراث العربي / حلب / سورية «يعتبر الزهراوي أول من استعمل الفحم في ترويق شراب العسل البسيط ، كما أنه أول من استعمل قوالب خاصة لصنع الأقراص الدوائية . وكان يميل إلى التعقيد في تحضير الأدوية وتعدد عناصرها بالرغم من أنه قال بأن الوصفات تضم عادة عدداً كبيراً من العقاقير المشابهة بالتأثير ، لذلك فإن نقصان أحد أفرادها لا يغير بتأثير المجموع ، وقد سبقه إلى هذه الفكرة البيروني» .



★ من مخطوطة كتاب «التصريف لمن عجز عن التأليف»
للزهراوي في الكنية الخندية - لندن بريطانيا ★

الجراحة نبوغاً كبيراً رغم أن «فن الجراحة» كان مكروهاً عند العامة في بلاد الإسلام آنذاك للآلام التي تنتج عنها ، وأما عند النصارى في أوروبا فكانت الجراحة محرمة . وبرز الزهراوي في أوروبا حتى أصبح كتابه «التصريف لمن عجز عن التأليف» يدرس في جميع جامعاتها إلى نهاية القرن الحادي عشر الهجري (الموافق السابع عشر الميلادي) بعد أن أصبح فن الجراحة مقبولا هناك .

وكانت من أكثر الترجمات الدارجة تلك التي قام بها جيراود كريمونا . وقد أجمع المتخصصون في الطب في العصر الحديث أن الزهراوي كان جراحاً ماهراً ذا خبرة واسعة حصل عليها من ممارسته لفن الجراحة . ولذا يعتبر الزهراوي واضح أسس الجراحة الحديثة . حذر الزهراوي الأطباء من إجراء العمليات الجراحية إذا لم يكونوا ملمين بصغائر الأمور وكبائرها في استعمال الآلات الجراحية وتفنتهم في التشريح ، يتضح هذا مما ذكره في كتابه : «يتعرض للوقوع في الأخطاء التي تؤدي إلى الموت كما رأيت ذلك يحدث للكثيرين» . واستعمل الزهراوي الكي في كثير من الحالات ، لكنه لم يقلل من أهمية وفائدة العلاج بالعقاقير ، فهو بهذا الطبيب الناضج الذي يحاول أن يصل إلى علاج المريض بأي طريقة ممكنة . ولذا فقد رفع الزهراوي شأن الجراحة وجعلها فرعاً طبياً خاصاً ذا مكانة سامية بين فروع الطب الأخرى . ولا غرابة على الإطلاق إذا نعت أصحاب الخبرة الجيدة في الطب بأبي الجراحة .

ليت أطباءنا اليوم سمعوا بعض نصائحه حتى يسلم من أيديهم المرضى الذين وضعوا كل آمالهم بين أيديهم . ولنا في سلفنا الصالح أسوة حسنة .

- ★ المقالة الحادية عشرة : المكونات .
- ★ المقالة الثانية عشرة : الأدوية المدورة للبدن .
- ★ المقالة الثالثة عشرة : الأشربة والسكنجبنات والربوب .
- ★ المقالة الرابعة عشرة : الدخان المطبوعات .
- ★ المقالة الخامسة عشرة : المربيات .
- ★ المقالة السادسة عشرة : السفوغات بأنواعها .
- ★ المقالة السابعة عشرة : الأقراص المسهلة وغير المسهلة .
- ★ المقالة الثامنة عشرة : السعوطات والقطورات .
- ★ المقالة التاسعة عشرة : أدوية الزينة .
- ★ المقالة العشرون : الأحكال .
- ★ المقالة الحادية والعشرون : أدوية الفم والحلق .
- ★ المقالة الثانية والعشرون : أدوية الصدر والسعال .
- ★ المقالة الثالثة والعشرون : الضماد .
- ★ المقالة الرابعة والعشرون : صناعة المرهم .
- ★ المقالة الخامسة والعشرون : الأدهان ومنافعها .
- ★ المقالة السادسة والعشرون : الأطعمة التي تعطى للمرضى .
- ★ المقالة السابعة والعشرون : خواص الأدوية والأغذية .
- ★ المقالة الثامنة والعشرون : صنع الأدوية .
- ★ المقالة التاسعة والعشرون : تسمية العقاقير بلغات متعددة .
- ★ المقالة الثلاثون : الكي .

ترجم هذا الكتاب من اللغة العربية إلى لغات كثيرة ، وفي فترات مختلفة . فمثلاً في عام ٨٩٩ هجرية (الموافق ١٤٩٥ م) ترجم إلى اللاتينية بالبندقية ، وفي عام ٩٣٨ هجرية (الموافق ١٥٣٢ ميلادية) ظهرت ترجمة أخرى في استراسبرج ، وكذلك في عام ٩٥٠ هجرية (الموافق ١٥٤١ ميلادية) ظهرت ترجمة ممتازة في بال . والجدير بالذكر أن الكتاب لم يترجم بأكمله في وقت واحد ، فقد ظهر الجزء الخاص بالعقاقير سنة ٨٧٦ هجرية (الموافق ١٤٧١ ميلادية) ، والخاص بالجراحة سنة ٩٠٢ هجرية (الموافق ١٤٩٧ ميلادية) ، والباطني سنة ٩٢٥ هجرية (الموافق ١٥١٩ ميلادية) ، وأما الجزء الخاص بأمراض النساء فقد تواجد سنة ٩٧٣ هجرية (الموافق ١٥٦٦ ميلادية) .

ويقول جورج سارتون في كتابه المدخل إلى تاريخ العلوم : «إن (خلف بن العباس الزهراوي) من مدينة الزهراء قرب قرطبة ، ويعتبر أشهر الجراحين المسلمين . وقد كتب موسوعة في الطب تتكون من ثلاثين جزءاً سماها «التصريف لمن عجز عن التأليف» . وقد تناول في هذه الموسوعة بعض المواضيع الهامة في الطب مثل التعقيم والتوليد وعلاج العين والأذن والأسنان واستخراج حصى المثانة بالشق والتفتيت ، وصف علاج الكسور والخلع ، وأعطى وصفاً دقيقاً للشلل الناشئ عن كسر فقار الظهر ، كما أجرى عمليات عدة لإخراج الجنين الميت من رحم الأنثى» .

وفي الختام إن كان ابن سينا والرازي قد حلقا في سماء أطباء الإسلام ، فقد نبغ أبو القاسم الزهراوي في مجال

وقد استند العلماء في دعم النظرية القائلة بأن الجزيرة العربية هي مهد الحضارة السامية العربية إلى البيانات التالية :

١ - أن البداوة عادة تسبق حياة التمدن والحضارة ، إذ لا يعقل أن ينتقل سكان الريف والمزارعون من حياة التمدن إلى البداوة ، بل يحدث العكس . ولما كانت الشعوب السامية قد قضت في أطوارها الأولى حياة بدوية ، فلا بد أن يكون وطنها وطناً صحراوياً . وجزيرة العرب هي أصلح المواقع لكي تكون ذلك الوطن السامي الأول .

٢ - أن معظم المدن والقرى التي أسست في مناطق الهلال الخصيب على أطراف الجزيرة العربية هي عناصر بدوية ووطنها الأصلي جزيرة العرب استقرت فيها وأخذت تمارس الزراعة والتجارة ، ولا يوجد هناك محل غير جزيرة العرب بإمكانه أن يحتوي هذه العناصر ، لذلك . . وبالقيااس ، تكون الجزيرة العربية هي التي غذت الشرق الأدنى بالساميين على موجات متتالية .

٣ - أن اللغة العربية (لغة جزيرة العرب الأم) حافظت على نسبة كبيرة من خصائص اللغة السامية الأصلية أكثر من أي لهجة من اللهجات السامية الأخرى ، لأن بلاد العرب لم تخضع يوماً من الأيام للأجنبي وسلطانه .

إن تسمية « سامية » أطلقت على الشعوب التي رُغم أنها انحدرت من صلب (سام بن نوح) ، وكان أول من أطلقها بهذا المعنى هو العالم النمساوي « شلوتزر » عام ١٧٨١ للميلاد ، فشاعت منذ ذلك الحين وأصبحت عند علماء الغرب علماً لهذه المجموعة من الشعوب ، وسرت إلى المؤرخين العرب وباحثيهم بطرق الاقتباس والتقليد ، على الرغم من أن هذه التسمية لا تستند إلى واقع تاريخي ، أو إلى أسس علمية صحيحة ، أو وجهة نظر لغوية . لذلك يجب تسمية هذه الأقوام ، بالأقوام العربية ، لتشمل كل من سكن الجزيرة العربية وخرج منها . لأن العرب والساميين شيء واحد .

ازدهار حضارة العرب في مرحلتها الأولى

نبدأ المرحلة الأولى من حضارة العرب القديمة في حوالي سنة ٤٠٠٠ قبل الميلاد ، وتنتهي في حوالي سنة ١٨٠٠ قبل الميلاد ، وقد عاشت هذه الحضارة ضمن حدود جزيرة العرب .

في هذه الفترة التي دامت حوالي عشرين ألف سنة (الدورة الجليدية الرابعة) كانت أوروبا مغطاة بالثلوج في حين كانت الجزيرة العربية تتمتع بمناخ معتدل رطب تكثر فيه الأمطار في كل المواسم شتاءً وصيفاً ، مما ساعد على نمو الغابات الكثيفة في المنطقة تحولت فيما بعد عصر الجفاف نتيجة للضغط إلى طبقات نفطية ، كما ساعدت هذه الظروف الملائمة على تكوين حضارة نهريّة لا تقل شأنًا عن حضارة وادي النيل وحضارة وادي الرافدين على الرغم من إمكاناتها المحدودة آنذاك ، إذ كانت الأودية الحالية أنهرًا جارية تبث عناصر الحياة وتشر الخبز والبركة في البلاد ،

وكان هناك نهرا ن كيران يخترقان جزيرة العرب من أقصاها إلى أقصاها تقوم عليها الزراعة التي تعتمد على الري الدائم .

وفي هذه الفترة انتقل سكان الجزيرة العربية من طور القنص والصيد إلى طور الفلاحة والزراعة التي تعتمد على الري للحصول على قوتهم اليومي .

وهناك دلائل تشير إلى أن الماشية بما فيها الجاموس والماعز والضأن دجنت واستخدمت اقتصادياً في اليمن وبلاد العرب القديمة قبل أن تدجن في مصر والعراق . كما أن القمح والشعير كان ينبت فيها بشكل طبيعي دون أن يزرع .

ومعلومنا عن هذا الدور الحضاري القديم في تاريخ حياة العرب في جزيرتهم محدودة جداً لا نعلم عنها إلا النزر اليسير ، لأن عصر التدوين لم يكن قد ظهر بعد ، ولكن الشيء الذي نعرفه جيداً هو أن سكان الجزيرة كيفوا أنفسهم في هذه الظروف الملائمة مناخياً واستفادوا من هذه المعطيات والإمكانات ، واستخدموها في تكوين وتنمية أقدم مرحلة من مراحل حضارة العرب القديمة ، وذلك بفضل ما اكتسبوه من خبرة هندسية في الأعمال الزراعية التي تعتمد على الري ، وإلا ما كان بإمكانهم لولا هذه الخبرة أن ينشئوا أقدم وأعظم الإمبراطوريات في مستوطناتهم الجديدة التي استقروا فيها بعد هجرتهم من الجزيرة إثر حدوث الجفاف في المنطقة ، وبوقت قصير نسبياً ، كما سيتبين لنا من خلال الحديث عن حضارة العرب في مرحلتها الثانية .

ويرى « توينبي » و « جايلد » أن عامل الجفاف الذي حل في أعقاب العصر الجليدي الأخير ، كان حافزاً في قيام الفجرات المتواصلة من جزيرة العرب ، وبالتالي نشوء الحضارات المهمة في وادي النيل ووادي الرافدين ، ويعد « توينبي » هذا الجفاف استثارة للجذاعات البشرية من جانب البيئة الطبيعية الآخذة في الجفاف ، فانتقلت تلك الجماعات البدائية ، من طور الصيد وجمع القوت في العصور الحجرية القديمة ، إلى طور إنتاج القوت أي الزراعة وتدجين الحيوان وإلى طور الحضارة أيضاً . وهذا ما ينطبق أيضاً على النظرية القائلة بأن البداوة أساس الحضارة .

انتقال الحضارة العربية من جزيرة العرب

يرى الخبراء الاختصاصيون في شؤون البلاد العربية ، أن الهجرة من جزيرة العرب تمت في الأصل من منطقة جنوبي الجزيرة ، ومنها توجهت الجماعات النازحة من جزيرة العرب إلى الشمال ، ثم توزعوا على أطراف الهلال الخصيب في فلسطين وفي سورية وفي مصر وفي العراق . وبهذا يكون هؤلاء المهاجرون قد دخلوا العراق من الجهة الشمالية الغربية بعد أن انتقلوا إلى شمالي الجزيرة . أما سبب اختيار المهاجرين المنطقة الجنوبية من الجزيرة من دون بقية المناطق هو أن جنوبي الجزيرة كانت أرق مناطق الجزيرة تمدناً وأكثرها كثافة سكانية .

وفي هذه المرحلة من مراحل حضارة العرب استطاعت القبائل العربية



★ الملك ديمد إيل (يصدف ايل)
ملك أوساك (عن مارجوليت)



★ خريطة جزيرة العرب

جزيرة العرب

وكانت مستوطنات شعب الجزيرة في عائلته الجديد تؤلف علماً عربياً واحداً يتميز بقومته العربية تعززه وحدة جغرافية واحدة مترابطة الأجزاء ، تضم الجزيرة العربية (الأم) وأبنائها في بلاد المهجر (وادي الرافدين وسورية ولبنان وفلسطين إلى مصر السفلى) ، وهو عالم متصل مفتوح السبل لأهله ، مرتبط بعضه ببعض يوشح الأصل السامي العربي ، قائم بذاته ، يتكلم أهله لغة واحدة . هي اللغة العربية الأم : منهم أهل السواحل خبروا البحار ، ومنهم أهل البوادي (أهل الوبر) احتضنوا الصحارى ، ومنهم أهل المدن والقرى (أهل المذر) احترفوا الزراعة والتجارة ، ومنهم الرعاة أصحاب المواشي ، فقد صهرتهم الوحدة الجغرافية في بوتقة المصير الواحد المشترك ، فتعاونوا على الرغم من اختلاف نزعاتهم ، على وضع أسس الحضارة السامية العربية الكبرى .

وقد شمل هذا العالم الجديد حضارة ساحل البحر الأحمر والخليج العربي وخليج عمان من الشرق ، وبحر العرب وخليج عدن من الجنوب ، والبحر الأحمر والبحر المتوسط من الغرب ، وجبال من الشمال ، فسيطر هذا العالم بجماله على طرق المواصلات الصحراوية ، كما سيطر بسفنه على طرق المواصلات البحرية . وكان كل ذلك قبل أن يشهد الشرق الأدنى غزوات الأقوام الآرية غير السامية ، وكان قد تجمع معظم المهاجرين أول الأمر على ضفاف نهر الفرات الغربية المجاورة للبادية (بادية الشام) وأسسوا أولى مستوطناتهم في سورية ،

النازحة من جزيرة العرب ، بفضل الحضارة والخبرة في شؤون الري والزراعة اللتين اكتسبتهما في وطنها الأصلي ، في خلال فترة الازدهار الذي شهدته بلاد الشرق الأدنى في العصر الجليدي الأخير ، من تأسيس الحضارات السامية العربية الكبرى في مستوطناتها الجديدة ، أي الكنعانية والعمورية والبابلية والآشورية والآرامية الكلدانية ، فأُسست هذه القبائل في مدة قصيرة نسبياً لا تتجاوز ثلاثة آلاف سنة (في الفترة الممتدة بين منتصف الألف الثالثة والقرن السادس قبل الميلاد) أقدم الإمبراطوريات وأعظمها مما عرفه تاريخ العالم القديم في تاريخ البشرية ، أي الإمبراطوريات الساميات الأربع : الأكديّة ، والبابليّة ، والآشورية ، والكلدانية الآرامية .

إن الهجرات المتتالية التي انبعثت من جزيرة العرب وانتشرت في مختلف أنحاء اهللال الخصيب في هذه المرحلة من تطور الحضارة العربية ، كانت من أهم العوامل في تقدم الكيان الحضاري في الشرق الأدنى والسير به نحو التطور في مختلف الميادين : الزراعية ، والتجارية ، والسياسية ، والعسكرية ، والاجتماعية ، والثقافية ، والدينية ، ذلك الكيان الذي انبعث منه أقدم الإمبراطوريات وأعظمها مما عرفه التاريخ ، فالجزيرة العربية إذن ، هي بحق مهد الحضارات السامية العربية ، فقد قذفت بأبنائها الأشداء إلى ما وراء الصحارى بحكم سنة تنازع البقاء لإيجاد حياة أفضل ، فهي والحالة هذه ينبوع الذي انبثقت منه جميع الحضارات العربية السامية في الهلال الخصيب .

وهي الحروف التي اكتشفت في شبه جزيرة سيناء ويعود تاريخها إلى سنة ١٨٥٠ قبل الميلاد ، ومن الكنعانيين انتقلت إلى الفينيقيين الذين نقلوها بدورهم بين سنة ٨٥٠ و ٧٥٠ قبل الميلاد إلى الإغريقية واللاتينية وصارت تعرف في اليونانية باسمها العربي الأصلي (الألف باء) . وانتشار الأبجدية بطل استعمال الكتابة المسماة ذات المقاطع التي كانت شائعة آنذاك وحلت محلها الأبجدية الكنعانية .

الحضارة في جنوبي جزيرة العرب

على الرغم من نزوح سكان جزيرة العرب إثر الجفاف الذي حل بها واندثار حضارتهم القديمة التي كانت قد ازدهرت في خلال فترة الدورة الجليدية الرابعة والأخيرة ، فالذين بقوا في أرضهم بعد الجفاف تركوا من مخلفات حضارتهم القديمة في جنوبي الجزيرة ، بعد أن هاجر معظمهم منها ، وأسسوا ممالك عربية ذات حضارة راقية هي حضارة اليمن المشهورة . وقد لعبت حضارة العرب في جنوبي الجزيرة دوراً مهماً في دوام واستمرار حضارة جزيرة العرب القديمة .

وفي دول جنوبي الجزيرة هذه كانت هناك دويلات يعاصر بعضها البعض ، وبخاصة في البلاد التي أطلق عليها فيما بعد اسم (بلاد العرب السعيدة) ، وكان أهم هذه الدويلات سبأ ومعين وقحطان وحضرموت . واليك نبذة عن كل من ممالك اليمن التي ازدهرت في المرحلة الثالثة من حضارة العرب :

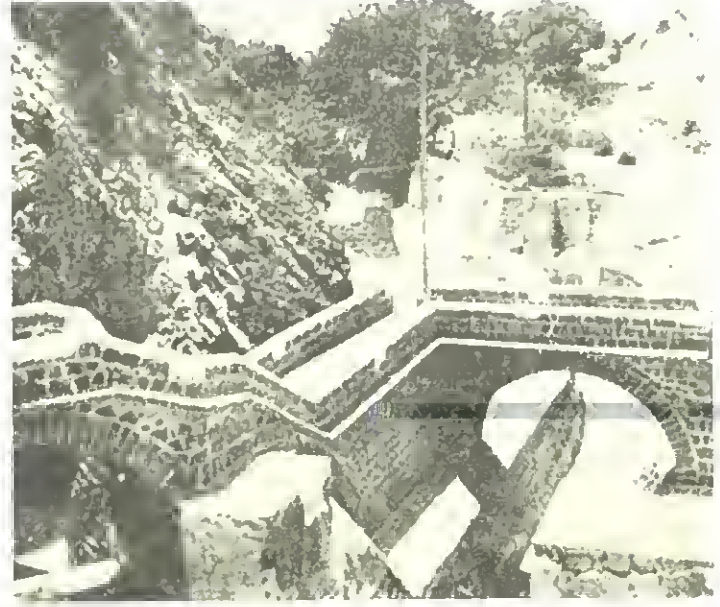
مملكة معين

ظهرت هذه المملكة منذ القرن الثالث عشر قبل الميلاد ، ويعتبر المعينيون أقدم الشعوب العربية التي حملت لواء الحضارة في بلاد العرب الجنوبية . وقد ظهرت هذه الدولة في المنطقة الواقعة بين نجران وحضرموت ، وقد كانت عاصمة هذه الدولة هي مدينة (القرم) ، وفي القسم الجنوبي من الجوف تقع خراب مدينة (معين) القديمة . وقد عثر على كثير من الكتابات المعينية وهي من أقدم الكتابات العربية المعروفة . ومن أقدم الأسر التي عثر على أسماء ملوكها أسر (إيل صادق) و (قه إيل) و (صدق إيل) .

وكانت حضرموت جزءاً من مملكة معين وما يتعقبها من مقاطعات في عهد الملك (صدق إيل) الذي كان يلقب بملك معين وحضرموت . ويتفق أكثر العلماء المختصين على أن حكومة معين انقرضت وحلت محلها دولة سبأ ، مع أن اسم المعينيين ورد في عدد من الكتابات المعينية التي يرجع زمنها إلى ما بعد سقوط حكومتهم .

مملكة قطبان

عاصرت الدولة المعينية مملكة عربية أخرى كانت تعرف باسم (مملكة قطبان) وكانت أراضي هذه المملكة تقع في الأقسام الغربية من



* مهابرج عدن *

يتوقف نوع الدلالة . ولما كان العلماء يعتمدون على أصل اللغات في تعيين صلات الأقوام بعضها ببعض ، فقد قسم بعض علماء الساميات اللغات السامية إلى أربع مجموعات ، هي المجموعة السامية الشرقية ، ومنها الأكديّة والبابليّة والآشورية ، والمجموعة الشماليّة ، ومنها العمورية والآرامية ، والمجموعة الغربيّة ، ومنها الكنعانيّة والفينيقية والموابية والعبرانيّة ، والمجموعة الجنوبيّة ، ومنها المعينيّة والسبئية والأثيوبية والعربية والأمهرية .

ويرجح عدد من الخبراء أن اللغة التي يتكلم بها بدو الجزيرة العربية حالياً هي أقرب إلى اللغة العربية الأصلية التي كان يتكلم بها أبناء الجزيرة قبل أن تنفصل هجراتهم في مستوطناتهم الجديدة ، وذلك على أساس أن هؤلاء بقوا منعزلين في صحرائهم دون أن يختلطوا بالأقوام الأخرى الغربية في لغاتها وقومياتها .

وهذا ما يبرهن على أن حضارة الأمة العربية أم الحضارات القديمة ، وهي من الأمم الحية والتي لا بد أن تعود إلى الازدهار كما حدث في الماضي .

وأهم ما تركه العرب في هذه المرحلة من تطور الحضارة العربية القديمة بعد هجرتهم من جزيرة العرب اختراع الحروف الهجائية (الأبجدية) وهي من أعظم المخترعات التي أوجدتها العقل البشري ، ثم تأتي بعدها الناحية الروحية في الدعوة لعقيدة التوحيد والاهتداء إلى عبادة الإله الواحد .

والفضل في كلا الحادتين كما ثبت تاريخياً يرجع إلى الحضارة العربية القديمة التي تمت وازدهرت على يد الأقوام العربية التي نزحت من جزيرة العرب واستقرت في الهلال الخصيب .

ومن المتفق عليه أن الكنعانيين الذين هاجروا من جزيرة العرب واستقروا في فلسطين كانوا أول من استعمل الحروف الأبجدية في الكتابة ،

الجزيرة العربية وإلى الجنوب الغربي من أرض المعينيين وتمتد حتى باب المنذب .

وقد استدل علماء الدراسات العربية من الكتابات التي حصلوا عليها أن هذه المملكة حكمت حوالي ٨٠٠ سنة بين القرن العاشر والقرن الثاني قبل الميلاد ، أما عاصمتها فهي مدينة (تمنع) وتعرف حالياً باسم (كحلان) وتقع في وادي (بيجان) في منطقة كانت تتميز قديماً بخصبها وبكثرة مياهها ومزارعها وبساتينها ، وقد كشفت آثار (تمنع) مؤخراً عن بقايا عدد كبير من المعابد .

استفاد القطبان من موقعهم الجغرافي ومجاورتهم لحضرموت التي تنتج أحسن أنواع البخور^(١) فجنى ثروة كبيرة وصارت لهم قوة حدث من نفوذ المعينيين ، وهناك أدلة تشير إلى أن حكومة معين خضعت لمملكة قطبان في سنة ٨٢٠ ق. م .

ويستدل من بعض الكتابات القتبانية القديمة على أن حكام قطبان كانوا يتلقبون بلقب (مكرب) ووجد في كتابات أخرى أنهم كانوا يتلقبون بهذا اللقب بالإضافة إلى لقب ملك ، ثم صاروا يتلقبون بلقب ملك وحده . وقد نظم علماء الدراسات العربية قوائم بما عثروا عليه من أسماء ملوك القتبانيين وبحثوا في سني ملك كل منهم .

مملكة أوسان

وعرفت الكتابات القتبانية اسم شعب يقال له (أوسن) أو (أوسان) كانت له حكومة ومملكة عثر على أسماء بعض ملوكها . وكانت تمتلك هذه الحكومة تكوّن جزءاً من مملكة قطبان ، ولكن الأوسانيين ثاروا على قطبان وانفصلوا عنها وكونوا (مملكة أوسان) التي انضمت إليها أو تحالفت معها قبائل أخرى . وكان الأوسانيون مثل المعينيين والقتبانين من أهم شعوب العالم المصدرة للبخور . وقد وصلتنا كتب أوسانية كانت من جملة الكتابات التي اعتمد عليها الهمداني في الحصول على معلوماته عن أخبار اليمن القديمة .

وقد وصل إلى أيدي المنقبين من هذه المملكة الصغيرة عدد من التماثيل الرخامية لبعض ملوكها تعد من أنفس ما عثر عليه من آثار في الجزيرة العربية ، وهي أول تماثيل تصل إلينا للملوك العرب ، وقد كتب على قاعدة كل واحد اسم الملك الذي يمثله . ومن هؤلاء الملوك (معد ايل سلحان) بن (مصدق ايل) . وهنا يلاحظ إضافة اسم الإله ايل إلى اسمه على غرار الملوك المعينيين .

مملكة حضرموت

ظهرت هذه المملكة قبل المسيح بثلاث من الفرون ، وتتميز عن الحكومات العربية الأخرى التي عاشت قبل الميلاد في كونها لم تزل تحتفظ باسمها القديم حتى هذا اليوم . وقد ورد اسمها في التوراة (تكوين ١٠ : ٢٦) كما ورد اسمها في الكتابات اليونانية والرومانية ، وفي الكتابات

المعينية .

وكان الحضرميون يعبدون من بين آلهتهم الإله «سين» الإله القمر الذي كانوا يزعمونه والذي يعد الإله القومي لشعب حضرموت حسب اعتقادهم ، وقد تمكن العلماء المختصون بالدراسات العربية من الوقوف على أسماء عدد من حكام هذه المملكة فنظموا قوائم بهم حسب تسلسل سني حكمهم ومن هؤلاء (مصدق ايل) الذي كان ملكاً على حضرموت ومعين . وقد ذكر أنه حكم في أواخر القرن الخامس قبل الميلاد . وتشير الكتابات الحضرمية إلى الروابط القوية بين حضرموت ومعين . ففي الوقت الذي كان (معد يكرب) ملكاً على حضرموت كان شقيقه ملكاً على معين ، كما تشير هذه الكتابات إلى أن عدداً من المكربين حكموا في حضرموت .

وقد اتخذ ملوك حضرموت مدينة (شبو) عاصمة لهم ، وقد ذكرها الكتاب الكلاسيكيون في كتاباتهم كما ذكرها الهمداني ، وقد زار (فيلبي) موضع هذه المدينة وكشف آثار معابدها وقصورها القديمة ، كما كشف عن آثار السدود التي كان قد أقامها الحضرميون في وادي شبوة لحزن مياه الأمطار واستغلالها في إرواء الأراضي الزراعية .

مملكة سبا

ورثت هذه المملكة حكومات معين وقيتان وأوسان وحضرموت ، وتمثل دولة اليمن الكبرى . ويرى البعض أن أصل السبئيين ، قبائل بدوية من سكان (الجوف)

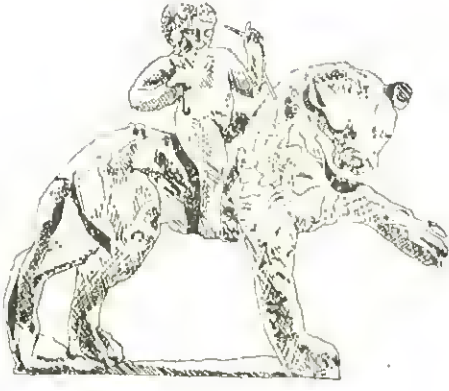
الشمالي من جزيرة العرب غير أنهم تركوا مواطنهم في القرن الثامن قبل الميلاد وارتحلوا إلى جنوبي الجزيرة وهناك استقروا وأخذوا يتوسعون في ممتلكاتهم مستفيدين من ضعف المعينيين حتى وصلوا إلى الجوف الجنوبي من الجزيرة .

وهناك اتخذوا (صرواح) و (مأرب) عاصمتين لهم . وتقع (مأرب) التي اكتسبت شهرتها من سد مأرب العظيم على نحو (٦٠) ميلاً إلى الشرق من صنعاء . وكان ملوك سبا الأقدمون يلقبون بلقب (مكرب) شأنهم في ذلك شأن ملوك قطبان الأوائل ، ثم أخذوا يتلقبون بلقب (ملك) ، وقد وصلت إلينا أسماء ١٥ ملكاً و ١٢ ملكاً .

وقد اشتهر دور المكارب ببناء سد مأرب الذي يعد أعظم سد أنشئ في الجزيرة العربية ، إذ كان من أعاجيب العالم القديم . فأول مكاري سبا وصل اسمه إلينا (سمح علي) (حوالي ٨٠٠ - ٧٨٠ ق. م) ثم تلاه في الحكم المكرب (يدع ايل ضريح) و (يدع ايل بين) وقد تولى بعد ذلك المكارب (سمح علي بناف) و (يشمر وتر) و (ايل بين) وهم الذين قدموا الجزيرة لسنحاريب وأسرحدون . وفي عهد (ذمر علي وتر) خلف كرب (ايل بين) بدئاً بتشييد سد مأرب أو سد العرم .

الحميريون

كان السبئيون قد خلفوا المعينيين في نقل التجارة بين الهند والحبشة



★ أحد التماثيل البرونزية المكتشفة في مقبرة في «مئة» (تجمع) في جنوب الجزيرة العربية يعود تاريخه إلى ٧٥٠ - ٥٠٠ ق.م. ★

الصفويون

هم قبائل عربية من جنوبي جزيرة العرب ، كانوا ينتقلون من مكان إلى آخر طلباً للماء والكلأ ، فكانت رحلاتهم تسير وفق نظام فصول السنة ، إذ كانوا يقضون الشتاء في جزيرة العرب وخاصة في (مجد) ، وفي الربيع كانوا يتجهون نحو الشمال بحثاً عن المراعي فيصلون إلى أطراف حدود أهل الحضر ، وكانوا أيضاً يغزون المراعي الطبيعية مثل مراعي الجولان . فكانت هذه القبائل تقوم بهذه الرحلة نفسها كل عام إلى منطقة الصفاء أو (الصفاء) الكائنة في الجنوب الشرقي من الشام ، مما جعل الباحثين المحدثين يطلقون اسم (الصفويين) عليهم ، نسبة إلى أرض الصفاء التي تركوا فيها كتاباتهم على الأحجار . لذلك فإن كلمة (الصفويون) لا تعني شعباً معيناً أو قبيلة معينة وليست لدينا أية معلومات عن الاسم القديم لسكان إقليم الصفاء ، كما أننا لا نعلم شيئاً عن كيانهم الاجتماعي والسياسي فيما إذا كانوا يشكلون إمارة مستقلة ، مع أنه عثر على نص إغريقي يسمي الإقليم (صفاشن) Saphathene ، واسم إله مزعوم عرف بـ «زيوس الصفوي» أي نسبة إلى هذه الأرض ، وإلى اليوم يطلق على العرب الذين يعيشون حول الصفاء اسم (عرب الصفاء) .

حضارة اليمن

إن أهم المخلوقات الحضارية التي حافظ أهل اليمن عليها ، وقد بقيت معهم ، هي لغتهم القديمة ، وهذا يفسر لنا الأهمية التي كانت للعربية الفصحى بين عرب ما قبل الإسلام ، كما يفسر لنا إجماع علماء النحو المقارن للغات السامية على أن اللغة العربية الفصحى هي بلا منازع أقدم صورة حية من اللغة السامية الأم ، وأقرب هذه الصور إلى تلك اللغة التي تفرعت منها بقية اللغات السامية .

وما يؤيد أن الجماعات التي نزحت من جنوبي الجزيرة العربية إثر الجفاف الذي حل ببلادهم كانوا مزودين بتراث حضاري عربي قديم ورثوه عن أجدادهم وقد جاؤوا به معهم من مناطق سكنهم ، وهذا التراث هو الخبرة الهندسية التي اكتسبوها من ممارسة الزراعة على مشاريع الري .

ومصر والشام والعراق فكانت السلع والأطياب تأتي من الهند والحبشة إلى شواطئ جزيرة العرب فينقلها السبئيون على قوافلهم إلى مصر والشام . فكان أن ازدهرت بلادهم واتسعت ثروتهم وامتد سلطانهم إلى أطراف الجزيرة شمالاً وشرقاً فعمروا بلادهم بحفر الترع وإنشاء السدود وبناء القصور والهيكل والحصون وقد مارسوا الزراعة على أوسع نطاق حتى أخذت طرق التجارة تتحول من البر إلى البحر الأحمر وتنزل بضائعها في الموانئ المصرية أو في العقبة .

وقد أدى ذلك إلى تدهور أحوال المدن اليمنية التي كانت تعتمد في الأكثر على التجارة المارة بها ، وذلك في حين تحول الانتعاش إلى المدن اليمنية الواقعة على ساحل البحر الأحمر ، فأخذت قوة هذه المدن تزداد تدريجياً حتى استطاعت أن تغلب على السبئيين وأن تكون دولة مستقلة . وكان أصحاب هذه المدن هم (الحميريون) وهم فرع من السبئيين اتخذوا (ريدان) التي هي (ظفار) الواقعة على بعد مئة ميل من (مخا) عاصمة لهم .

وبدأ العصر الحميري سنة ١١٥ ق . م ، حين انتقلت عاصمة السبئيين إلى (ريدان) وينتهي بانقراض دولة حمير على عهد (ذئب نوّاس) عام ٥٢٥ م . وبذلك يكون الحميريون قد حكموا في اليمن ٦٤٠ سنة ، وقد عثر علماء الآثار على أسماء ٢٨ ملكاً من ملوك حمير حكموا في الفترة بين سنة ١١٥ ق . م ، وسنة ٥٢٥ بعد الميلاد .

وقد ساعد الحميريين موقعهم الساحلي واحتكارهم الملاحة في البحر الأحمر على الاسهام في الحركة التجارية حتى سنحت لهم الفرصة فتغلبوا على إخوانهم السبئيين أو اتخذوا معهم في آخر أيام دولتهم فصار لقب زعيمهم (ملك سبأ وذئب ريدان) وريدان هي ظفار عاصمة الحميريين .

وفي عهد الدولة الحميرية بدأت المسيحية تنتشر في اليمن فاتخذ الأحباش من نصارى اليمن سنداً لهم واستولوا على اليمن سنة ٣٤٠ م . غير أن الحكم الحبشي لم يدم طويلاً ، فقد استطاع اليمنيون إخراجهم سنة ٣٧٨ م . وكان هذه الحملة رد فعل عند اليمنيين الحميريين ضدّ النصارى ، فلما جاء (ذئب نوّاس) (٥١٥ - ٥٢٥ م) عزم على اجتثاث المسيحية من اليمن وفرض على النصارى ترك دينهم ، ولما أبوا أحرقهم بالنار .

ويرى أن (ذا نوّاس) اعتنق اليهودية وتسمى (يوسف) أو (فناحاص) غير أن اضطهاد ذئب نوّاس للمسيحيين أثار البيزنطيين فأوعزوا إلى الأحباش بالهجوم على اليمن انتصاراً للنصارى ، وكان أن جهز الأحباش حملة على الدولة الحميرية واستطاعوا أن يقضوا عليها ، فقتلوا أهلها وهدموا حصونها ، أما ذو نوّاس فقد رمى بنفسه في البحر وقال : (الموت في البحر خير من الأسر) ولكن لم يلبث أهل اليمن طويلاً حتى استنجدوا بالساسانيين الفرس وهم أعداء البيزنطيين فأنجدهم بقوة استطاعت أن تخرج الأحباش من اليمن ، وبذلك تحررت اليمن على الرغم من محاولة الفرس البقاء فيها .

هناك من الثقافة القديمة ما هو جدير بالبقاء أو بمقاومة الحياة الجديدة المتكاملة التي أتى بها الإسلام .

الخاتمة

إن حضارة العرب تميزت في كل الأدوار التي مرت بها بالاستمرارية والديمومة . فقد بدأت في جزيرة العرب قبل أكثر من عشرين ألف سنة ثم توقفت مؤقتاً بعد أن حل الجفاف في البلاد ، ولكنها واصلت نشاطها فكانت إمبراطورياتها في وادي الرافدين ، ثم عادت فظهرت في جزيرة العرب أيضاً بظهور الإمبراطورية العربية الإسلامية بعد القرن السادس الميلادي ، وهي لم تزل حية لم تمت تمارس نشاطها الحضاري حتى هذا اليوم .

وأهم ما تميزت به حضارة العرب هذه هي أنها ذات طابع أصيل وذات طابع استمراري متواصل عبر العصور التاريخية ، فقد كانت في كل الأدوار التي مرت بها ، تزدهر حيناً ثم تنهار حيناً آخر ، ثم تنبعث من جديد وتحتفي عدة مرات ، كل ذلك دليل على أن هذه الحضارة لا تزال حية بجذورها العميقة ومقوماتها التراثية .

وفي ذلك يقول (جورج سارتون) : «سبق للعرب أن قادوا العالم في مرحلتين طويلتين من مراحل التقدم الإنساني طوال ألفي سنة على الأقل قبل أيام اليونان ، ثم في العصور الوسطى مدة أربعة قرون تقريباً ، وليس ثمة ما يمنع هذه الشعوب من أن تقود العالم ثانية في المستقبل القريب أو البعيد» .

ويجب أن لا ننسى أن جميع الحضارات السني قامت على الأرض العربية هي ملك الأمة العربية . وأن حضارة العرب على امتدادها التاريخي هي الوريث الشرعي لتلك الحضارات القديمة . وكما ازدهرت حضارة العرب ثم اختفت عدة مرات عبر التاريخ ، كذلك ستنبعث من جديد في المستقبل ، والتاريخ يعيد نفسه (*) .

الهوامش

(١) كان لمادة البخور أهمية خاصة في العالم القديم نوازي أهمية الذهب والتوب في عصرنا الحديث ، إذ كان البخور يستخدم أساساً عند تقديم التذوق في المعابد . وكانوا أيضاً يستخدمونه أثناء حرق جثث الموتى من أجل القضاء على الروائح الكريهة المنبعثة منها من جهة ، ومن جهة أخرى : لأجل استرضاء الآلهة شرعومة . ولا شك في أن الحاجة إلى البخور كانت بالغة الأهمية قبل ظهور المسيحية ، وعندما كانت العادة هي أن تحرق جثث الموتى بدل أن تدفن عادياً . كذلك كانت الحاجة شديدة إلى البخور من أجل استخدامه في تحضير السورائح العطرية وأيضاً لبعض خاصيته الشفائية . فقد كانوا يستخدمونه لوقف النزيف والنسم ، وهو مع مادة (المر) كانا يستعملان أيضاً كعقاقير طبية لتخفيف الشلل ووجع الرأس وداء الاستسقاء .

(*) صدر الكتاب عن (وزارة الثقافة والإعلام) بغداد ١٩٧٩ م ، طباعة : دار الحرية . يقع الكتاب بمحرد ٣١٦ صفحة من الحجم الكبير .

ولما كانت الزراعة عماد الحضارات القديمة فهذا هو تفسير السر الكامن في مقدرة المهاجرين الجدد أن يؤسسوا في وادي الرافدين أعظم الإمبراطوريات مما عرفه عالم ذلك الزمان في مدة قصيرة نسبياً .

ومما ساعد أهل اليمن على تكوين الممالك العربية واستمرار حضارة العرب القديمة استخدامهم مياه السيول بإنشاء السدود والخزانات حتى بعد الجفاف ، وهذا مكنهم من استمرار ممارستهم الزراعة التي تعتمد على الري الدائم ، ولما كانت أودية الجزيرة الحالية تؤلف أنهاراً جارية في العصر الجليدي الأخير ، وذلك قبل نزوح سكان الجزيرة إلى الهلال الخصيب ، وادي النيل وحضارة وادي الرافدين .

أما العوامل التي أدت إلى سقوط حضارة اليمن فيمكن تلخيصها في النقاط التالية المشابهة فيما بينها :

١ - العامل الاقتصادي : وذلك من جراء فقدان اليمنيين لتجارة المر والبخور منذ بداية القرن الرابع ، مما أدى إلى عزل اليمن سياسياً واقتصادياً وثقافياً عن مراكز الحضارات الأخرى في حوض البحر الأبيض المتوسط وبلاد الرافدين . كنتيجة حتمية أفقدها حركة التواصل والتأثير في الأفكار والقيم الحضارية المشتركة .

٢ - العامل الاجتماعي : وذلك بسبب الحروب الداخلية والغزو الخارجي ، مما أدى إلى هجر أعمال الري الرئيسية وإهمالها ، وإعاقة إجراءات الصيانة الضرورية لأنظمة الري .

٣ - العامل السياسي : وذلك بانقلاب الأقلية الموجهة إلى سلطة تعسفية في أواخر حياة الحضارة اليمنية عندما بدأ العمل يقل تدريجياً بنظام الاستشارة ، ثم زال من الوجود منذ القرن الثالث للميلاد بعد قيام دولة سبأ وذئب وريدان وحضرموت ويمنات .

٤ - العامل الديني : وذلك بقيام الأقلية المسيطرة في اليمن القديمة بفرض المسيحية على رعاياها . وقد حاولت في الأخير أيضاً محاولات عقيمة للتوفيق بينها وبين اليهودية ، ولكن زاد الأمر سوءً فأدى إلى تقسيم اليمنيين إلى فريقين متناحرين يتقاتلان من أجل تينك الأيديولوجيتين الدخيلتين ، ومن ورائها القوتان الأعظم في ذلك الحين (فارسي ويزنطة) ، مما كان له أبلغ الأثر في سقوط الحضارة اليمنية . ناهيك عن أن الوثنية القديمة في اليمن قد تعرضت لضربات عنيفة من هذه الأيديولوجيات الدينية الجديدة ، والاحتمال كبير في أن القيم السابقة قد تلطخت سمعتها ، وأن مثل هذه التبدلات المتتالية في الأديان قد تركت اليمنيين في حالة ضياع فكري وبدون أية قيم ومعتقدات واضحة يتبدون بها ويرجعون إليها .

٥ - العامل الثقافي : وذلك بسبب الفتور الذي خيم على ثقافتهم القديمة التي شاخت بحيث لم يعد بمقدورها مواكبة الحياة الجديدة أو الاستجابة لمطالبها واتجاهاتها . . . وعندما ظهر الإسلام إلى الساحة لم يعد



موضوع
خاص

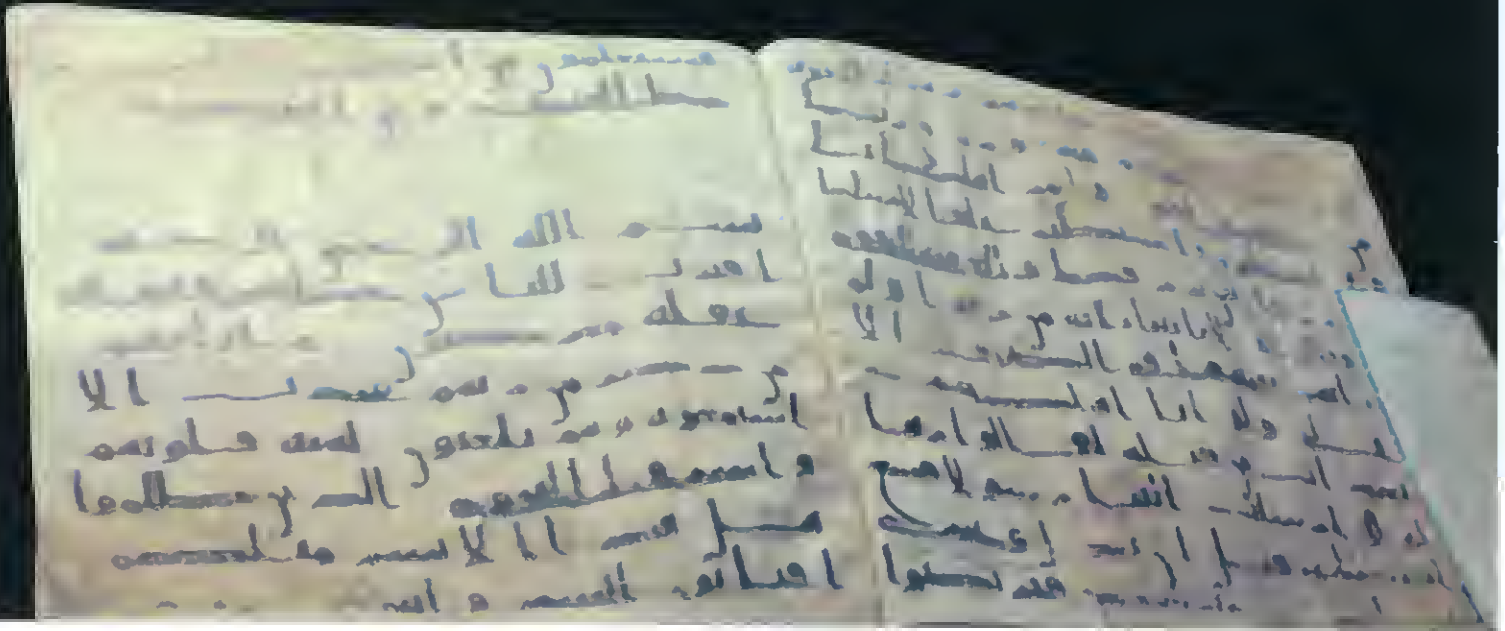
المصحف الشريف

وتطور الخط العربي

بمقدم: د. سعد ضال

أقامت دار الكتب والوثائق القومية في مبناها الجديد بكورنيش النيل بالقاهرة معرضاً تراثياً ضمّ مجموعة ضخمة من المصاحف الشريفة تمثل في تسلسلها تطوراً تاريخياً فنياً ممتازاً للخط العربي.





★ مصحف عثمان بن عفان ★

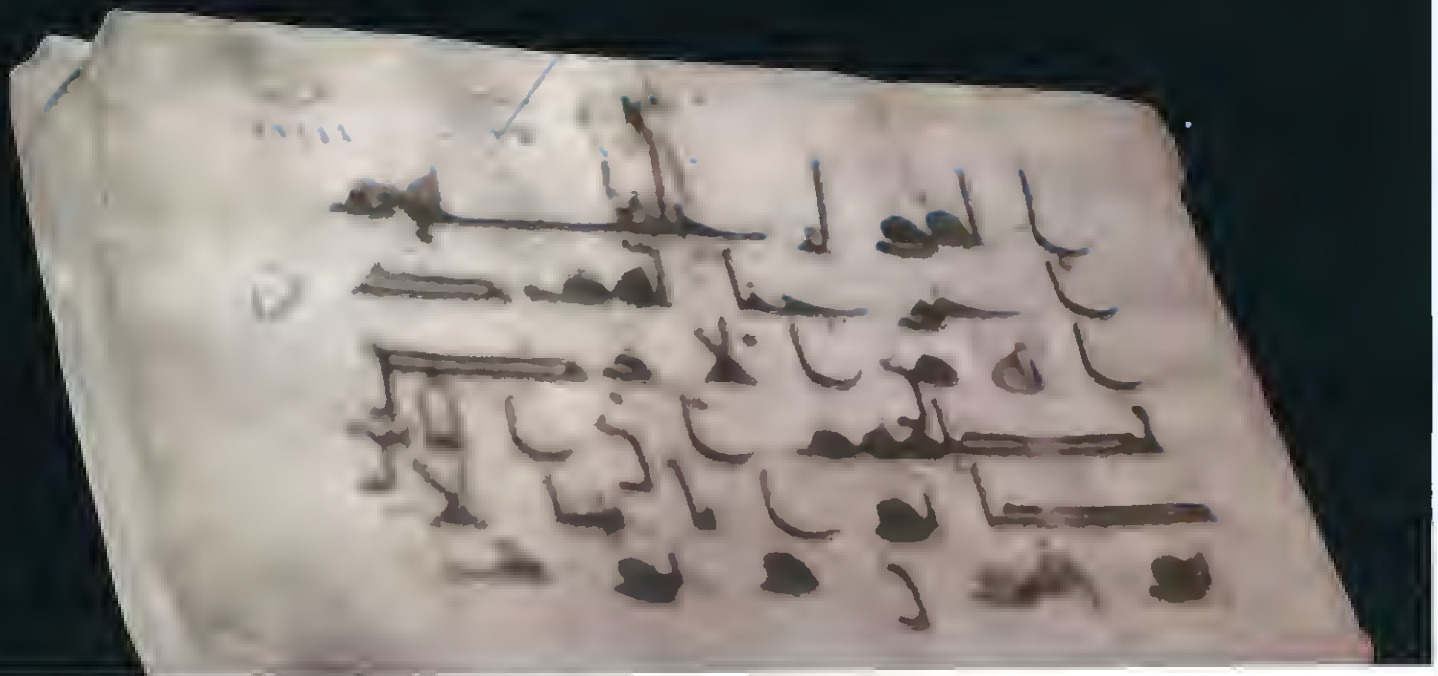
وهذه النماذج تمثل تطوراً تاريخياً فنياً للأدوات الكتابية ، وللأشياء التي كانت تستخدم في الكتابة عليها ، وكيف تطورت هذه الأدوات حتى وصلت إلى الورق في القرن الرابع الهجري .
ومجموعة المصاحف المعروضة تمثل تراثاً غالياً في التطور الفني التاريخي للخط العربي وللكتابة العربية عموماً .

ولكي نتبين هذا التطور التاريخي الفني ينبغي أن نعرض الفكرة التاريخية حول معرفة العرب للكتابة .

فالعرب أمة أمية . هكذا وصفهم الله سبحانه ، والرسول من العرب وهو أمي لم يقرأ ولم يكتب ، ولم يكن قارئاً أو كاتباً قبل نزول الوحي . قال تعالى : ﴿ وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذا لا رتاب المبطلون . بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم ﴾ (٢) . وكانت أميته من بين أسباب التصديق برسائله وإعجاز القرآن ، وهناك خلاف حول معرفته القراءة والكتابة بعد

وقد زخر المعرض بمجموعة لا بأس بها من أدوات الكتابة وبنوادرها في القرون الأولى للهجرة . فضم دواة من حجر الصابون في شكل مربع يمثل عيين للمداد ومكاناً لليقية^(١) من الحرير ، ومستطيلاً للمرملة لتجفيف المداد وقلماً من البوص للكتابة .

وكما ضم المعرض مجموعة من نماذج أدوات الكتابة ، ضم مجموعة أخرى من المواد التي كانوا يحتبون فيها : فهناك مجموعة من السقوف كانت تستعمل كمذكرات خاصة ، ومفكرة من الأوراق البردية غيطة من أعلى كانت تستعمل كمذكرات خاصة يومية فيما يبدو ، وهناك أيضاً قطعة من الخشب مكتوب عليها الآية الكرعية « والنجم إذا هوى » وقطعة رخام من عهد الوليد بن معاوية المتوفي ٢٠٥ هـ ، وكثف جل مكتوب عليه أسماء الشهود المعتمدين لدى القاضي في أوائل القرن الرابع الهجري ، كان يُعلق على باب الوالي ، وعقد زواج مكتوب على ورق من القرن الرابع الهجري أيضاً .



★ مصحف أبي الأسود الدؤلي ★

الأمية التي كانوا عليها إلى مرحلة فيها قراءة وتلاوة وكتابة للكتب وبيان وفيها تعليم للحكمة ونظهير النفوس ونزكيتهما قال تعالى : ﴿ فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون ﴾ (٥) . ولهذا لم يكن بمستغرب أن تكون أول آية نزلت من القرآن الكريم على الرسول وأولى طلائع الوحي المهيبة في حراء النور تحديداً لهذا الواقع الذي كان عليه العرب وعروجاً بهم إلى هوادي المستقبل المليء بالبشر والرجاء ، وربطاً للرسالة وللرسول بالفلاح والإيمان والهداية من جهة ، وبالنور والعلم وتعليم الحكمة والآي البينات التي نزلت على الرسول . . ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم ﴾ (٦) . وقد ارتبطت عملية التغير باسم الله الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم ، وكان الله أعطى أداة التعلم وهو القلم مع أول آية إيداناً ببدء عملية التغير والإصلاح المنشود المرتبط بالله

البعثة ، أظهر هذه الآراء أنه بقي أمياً ، وليس ذلك فيما يخدش أو يشين . يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿ هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفئ ضلال مبين . وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ﴾ (٣) . ﴿ لقد مَنَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفئ ضلال مبين ﴾ (٤) . ونلاحظ أن الآيات السابقة تثبت أمية العرب وأمية الرسول . ولكنها في الوقت نفسه تثبت أن الرسول والرسالة قد ارتبطت بهما أمر حيوي هام بالنسبة إلى العرب وهو التغير الذي يتناول كل شؤونهم ومختلف حياتهم وأوجه نشاطهم . فقد ارتبطت بهما أمر تلاوة القرآن والكتب والتعليم والتزكية ، فكانه من غاية الرسالة الإسلامية الخروج بالعرب من هذه

دفع بالحضارة إلى اتجاه جديد ، ومنحى جديد ، منحى التدوين والتسجيل ، ففضل القرآن على الحضارة العربية في هذا فضل عظيم دون شك .

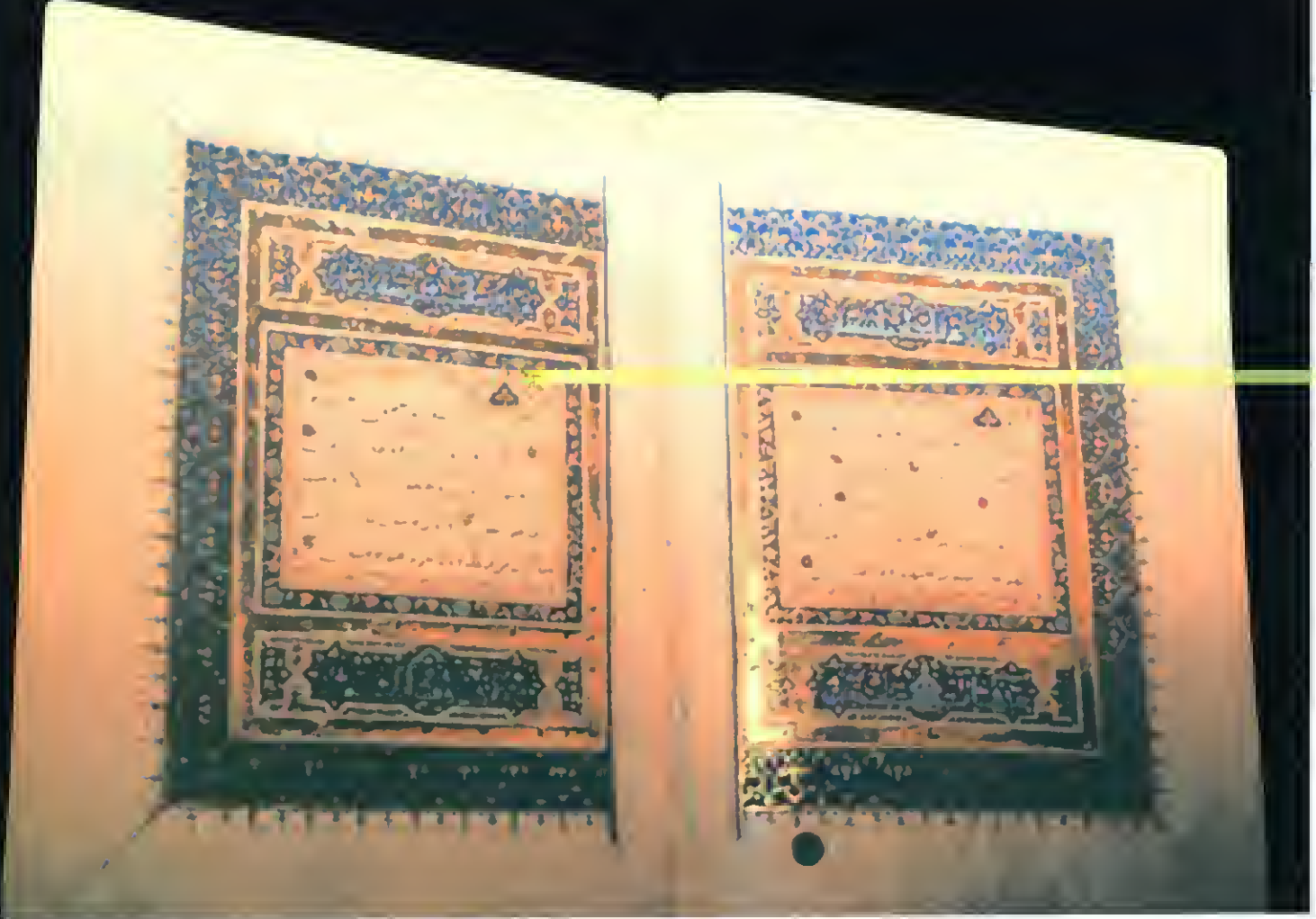
لكن . . كيف تعلم العرب الكتابة ؟ وكيف بدأت كتابة القرآن ؟ وكيف تطور هذا الفن ؟

أما كيف تعلم العرب الكتابة ، فلذلك تاريخ طويل ، فقد كانت هناك حروف متشابهة أو متباينة يكتب بها الحميريون والسبئيون والمعيشيون وكتب بها أقوام عاد وثمود ، ثم اتصلت بالحيرة والأنبار ، ربما بعد انهيار سد مأرب وبدء اتصال العرب الجنوبيين بالشمالين .

والمهم أن أهل الأنبار هم الذين نشطوا هذا الفن ، فعلموا أهل الحيرة الكتابة ، وعلموهم القلم الذي به تُمحرى الأمية وتنكشف رموز الأشياء وتُعرف حقائقها .

والحق ، وبالتعليم للإنسان . حتى كان الرسول نفسه نوراً وكان القرآن — وهو المعجزة الوحيدة من بين المعجزات — كتاباً مكتوباً مقروءً ليقى ويؤثر ويغير ﴿ يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً ﴾ (٧) . ﴿ ذلك تتلوه عليكم من الآيات والذكر الحكيم ﴾ (٨) .

ولقد ارتبطت أمية العرب أيضاً بأن ظلت الحضارة العربية حضارة شفوية ذات طابع شفوي يجعلها قريبة من ينابيع الطفولة والبداية ، واستمرت تحاول الاحتفاظ بكل المعارف والأحداث والتواريخ في قالب لغوي يسهل حفظه ويخدم غرضها في نقل التراث الحضاري بدون تدوين . فاعتمدت على النقل الشفوي حتى أصبح بمرور العصور طابعاً أساسياً تعتمد عليه فخصصوا النقلة والرواة وأصبحت صدورهم سجلات تزخر بكل ما تتسع له حضارتهم . ولم تخلص الجزيرة العربية من هذا الطابع الشفوي للحضارة إلا بتكريم الله لها واختصاصها بالقرآن ، الذي



★ مصحف علوي ★

وأول من وضع الخط فيما يحكيه القلقشندي^(١) رجل من طيء سمي أولاده بأسماء الحروف الهجائية «أبجد. هوز. حطي. كلمن. سغصص. فرشت». قال: فوضعت الكتابة على أسمائهم، وزادوا ما نقص من حروف الكتابة والنطق. ثم شاع هذا وفشا في العرب بغداد.

وروي أن زياداً قال لابن عباس رضي الله عنه: معاشر فريش.. هل كنتم تكتبون في الجاهلية؟ بهذا الكتاب العربي، تجمعون فيه ما اجتمع، وتفقدون فيه ما افترق؟ هجاء بالالف. السلام. الله. الإنكل والقطع، وما يُكتب به اليوم؟

قال ابن عباس: نعم.

قال زياد: فمن علمكم الكتابة؟

قال ابن عباس: حرب بن أمية.

قال زياد: ومن علم حرب بن أمية؟

قال ابن عباس: عبدالله بن جُدعان.
قال زياد: ومن علم عبدالله بن جُدعان؟
قال ابن عباس: أهل الأنبار.
قال زياد: لمن علم أهل الأنبار؟
قال ابن عباس: طارئ طراً عليهم من أهل اليمن من كندة.
قال زياد: لمن علم ذلك الطارئ؟
قال ابن عباس: الحكجان بن الموهوم، كان كاتب هورم نبي الله عز وجل.

وروي أن ثلاثة من طيء اجتمعوا وقاسوا هجاء العربية بالسريانية، ثم تعلم منهم أهل الأنبار وعن طريقهم تعلم أهل الحيرة، كما رواه البلاذري عن عباس بن هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن جده.

ونلاحظ بعد هذا كله أن الحجازيين والمكيين تعلموا الخط



★ المصحف المهدي الكبير ★

لسانه وشفته ، مخافة أن يتفككت منه ما يريد أن يحفظه ، فأنزل الله عليه ﴿ لَا تَحْرُكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَمَاجِلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾^(١١) . « فكان رسول الله إذا ما جاءه جبريل أطرق إليه واستمع » فإذا ذهب قرأه كما وعده الله .

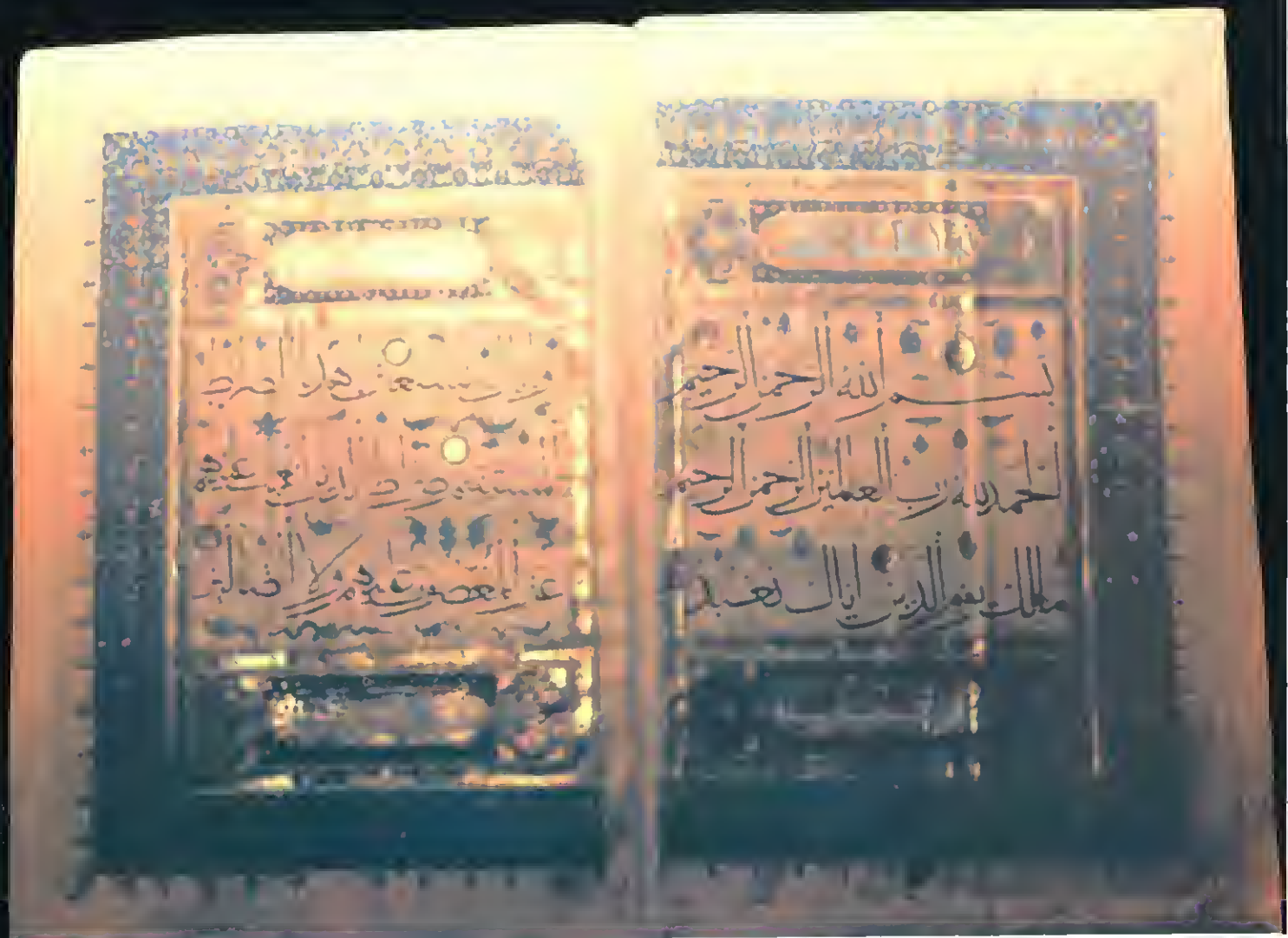
ولقد توجهت همه الرسول إلى تدوين القرآن ، فاختار مجموعة من أصحابه لكتابته ، وكان يعلمهم بنفسه طريقة التدوين للآيات وبين لهم مواضعها فكانوا يكتبون الآيات على رقائق الحجارة المصقولة ، وجريد

النخل والجلود والعظام ، كما كان يأمرهم بتدوين الآيات والصور حسب ترتيب نزولها . فكان الصحابة يكتبون ما يسمعون من رسول الله . وفي الوقت نفسه نهاهم عن كتابة شيء سواه ، يقول الرسول : « لَا تَكْتُبُوا عَنِّي شَيْئًا سِوَى الْقُرْآنِ »^(١٢) .

والكتابة من خارج الحجاز ومكة ، وتلتقي أغلب الآراء حول الأنبياء والحيرة ، الأنبار أولاً ثم الحيرة ، ثم بدأت تظهر بعد ذلك في مكة والمدينة قبل البعثة المحمدية وقد تعلم الكتابة أبو بكر وعمر وعثمان وعلي بعد هجرته ، وكان هناك كتاب للوحي منهم غير هؤلاء الأربعة أبي بن كعب ، وزيد بن ثابت ، وثابت بن قيس بن شماس ، وعبد الله ابن رواحة وغيرهم ذكرهم صاحب الروض الأنف^(١٣) وابن هشام في سيرته .

كتابة القرآن

كانت كل معارف العرب تعتمد على البدئية وكانت كل حضارتهم تعتمد على المشاهدة والنقل والحفظ والسماع والتنقل ، ولم تكن حضارتهم تعتمد على التدوين ، وقد خاف الرسول صلى الله عليه وسلم ، على القرآن أن يتفككت : « وكان الرسول يعالج من النزول شدة فكان يحرك به



★ مصحف ملوكي ★

يقول زيد : فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي
عما أمرني به من جمع القرآن . .

ويقول زيد : فتبعت القرآن أجمعه من العصب واللخاف وصدور
الرجال . حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الانصاري ، لم
أجدها مع أحد غيره .

جمع زيد الصحف ، فكانت عند أبي بكر حياته حتى توفاه الله ،
ثم كانت عند أم المؤمنين حفصة ، وروى أن علياً كان أسبق من أبي
بكر في جمع الصحف . ولكن يضعف هذه الرواية قول علي نفسه :
« أعظم الناس أجراً أبو بكر رضي الله عنه ، هو أول من جمع
المصحف » .

وقام عثمان في عهده بجمع القرآن في مصحف واحد من الصحف
التي كانت عند حفصة ثم نسخ منه مجموعة من المصاحف ، وطيرها
وأرسلها إلى البلاد الإسلامية . وسبب ذلك ما رآه عثمان من الاختلاف

جمع القرآن

ولم يجمع القرآن في شكل مصحف على عهد رسول الله ، وإنما كان
في عهد أبي بكر بعد توليه الخلافة ، وبعد أن استمر القتل بالقراء في
بئر معونة وفي معركة اليمامة في العام الثاني للهجرة ، بعد أن استشهد
من الصحابة القراء في هذه المعركة سبعون صحابياً .

جنح عمر لذلك وخشي على القرآن أن يضيع فذهب إلى أبي بكر
وشكا له وطلب منه جمع القرآن ، فتردد في الأمر ، وقال له : كيف نفعل
شيئاً لم يفعله رسول الله من قبل ، وظل عمر يراجع حتى شرح الله صدر
أبي بكر لرأي عمر .

يقول أبو بكر : فطلبت زيد بن ثابت ، وقلت له : إنك رجل
شاب عاقل ، لا تهتك ، فقد كنت تكتب الوحي لرسول الله فتتبع
القرآن فاتممه .

في قراءة القرآن ، وقد كان زيد بن ثابت وعبد الرحمن بن الحارث ابن هشام وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص نساخ أول مصحف بأمر عثمان .

وكان من أهم خصائص مصحف عثمان ترتيب السور وتنسيقها على الصورة والشكل اللذين نراهما الآن ، ثم أحرق عثمان المصاحف المخالفة . ومصحف عثمان مكتوب بخط كوفي ، ويلاحظ عليه خطه الواسع ، فالصفحة فيه تتسع لاثني عشر سطراً ، مكتوب على رق غزال أبيض وحجمه كبير وتبدأ الصفحة اليمنى التي في الشكل من قوله ﴿ ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ﴾ من أواخر سورة « طه » إلى قوله تعالى : ﴿ فترى صوا ﴾ وتبدأ الصفحة الثانية (اليسرى) من قوله تعالى : ﴿ فستعلمون من أصحاب الصراط السوي ومن اهتدى ﴾ ، آخر سورة طه ثم تبدأ سورة الأنبياء فتنتهي عند قوله تعالى : ﴿ وأنتم تبصرون ﴾ ويقال إن هذا المصحف هو الذي استشهد عليه عثمان رضي الله عنه .



وأعلب الظن أنه من المصاحف التي طبرها عثمان إلى الألفاف . كما يلاحظ على المصحف خلوه من النقط والشكل ، لأن النقط والشكل جاءا في مرحلة نالية بعد ذلك ، لقد كان الذوق العربي والفطرة العربية السليمة في النطق تستغني عن النقط والشكل مسندة إلى ملكة ذوقية سليمة وفطرة صحيحة .

وهناك إلى جانب مصحف عثمان مصحف الحسن البصري ٧٧ هـ، وهو مكتوب بخط كوفي أيضاً، ولكن خطه دقيق جداً، وسعة الصفحة ثلاثون سطراً، وحجمه صغير.

وكلا المصحفين مكتوب في القرن الأول الهجري ، وقد خلبا من النقط والشكل .

نقط المصاحف

كانت المصاحف التي نسخت عبر منقوطة ، وكانت حروفها كلها مهمة غير معجمة أو منقوطة ، فلقد كان السلاطون في أوجها والمواهب اللغوية والملكات اللغوية في برجها الأسنى .

ولم تكن هناك ضرورات نسندعي النقط أو نوجبه ، فلم تكن تأثرت بالعجمية بعد ، وحدث أن فتح الله على المسلمين الأقطار والأمصار لم تكن لغاتها العربية ، فبدأ الاعتماد على السلائق يضعف بالاحتكاك من جهتين : من جهة الاحتكاك الناشئ بين العربي وغيره من أبناء الإسلام فرساً أو روميين ، ومن جهة الموالي من الفرس والروم الداخلين في الإسلام . وقد أدى هذا كله إلى أن بدأت الحاجة إلى نقط المصاحف تتضح وتظهر وتُلمح .

فلقد بدأ الموالي يقرؤون القرآن ويلحنون في قراءته . فنهض لهذا الأمر بعض الغيورين على القرآن يصوبون هذه الألسن ، وقد رأوا أن أسلم الطرق لتلافي ذلك الخطأ هو نقط المصحف . وقد قام بهذا الأمر أبو الأسود الدؤلي ، فهو أول من نقط المصاحف ، وقبل إن الذي نهض بهذا الأمر هو نصر بن عاصم الليثي وعيسى بن عجر العدواني ، وقد يكون هذان قاما بعد أبي الأسود بتصحيح بعض المصاحف بالنقط ، فقد اشتهر أنه هو الذي نقط المصحف ، كما اشتهر بأنه هو الذي حَقَّق الشكل الإعرابي للحروف عندما سمع قارئاً يقرأ فوله تعالى : « وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله » بالجر .

وقيل إن الذي أمره بذلك زياد بن أبيه ، وقيل : بل علي بن أبي طالب هو الذي أمر أبا الأسود أن يضبط الشكل القرآني وقد أوشك أبو الأسود أن يمثل لهذا الأمر ، لكن مات علي ، وجاء معاوية ، فخشى أبو الأسود أن يقال إنه لم يقم به في عهد علي ، وقد فام به في عهد معاوية حتى سمع القارئ ينلو الآية السابقة على هذا النحو من الخطأ





★ مصحف جعفر الصادق ★

الصادق « ابن الإمام محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الإمام الحسين السبط بن الإمام علي وهو مكتوب على رق غزال والأسطر في كل صفحة تسعة عشر سطراً ويلاحظ عليه أن هناك ابتداء لظهور الفواصل والنقط، والشكل والنقط فيه بأصل المداد الأسود، والشكل باللون الأحمر. ومصحف أبو الأسود الدؤلي، وهو أول مصحف نُقِطَ وشكل وظهرت عليه حركات النطق في آخر كل كلمة، خوفاً من اللحن وقد اهتم بحركات النطق على آخر كل كلمة خوفاً من اللحن.

والمصحفان على ورق غزال أبيض والخط فيها كوفي.

كما توجد أيضاً مجموعة من المصاحف غير الكاملة مكتوبة في القرنين الثاني والثالث الهجريين، وكلها بالخط الكوفي، ومكتوبة على رق غزال

أبيض، والنقط والشكل والإعراب حسب ما رآه أبو الأسود.

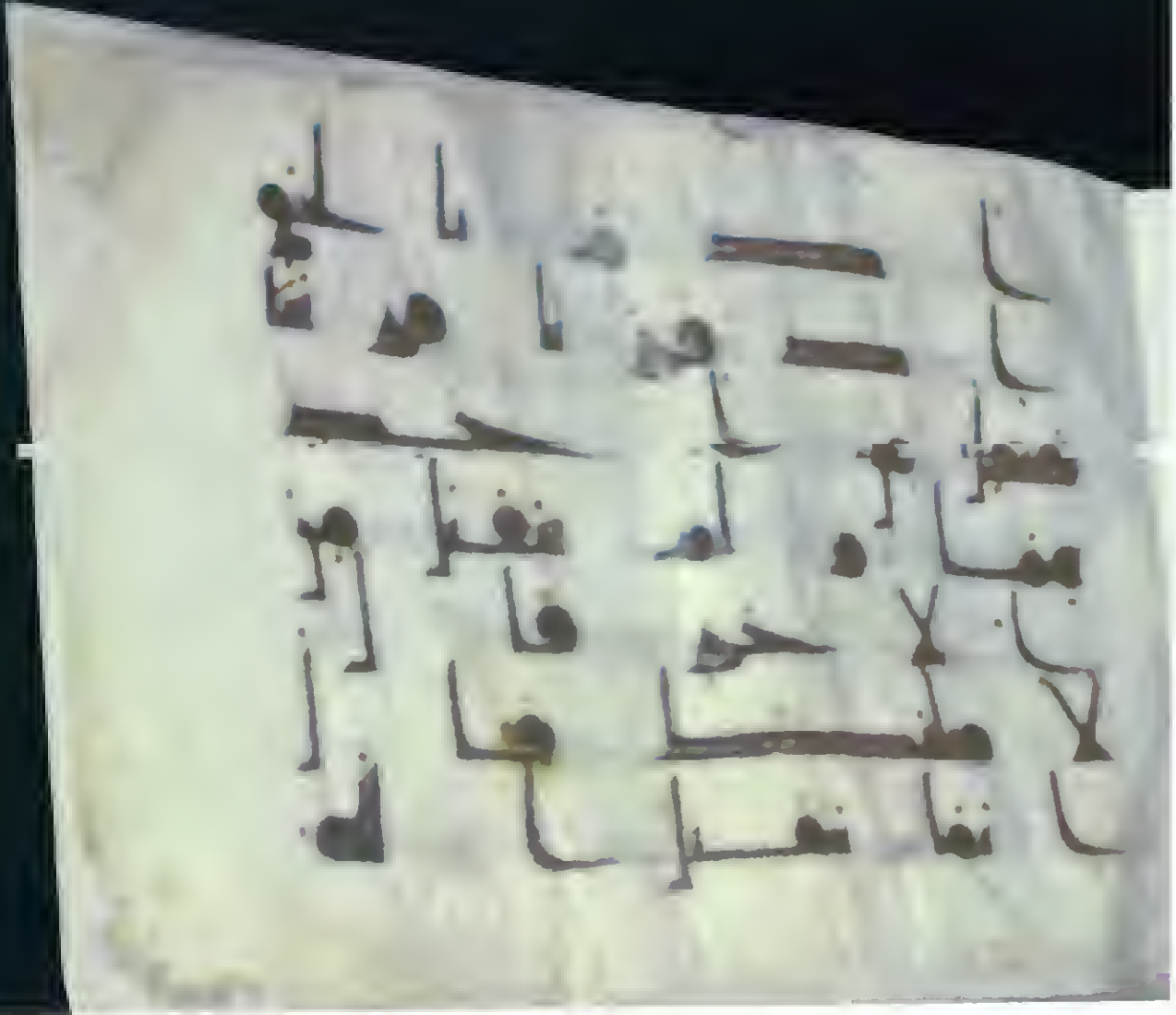
الفاحش فنهض للأمر.

ولم يكن الشكل شائعاً آنذاك، وإنما كان يقوم النقط مقامه، فكانت توضع نقطة على الحرف الأخير بدل الفتحة أو للدلالة عليها، ونقطة تحته لتدل على الكسرة، ونقطتين لتدلا على السكون، أما الضمة فكانت توضع نقطة بين الحرف علامة على الضمة.

وليس معنى هذا أن القرآن كان يقرأ دون إعراب، أو أنه كان يقرأ وإعرابه مهملة، كما يزعم بعض المستشرقين^(١٤)، وهو زعم مزيف نفاه حتى تولدكه نفسه.

أما شكل الحرف الذي نراه الآن في القرآن، فقد تم الاتفاق عليه في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان.

وفي المعرض من مصاحف القرن الثاني مصحف «جعفر



الحضارة الإسلامية وأثرها في رسم المصاحف والخط

ارتقى الخط العربي بارتقاء الحضارة الإسلامية ، وبعد أن كان الخط بلا قاعدة وُضعت له القواعد والأصول ، والأحبار والألوان ، وعُدلوا من كيفية إمساك الكاتب للقلم ... إلخ .

وبدأوا يبتكرون في رسم الحروف بدءاً من الكتابة الحجازية المستطيلة فيها مدات الحروف النائمة كالذال والكاف وتنزوي حروفها المقصورة كالواو والراء والنون .

ثم انتقلت الكتابة الحجازية إلى البصرة والكوفة مع مصحف عثمان ، فنشأ أول طراز من طرازات الكتابة بأنواعها الثلاثة المستقيمة والمائلة والمثلثة .

وعرفت هذه الكتابة بكوفي المصاحف . وقد جاورها في التدوين خط

النسخ لكتابة المؤلفات .

وفي القرن الثالث الهجري انتهى الخط إلى ابن مقلة ، وكان فناناً كبيراً فابتدع القواعد لقياس الحروف ميلاً واستقامة وتدويراً وتقويراً ونقطاً وأنصافاً ، وذكر كثيراً من هذه القواعد في رسالته التي عنوانها « رسالة في علم الخط والقلم » .

وانتقلت زعامة الخط من بعده إلى تلاميذه ابن اليوَاب وياقوت المستعصمي وغيره حتى اشتهر في القرن الرابع عشر للهجرة في تركيا عبد العزيز زهدي الشهير « بطور غه لي » والحافظ عثمان وشكر زاده ، وفي مصر محمد حسني وسيد إبراهيم ، وفي العراق هاشم البغداددي وغيرهم .

وهذه السلسلة من الكتاب بلغت بالخط العربي درجة الاجادة ، ونوعت أعلامه بين الطومار والجلي والثلاث والنسخ بأنواعه والعراقي والفارسي . ثم لقي القرآن عناية الموزنين والمزركشين الذين بلغوا حد



★ مصحف خواند بركة ★

الجميل ، وقطعه كبير إذ يتجاوز خمسة وسبعين ستيماً طولاً وخمسين ستيماً عرضاً . وتوجد مصاحف مملوكية من عصر خواند بركة منها مصحف ابنها السلطان شعبان . ويلاحظ عليها كلها تحلية الآيات والفواصل والتجزئة بالألوان والعناصر الغالية .

ومنها مصحف «برسبای» و «أرغون شاه» والسلطان محمد ابن قلاوون ومصحف السلطان «صرغتمش» ، ومصحف فرج ابن برقوق والسلطان برقوق .

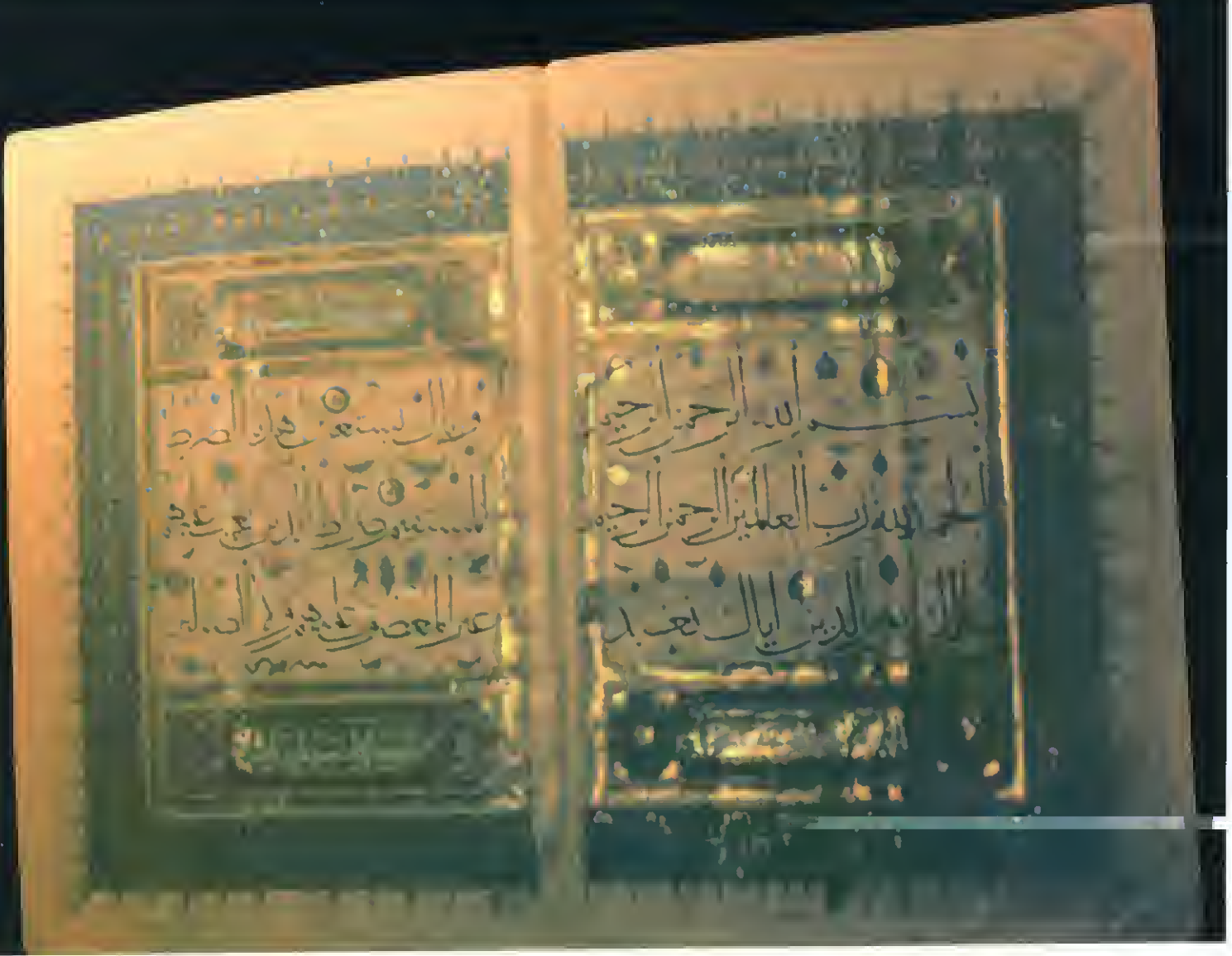
وكلها تحمل نفس الطابع ونفس الموصفات في الزينة والتحلية .

وهناك في هذا المعرض مصحف هندي أهدي من نواب ولاية اسمها «بهوبال» سنة ١٩٥٠ م ، مكتوب بخط قلم نلث ، ويتخلل الأسطر ترجمة فارسية ، وهو مقسم على سبعة أقسام أو سبعة أجزاء ، كل جزء وضع وحده ، والقسم الأول وهو الموجود بالمعرض ، مجلد بخلاف من الفضة الخالصة المطعمة بالرقائق الذهبية ، والرقائق

الروعة في التزيين والتحلية ، فتناولوا رؤوس السور بأنواع من التشكيلات النباتية أو الهندسية التي شكلت بألوان التذهيب واللازورد والأزرق والقرمزي ، وقد فعمل هذا التزيين فواصل الآي وعلامات التجزئة في الأحزاب والأرباع والأعشار ورموز السجديات ، واختلفت مذاهب المزوقين في الزخرفية التي بلغت غايتها من الانتقان في العصر المملوكي ، والعصر الحاضر .

كما تقن كل المسلمين في أنحاء العالم في هذا التزيين وكان الهنود المسلمون من أبرع وأسخى هؤلاء المزوقين . وأول مصحف مملوكي على هذا النحو الجميل من الزخرفة والزينة والتزيين والحلية الرائعة ، مصحف «خواند بركة» أم السلطان شعبان .

والقلم في هذا المصحف ريماني مضبوط ضبطاً عادياً ، والفواتح وكل رؤوس السور ، وعلامات التجزئة محلاة بالذهب واللازورد والأزرق



★ مصحف علوي ★

الباقوتية ، وغلافه مصنوع بالهند سنة ١٣٣١ هـ ، ويزن طناً من الفضة ، وهو أكبر مصحف في مجموعة المصاحف الموجودة بدار الكتب .

لقد كان القرآن الكريم وأول آية تمجد القلم سبباً في ازدهار الكتابة بين العرب وتفتنهم فيها ، وتقعيدها ، والاهتمام بتطويرها ، جيلاً بعد جيل ، وقد سارت مع القرآن مسيرة تاريخية ، فأتقن المسلمون من خلال اتقانهم للقرآن واحترافهم به ، أتقنوا فن الخط ، وأتقنوا فن الهندسة في تزويقه وتحليته إلى الحد الذي ذكرنا . قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ .

الهوامش

(١) اللبقة قماشة من الحرير يوضع عليها الخبر ليغمس فيها القلم حتى لا يمتلئ

ليتحكم فيه الكاتب عند الكتابة .

(٢) سورة العنكبوت الآية ٤٨ ، وجزء من الآية ٤٩ .

(٣) سورة الجمعة ، الآية ٢-٤ .

(٤) سورة آل عمران الآية ١٦٤ .

(٥) سورة الأعراف الآية ١٥٧ .

(٦) سورة العلق ، الآية ١-٥ .

(٧) سورة النساء الآية ١٧٤ .

(٨) سورة آل عمران الآية ٥٨ .

(٩) راجع صبح الأعشى ، ج ٣ ، ص ٩ .

(١٠) راجع الروض الأنف ، ج ٦ ، ص ٤٨٧ ، تحقيق عبد الرحمن

الوكيل ، دار النصر للطباعة ، القاهرة ١٩٧٠ م .

(١١) رواه البخاري ومسلم والإمام أحمد بسنده عن ابن عباس .

(١٢) رواه مسلم بسنده عن أبي سعيد الخدري .

(١٣) راجع العربية ليوهان فك ، ص ١١ .

(١٤) مقدمة العربية للدكتور عبد الحليم النجار ، ص ٤ الهامش .

بالكروت عام ١٩٥٨م.

● اشترك في معارض الربيع والجمعية الكويتية للفنون التشكيلية وأحل وسأج الكروت، بالإضافة إلى المعارض الشخصية.

● بدأ بأيوب حسين

الرسم بالقلم الرصاص والألوان المائية ثم انتجها إلى الاسران

الزيتية... وبدأ عرف بفزارة إنتاجه، وخبرته قبل ظهور النفط

حيث عاصر بلده في عدة

مراحل.

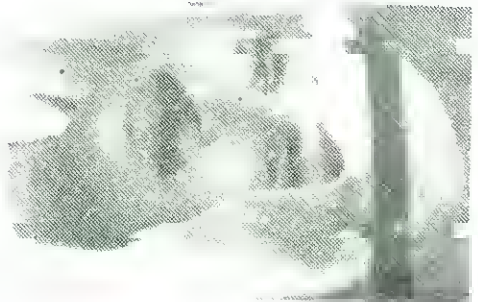
ومع أن لم يدرس الفن في

المعاهد العليا، إلا أنه فنان

أصل... ذ أحوال جيدة، ذكر

أعماله في تع وير البيئة الكويتية والألعاب الرياضية لشدة حبه وتعلقه بيته ولم يتأثر بالتيارات

الفنية الحديثة، بل اتجه بكل مشاعره وجه لبلده إلى ترجمة ذلك في لوحاته فترسم الموضوعات الشعبية التي تمثل العادات والتقاليد القدية.



الكويتية حسين

ولد في الكويت عام

١٩٣٢م

درس في المدرسة

الابتدائية والمتوسطة ثم التحق بدار المعلمين بالمباركة، وهناك تعلم أصول التربية الفنية.

● تخرج عام ١٩٤٩م،

حيث بدأ في تنمية هوايته الفنية وعمل مدرساً في مدرسة الصباح الابتدائية.

● اشترك في أول معرض

فيل



فيل

سحيب سحيب

أصغر إيقاع

بأنجح من خلال العمل أنه يقار من الطبيعة نقلاً حراً! رباك يعتبر فناناً

تبدأ، أي يحل كل ما حوله من مشاهد وأصوات.

يقول أيوب حسين: «إنني دوماً أحاول أن أقلد

الطبيعة بقدر المستطاع لكي أسجل بريشتي هذا

السمج القيم من العادات والتقاليد المندثرة».

سحيب» التي تتكون من

مجموعة من الأطفال في لعبة شعبية قديمة، واحدة من الأعمال التي تعطينا

الإحساس بالحركة والحياة والمعاشية المحيطة التي

تبدو طبيعية إلى حد كبير، لذلك فهي تغل إليك الجو

الطبيعي.

ولقد أهم فيها الفنان

بالتفاصيل والظل والضوء، مستخدماً الراء الفضلة من

يتميز بألوب أيوب حسين

بتقارب الألوان وكثرة استخدام اللونين الأصفر والبرتقالي

متمماً، بقدر الإمكان، عن

في المرحلة الأخيرة من أعماله

بداً يطور أسلوبه موضوعاً التفاصيل في شخصياته، متمماً

على قوة الخط واللون، متناً في

الظل والألوان... حيث يعطي

الحوية والمعاشة. ولوحة «سحيب





إلى شباب الجامعات في مختلف التخصصات ...

يمكنك إكمال دراستك الجامعية
على نفقة القوات البحرية في جامعتك

ما عليك إلا الاتصال بنا وستجدنا على استعداد
لتقديم كافة التسهيلات ونؤمن لك كل
التفقات ونتيح لك الفرصة لتحقيق
مستقبل أفضل



للمراجعة - اتصل بأحد المراكز الآتية :
المنطقة الوسطى : مكتب القوات البحرية بوزارة الدفاع والطيران بالرياض
المنطقة الشرقية : قسم التجنيد بالقوات البحرية بالدمام .
المنطقة الغربية : إدارة الشؤون البحرية بقيادة المنطقة لغربية بحدة .
المنطقة الجنوبية : مندوب القوات البحرية بقيادة المنطقة الجنوبية بحيد مشيط .
بقية المناطق : أقرب قيادة عسكرية .

مواقفة اليمامة

★ مقبرة شهداء معركة اليمامة وتحوي على عدد من قبور الصحابة ★

بقلم: د. عبد العزيز محمد الفيصل

بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب ومنعوا الزكاة ، فعظم ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا كيف نحارب العرب عامة ونحن قلة ، ولكن خليفة رسول الله أبا بكر عزم على حرب المرتدين ، فسير الجيوش إلى أنحاء متفرقة من الجزيرة العربية ، ومن تلك الجيوش التي سيرها أبو بكر جيش خالد بن الوليد الذي أمره بالتوجه إلى متني اليمامة مسيلمة بن حبيب (الكذاب) .

أرض المعركة (اليمامة)

اليمامة معروفة منذ القديم بخصبها وخيراتها ، قال عنها القزويني (أحسن بلاد الله وأكثرها خيراً وتخلأ وشجراً)^(١) ، وبلاد اليمامة هي مساكن طسم وجديس ، وهما من ولد لاوذ بن إرم بن لاوذ بن سام بن نوح . وقد عرف من ملوك اليمامة عمليق الذي اشتهر بظلمه وهو ينتسب إلى طسم .

وما يروى عن ملك اليمامة عمليق أن امرأة اشتكت إليه لأن زوجها يريد أن يأخذ ابنها الصغير ، فأتته قائلة : « أيها الملك هذا ابن حملته تسعاً ووضعته دفعاً وأرضعته شبعاً ولم أنل منه نفعاً حتى إذا تمت أوصاله واستوفى فصاله أراد بعلي أن يأخذه كرهاً ، ويتركني وفي » فقال الرجل : « أيها الملك : أعطيتها المهر كاملاً ولم أصب منها طائلاً إلا ولداً خاملاً فافعل ما كنت فاعلاً ، على

أنني حملته قبل أن تحمله وكفلت أمه قبل أن تكفله » ، فقالت : « أيها الملك حمله خفياً وحملته ثقلاً ووضعته شهوة ووضعته كرهاً ! فلما رأى عمليق مناة حجتها تحير فلم يدرك بحكم ، فأمر بالغلام أن يقبض منها وأن يجعل في غلبانه ، فنذمت المرأة وكان اسمها هزيمة وقالت :

أتينا أخا طسم ليحكم بيننا
فأظهر حكماً في هزيمة ظالماً
لعمري لقد حكمت لا مُشَوَّعاً
ولا كنت فيما يلزم الحكم حاكماً
ندمت ولم أندم وأن بعثرتي
وأصبح بعلي في الحكومة نادماً^(٢)

وعندما سمع عمليق بهذه الأبيات أمر ألا تزوج بكر من نساء جديس حتى

تدخل عليه فيكون هو مفترعها أولاً ! فوجدت جديس من ذلك عنتاً ، وقد تفاقم الأمر ليلة زفاف غفيرة أخت الأسود سيد جديس فقد زفت إلى عمليق أولاً ورددت القينات خلفها :

ابدي بعمليق وقسومي واركبي
وسادري الصبح بأمر معجب
فسوف تلقين الذي لم تطلبي
وما البكر دونه من مهرب

وعندما أدخلت على عمليق امتنعت عليه فافترعها بحديدة وأدماسها ، فخرجت من عنده والدماء تسيل على قدميها وجاءت إلى أخيها وهي تقول :

لا أحد أذل من جديس
أهكذا يفعل بالمعروس ؟

وبعد هذه الحادثة عازمت جديس على قتال طسم ، فدعت جديس طساً إلى طعام وأمر الأسود سيد جديس أن يرفد كل رجل من قومه سيفه في مكان جلوسه حتى إذا حضرت طسم وبدأت في الطعام أخرج كل رجل من جديس سيفه وقضى على رجل من طسم ، وهكذا فعلت جديس ، وبعد هذه الموقعة استنجدت طسم بحسان بن تبيع الحميري فأنجدهم وسار حسان إلى اليمامة وخربها .

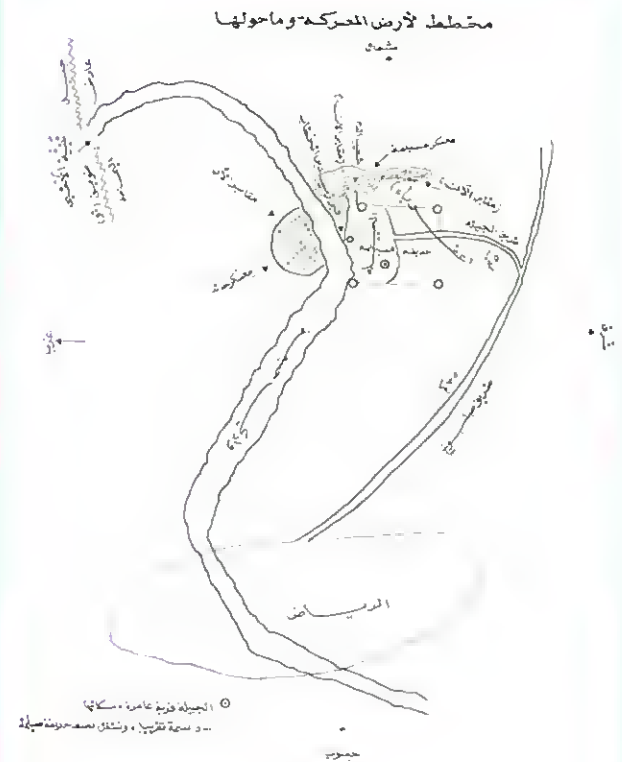
ويبدو أن اليمامة بعد هذه الأحداث تضاعف شأنها . وقاعدة اليمامة على

★ حديقة مسيلمة ★

امتداد تاريخها مدينة خَجَر التي هي جزء من الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية ، يقول لعدة الأصفهاني عن حجر : « حجر سرة اليمامة ، وهي منزل السلطان والجماعة ومنبرها أحد المناابر الأولية »^(٣) والأرض التي ارتوت بدماء الصحابة في القسم الشمالي من اليمامة ؛ في مكان يعرف بعقرباء ، ولم يتغير اسمه حتى الآن ، غير أن القسم الجنوبي الغربي من عقرباء يعرف الآن بالجبيلة ، وبلدة الجبيلة الحالية تحتل قسماً من حديقة مسيلمة وما تشتمل عليه تلك الحديقة من المباني والحصون . وقد دارت معركة اليمامة حول أسوار الحديقة والتي لا تزال قائمة حتى الآن ، ويبدو أن معظم القتال كان بجانب السور الغربي ثم يليه في الأهمية ما كان بجوار السور الشمالي ، أما سور الحديقة الشرقي فلم يجر حوله قتال ، وأما الناحية المطلّة على وادي حنيفة من السور فيظهر أن القتال فيها لم يكن شديداً . وكان معسكر خالد بن الوليد في الضفة الجنوبية من الوادي ، حيث يفصل وادي حنيفة بين معسكر خالد وجيش مسيلمة .

نُبُوّة مُسَيْلِمَة

في السنة العاشرة من الهجرة قدم وفد بني حنيفة على النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان مسيلمة بن حبيب ضمن هذا الوفد ، وقد نقل ابن هشام في السيرة روايتين عن قدوم مسيلمة إحداهما تقول بحضور مسيلمة إلى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن مسيلمة كلم النبي صلى الله عليه وسلم وطلب منه بعض المطالب ، فرد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم - وكان في يده عسيب - : « لو سألتني هذا العسيب ما أعطيتكه » ، والآخرى تقول ببقاء مسيلمة في متاع قومه ، وعندما قدم الوفد على الرسول صلى الله عليه





★ أجزاء من سور مسيلمة وقد رعى أهل الجيلة ★

والعاقبة للمتقين^(٦)

وقد طلب بنو حنيفة من مسيلمة معجزة لبنونه ، فأخرج لهم قارورة ضيقة الرأس فيها بيضة ، وعندما رأى حمامة مفصوصة الجناح أمرهم بعدم قص جناح الطائر ، وقد زعم أنه سيفوم بمعجزة لكي ينبت جناحاً لهذا الطائر الآن ، فأخذ مسيلمة الطائر إلى بيت قريب وأحضر ريشاً وأدخل في قصبة كل ريشة مقطوعة ريشة سليمة ثم خرج بالطائر وقد اكتمل ريشه فأطلقه فطار ، وقد قال لبني حنيفة في ليلة مظلمة شديدة الرياح : لا يخرجن أحد منكم فإن الملك سينزل علي الليلة ، وقد اتخذ صورة من الكاغذ على هيئة طير وربطها بخيط وأرسلها في الجو فأخذت الرياح تحدث لها صوتاً فيه خشخشة وصلصلة ، فكل من رأى تلك الصورة دخل منزله مسرعاً ، والناس يرون الصورة ولا يرون الحيط الذي يشدها^(٧) .

طريق خالد إلى اليمامة

لما عاد خالد بن الوليد من البطاح إلى المدينة ، أمره أبو بكر بالتوجه إلى اليمامة ، تلك البلاد التي استعصت على قائدين سابقين هما عكرمة بن أبي جهل وشرحبيل بن حسنة ، أما عكرمة فقد وجهه أبو بكر إلى مسيلمة ولكنه لم يوفق في حربه مع مسيلمة ، فكتب إلى أبي بكر يخبره بذلك ، فكتب إليه أبو بكر : « يا بن أم عكرمة ، لا أرينك ولا تراني على حالها ! لا ترجع فتوهن الناس . امض على وجهك حتى تسائد حذيفة وعرفجة ، فقاتل معها أهل عمان ومهرة وإن شغلا فامض أنت ، ثم تسير وتسير جندك تستبثون من مررتهم به حتى تلتقوا أنتم والمهاجرين أبي أمية باليمن وحضرموت^(٨) » وأما شرحبيل بن حسنة فإنه فعل فعل عكرمة ، هاجم مسيلمة قبل أن

وسلم وأسلموا ذكرهم لصاحبهم لرسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أما إنه ليس بشركم مكاناً »^(٩) لأن مسيلمة بقي يحفظ أمتعة أصحابه ، وعندما عاد الوفد إلى اليمامة تنبأ مسيلمة وقال إنني أشركت في الأمر مع محمد فلم يقل : « أما إنه ليس بشركم مكاناً » إلا لأنه يعرف أنني قد أشركت في الأمر معه .

وقد أخذ مسيلمة يقول السجع ويدعي أنه مثل قرآن محمد ومما قال في ذلك (لقد أنعم الله على الخبلي أخرج منها نسمة تُسقى من بين صفاف وحشي) وقوله (والليل الأطعم والذئب الأدلم والجذع الأزم ما انتهكت أُسَيْد من محرم) وقوله (والليل الدامس والذئب الهامس ما قطعت أُسَيْد من رطب ولا يابس) وقوله (إن بني نعيم قوم طهر لُقاح لا مكروه عليهم ولا إنساوة نجاورهم ما حيننا بإحسان تمنعهم من كل إنسان فإذا متنا فأمرهم إلى الرحمن) وقوله (والشاء والوانها وأعجبها السود وألبانها ، والشاة السوداء واللبن الأبيض إنه لعجب محض ، وقد حرم المذيق فما لكم لا تمجمعون) وقوله (يا ضفدع ابنة ضفدع نقي ما تنقن أعلاك في الماء وأسفلك في السطين لا الشارب تمنعين ولا الماء تكدرين) وقوله (والبذر زرعاً والحاصدات حصداً والذاريات قححا ، والطاحنات طحناً ، والخابزات خبزاً والثارذات ثرداً ، واللاحقات لقحاً إهالة وسعناً لقد فضلتم على أهل الوبر وما سبقكم أهل المدر ، ريفكم فامنعوه ، والمعتر فأووه ، والباغي فتاوتوه)^(١٠) .

وقد كتب مسيلمة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم : « من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله ، سلام عليك أما بعد فإني قد أشركت في الأمر معك ، وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض ، ولكن قریشاً قوم يعتدون » ، فرد عليه الرسول صلى الله عليه وسلم : « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب ، السلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده



★ جزء من بلدة الجبيلة وهذه البلدة تقع في الجزء الغربي من حذيفة مسيلة *

مجاوعة بن مرارة وعددًا من بني حنيفة ، وقد أخذوا أسرى إلى خالد ، فسألهم عن أمرهم فأخبروه بأنهم رجعوا من بلاد بني عامر لأنهم خرجوا يطلبون ثأراً . وقد أمر خالد بضرب أعناقهم وأبقى مجاعة مقيداً في الحديد . وقد تمها خالد للقتال فجعل على المقدمة خالد بن فلان الخزومي ، وجعل على الخينتين زيداً وأبا حذيفة ، وقد واصل خالد سيره عن طريق ثنية الأحيسي ، ثم سار في وادي حنيفة حتى وصل عقرباء ، فاختار ضفة الوادي الجنوبية وعسكر هناك ، أما مسيلة فقد جمع جيشه في عقرباء ، وقد خرج إليها لأنها تقع في طريق خالد الذي سيسلكه إلى اليمامة ، ولأن مسيلة يملك بستاناً محصناً في عقرباء فرأى أن الخروج إلى خالد ولقائه في الطرف الشمالي من اليمامة أجود من البقاء داخل حصون اليمامة .

استعد الجيشان ، جيش خالد في الضفة الجنوبية لوادي حنيفة ، وجيش مسيلة في الضفة الشمالية لوادي حنيفة ، وكان مسيلة قد جعل على مجنبيه الحكم بن الطفيل والرجال ؛ والرجال هذا هو الرجال بن عتفة ، وكان قد أسلم وقرأ القرآن وتفقّه من الدين ، فأرسله النبي صلى الله عليه وسلم معلماً لأهل اليمامة لأنه من بني حنيفة ، فلما وصل اليمامة شهد لمسيلة بأنه قد أشرك مع النبي في الرسالة ، فعظم أمر (الرجال) وأصبح سنداً لمسيلة في كل ما يقول ، والأعظم من ذلك أنه يؤذن وشهد أن محمداً رسول الله ولكنه يشرك معه مسيلة .

وعندما وصل جيش خالد بن الوليد إلى عقرباء ظن المسلمون في جيش خالد أن (الرجال) سيكون في استقبالهم ليخبرهم بأسرار عدوهم ، ففوجئوا

بصل خالد بن الوليد ، ولكنه لم يوفق فهزم ، مع أن أبا بكر أمره بانتظار خالد ، وعلى الرغم مما قيل في خالد بعد قتله مالك بن نويرة ، فإن أبا بكر بحاجة إلى قائد قوي ويندر أن يجد مثل خالد ، فقد تكلم عمر في خالد عند أبي بكر ، فأجاب أبو بكر : هبه يا عمر تأول فمأخظاً ، فارتفع لسانك عن خالد^(٩) .

وسبب كلام عمر في خالد أن خالدًا في موقعة البطاح قتل مالك بن نويرة ، فشهد بعض الصحابة أن مالكاً وأصحابه أقاموا الصلاة ، وقد تزوج خالد زوجة مالك أم نعيم ، ويقال إنه كان يهاها في الجاهلية^(١٠) . وبعد رجوع خالد إلى المدينة ، دخل المسجد وكان عليه قباء وقد غرز في عمامته أسهماً ، فما إن رآه عمر حتى بادره بنزع الأسهم من عمامته ، ثم حطم تلك الأسهم وقال له : ارتداء ! قتلت امرأة مسلماً ثم نزوت على امرأتها ! والله لأرجنك بأحجارك ، وقد صمت خالد أمام عمر ولم يقل شيئاً ، ثم سار إلى أبي بكر فاعتذر إليه ، فقبل عذره ووجهه إلى مسيلة ، وعندما مر خالد على مجلس عمر وقد رضي عنه أبو بكر قال : هلم إلي يا بن أم ثملة !^(١١) فسمعه عمر وعلم أن أبا بكر رضي عنه ، فلم يقل شيئاً . وقد خرج خالد من المدينة إلى البطاح ، وانتظر بقية جيشه هناك فلما اكتمل الجيش سار إلى اليمامة ، وكان هذا الجيش يضم المهاجرين والأنصار وغيرهم ، فكان على الأنصار شابت بن قيس والبراء بن فلان وعلى المهاجرين أبو حذيفة وزيد ، وعلى كل قبيلة رجل منها ، وعندما اقترب خالد من ثنية اليمامة ، وجد جماعة من بني حنيفة كانوا قد عادوا من طلب ثأرهم في بني عامر ، وكانت تلك الجماعة تضم

(بالرجال) يتقدم صفوف مسيلمة . وقد حمل راية المهاجرين سالم مولى أبي حذيفة ، وحمل راية الأنصار ثابت بن قيس بن شماس ، وكانت المسافة التي تفصل جيش خالد عن جيش مسيلمة هي الواد فقط ، فكل من الجيشين يراقب الآخر ، ويرى ما يعمل بدليل أن خالد بن الوليد عندما رأى سيوف جيش مسيلمة تلمع في الشمس قال لجنده : « أبشروا فقد كفاكمهم الله ، لقد دب النزاع بينهم » ، وكان جماعة خلفه فقال : كلا هذه الهندوانية بعرضونها للشمس لتلين لهم في الحرب . وكان عدد جيش مسيلمة أربعين ألف مقاتل .

القتال خارج الحديفة

استعد الجيشان للقتال ، وكان الجو مكفهاً والغبار يعلو الرؤوس وريح الجنوب تعصف بالعيانم ، ولكن المسلمين يعلمون أن هول الحرب أعظم فلم يأسوا بما أحاط بهم ، وبدأت المعركة ، وامتدت الاشتباكات على ضفة وادي حنيفة الشمالية ، وفي المناطق المحيطة بحديفة مسيلمة ، واشتدت وطأة القتال على المسلمين وأخذ بعضهم يتقهقر نحو المعسكر ، وقد رجحت كفة ابن حنيفة ونزلوا إلى الوادي ثم نفذوا إلى معسكر خالد بن الوليد ، وكان خالد داخل الفسطاط ، فلما رأى اندفاع بني حنيفة داخل الفسطاط خرج منه وتركه ، وقد أحاط الناس بجماعة الأسير ويأم تم زوجة خالد ، فهم الناس بقتل أم تميم فتمنعهم جماعة وقال أنا لها جار فتمنعت الحرة عليكم يا رجال ، وقد مزق بنو حنيفة فسطاط خالد بسيفهم ، وعندما دخل بنو حنيفة معسكر المسلمين وعاثوا

فساداً في امتعتهم كثر الهرج واللرم ، فدار كلام بين خالد وأبي حذيفة وزيد بن الخطاب غضب على أثره زيد وقال : لا والله لا أتكلم اليوم حتى نهيهم أو ألقى الله فأكلمه بحجتي ، ثم اتجه إلى الناس وقال : عضوا على أضراسكم أيها الناس واضربوا في عدوكم وامضوا قدماً^(١٣) .

أخذ زيد يذود الكفار عن معسكر المسلمين حتى نزل الوادي واجتازاه وأخذ يصعد ضفة الوادي الشمالية عن طريق شعب صغير محاذ لغرب الحديفة عرف فيما بعد بـ (شُعَيْبِ الدَّم) لكثرة ما سال فيه من الدماء ، وتكلم في هذا الموقف ثابت بن قيس فقال : بشيا عودتم أنفسكم يا معشر المسلمين ، ! اللهم إني أبرأ إليك مما يعبد هؤلاء - يعني أهل اليمامة - وأبرأ إليك مما يصنع هؤلاء - يعني المسلمين - وقال مخاطباً المسلمين : أنتم حزب الله وهم أحزاب الشيطان ، والعزة لله ولرسوله ولأحزابه أروني كما أريكم ، وقد استمر ثابت في قتاله حتى قتل ، وقد كثر القتل من المسلمين ، واشتد القتال ، ولم يلق المسلمون حرباً قط من حرب العرب مثل ذلك اليوم^(١٤) .

طالت المعركة ولم يحرز المسلمون تقدماً ملموساً ، وكثرت الإنشاعات بأن المهاجرين والأنصار جئوا أهل البوادي ، وادعى أهل القرى بأنهم أقدر على حرب أهل القرى ، وعندما كثر الكلام في هذا الموضوع ، انحاز كل فريق من المسلمين إلى ناحية من المعركة ليُرى من أين يكون الخلل واختراق الصفوف ، وثبت كل فرق مخافة أن ينفذ الأعداء من جهتهم ، ولذلك كثر القتل في المهاجرين والأنصار وسقط في المعركة مئات ممن يحفظون القرآن أو بضعه ، وفي هذه الأثناء وبينما كانت الحرب سجالاً ، تارة ترجح كفة المسلمين وتارة ترجح

★ شعب الدم غرب الحديفة وهو الآن غرب بلدة الجبيلة التي قامت في الجزء الغربي من الحديفة ويرى زيد بن الخطاب في هذا المكان ★



★ البرج الذي يمثل ركناً من أركان سور مسيلمة ★



كفة الكافرين ، برز خالد بن الوليد واتمى وقال : أنا ابن الوليد العود أنا ابن عامر وزيد ! ودعا إلى البراز فجعل لا يبرز له أحد إلا قتله وهو يرتجز :

أنا ابن أشياخ وسيضي السخت

أعظم شيء حين يأتيك النفث

وعندما شد المسلمون على بني حنيفة ظهر الخلل في صفوف المشركين وانحازوا إلى حديقة مسيلمة وأغلقت الباب ، فعزم المسلمون على اقتحامها ، ونادى البراء بن مالك - أخو أنس بن مالك - فئة من المسلمين وطلب منهم أن يحمّلوه ويلقوه على الكفار في الحديقة من فوق السور فحملوه وألقوه فقاتل المشركين حتى نفذ إلى باب الحديقة ففتحها للمسلمين فاقتمحوا الحديقة على بني حنيفة ، وكان مسيلمة في الحديقة ، وبينما القتال على أشده داخل الحديقة إذا بوحي مولى جبير بن مطعم يدفع حرته إلى مسيلمة فيرديه قتيلاً ، وفي هذه الأثناء يجهز عليه رجل من الأنصار بسيفه . ووحشي هذا هو الذي قتل حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم في معركة أحد ، وبعد قتل مسيلمة انهزم بنو حنيفة ، وكانت تلك المعركة شديدة الوطأة على المنتصر والمنهزم ، فقد قتل فيها من الطرفين خلق كثير ؛ فقد قتل من المهاجرين والأنصار ثلاثمائة وستون ومن غير أهل المدينة ستائة ، وسقط في المعركة أعلام معروفون من المهاجرين والأنصار ، أما خسائر بني حنيفة فكانت سبعة آلاف خارج الحديقة ، وسبعة آلاف داخل الحديقة .

وعندما أخبر خالد بن الوليد بانتها القتال أخذ أسيره جماعة وجعل يتفقد القتلى ، وطلب من جماعة أن يعرفه بمسيلمة ، فر خالد برجل وسم وهو محكم ابن الطفيل وسأل جماعة : أهذا صاحبكم ، فقال جماعة : هذا محكم الإمامة ، ثم دخل خالد الحديقة فقلب القتل لجماعة ليعرفه على مسيلمة ، فإذا بنظر جماعة يقع على قتيل أصيفر أخينس ، فقال : هذا صاحبكم ، فقال خالد : هذا صاحبكم الذي فعل بكم ما فعل ، فقال جماعة : قد كان ذلك يا خالد .

صلح خالد مع أهل الإمامة

بعد قتل مسيلمة قال عبد الله بن عمر وعبد الرحمن بن أبي بكر لخالد : ارتحل بنا وبالناس فانزل على الحصون ، فقال خالد : سوف أثبت الخيول فألقط من ليس في الحصون ثم أرى رأيي ، وعندما فرغ خالد من تنج من هرب من المعركة ، هم بالرجل للنزول على الحصون ، فقال له جماعة إنه والله ما جاء إليك إلا سرعان الناس ، وإن الحصون مليئة بالرجال فإن رأيت أن أذهب إليهم واستشيرهم في الصلح فعلت .

وكان خالد قد فقد أكثر من ألف ومائتي رجل من الصحابة والتابعين ، ويريد أن يعود بهذا النصر ويخشي من انتكاسة جديدة ، فوافق على الصلح ، وأطلق سراح جماعة ليفاوض قومه في الصلح ، فذهب جماعة إلى قومه وأمر النساء بلبس الحديد ونقض شعورهن ، وأن يشرفن في أعلى الحصون ، فخرجت النساء من الحصون وأشرفن ، وذهب جماعة إلى خالد فقال : لقد أبى قومي ، وأنت تراهم الآن في أعلى الحصون يعبرون عن المعارضة ، ولكنني سأحاول إرغامهم على الصلح .

عندما رأى خالد كثرة الرجال في الحصون ، مال إلى الصلح وكتب إلى جماعة وثيقة بذلك : « هذا ما قاضى عليه خالد بن الوليد جماعة بن مراارة وسلمة بن عمير وفلاناً وفلاناً قاضاهم على الصفرء

والبيضاء ونصف السبي والحلقة والكرع وحائط من كل قرية ومزرعة ، على أن يسلموا ثم أنتم آمنون بأمان الله ولكم ذمة خالد ابن الوليد وذمة أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذمة المسلمين على الوفاء»^(١١) . وبعد رجوع جيش خالد إلى المدينة التقى عمر بن الخطاب بابنه عبد الله فقال له : ما جاء بك وقد هلك زيد؟ ألا وارت وجهك عني ! فقال : سأل الله الشهادة فأعطيتها وجهدت أن تساق إلي فلم أعطها»^(١٢) .

وفد قال ضرار بن الأزور في موقعة الجمامة :

ولو سئلت عنا جنوب لأخبرت

عشية سالت عقرباء وملهم

وسال بفرع الواد حتى ترقرت

حجارته فيها من القوم بالدم

عشية لا تغني الرماح مكانها

ولا النبل إلا المشرفي المصمم

فإن تجتغي الكفار غير مليحة

جنوب فإني تابع الدين مسلم

أجاهد إذ كان الجهاد غنيمة

ولله بالمرء أجاهد أعلم»^(١٣)

المراجع

- ١ - تاريخ الطبري ، الجزء الثالث ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبع دار المعارف بمصر .
- ٢ - السيرة النبوية ، جزء ٤ ، شرح محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر .
- ٣ - آثار البلاد وأخبار العباد ، لتركيا بن محمد بن عمود القزويني ، دار صادر .
- ٤ - معجم البلدان لياقوت الحموي ، ج ٤ ، ٥ .
- ٥ - بلاد العرب للغة الأصفهاني ، تحقيق حمد الجاسر والدكتور صالح العلي .
- ٦ - الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ، ج ١٥ ، طبعة دار الكتب .

الهوامش

- (١) آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ١٣١ .
- (٢) معجم البلدان ٤٤٢/٥ .
- (٣) بلاد العرب ٣٥٧ .
- (٤) السيرة النبوية ٢٤٤/٤ .
- (٥) السيرة النبوية ٢٤٥/٤ ، وتاريخ الطبري ٢٨٤/٣ .
- (٦) السيرة النبوية ٢٧٢/٤ .
- (٧) آثار البلاد وأخبار العباد ، ص ١٣٥ .
- (٨) تاريخ الطبري ٢٨١/٣ .
- (٩) الأغاني ٣٠٢/١٥ .
- (١٠) المصدر السابق ٢٩٨/٥ .
- (١١) الطبري ٢٨٠/٣ .
- (١٢) الطبري ٢٩١/٣ .
- (١٣) المصدر السابق ٢٨٩ .
- (١٤) الطبري ٢٩٨/٣ .
- (١٥) المصدر السابق ٢٩٢ .
- (١٦) معجم البلدان ١٣٥/٤ .

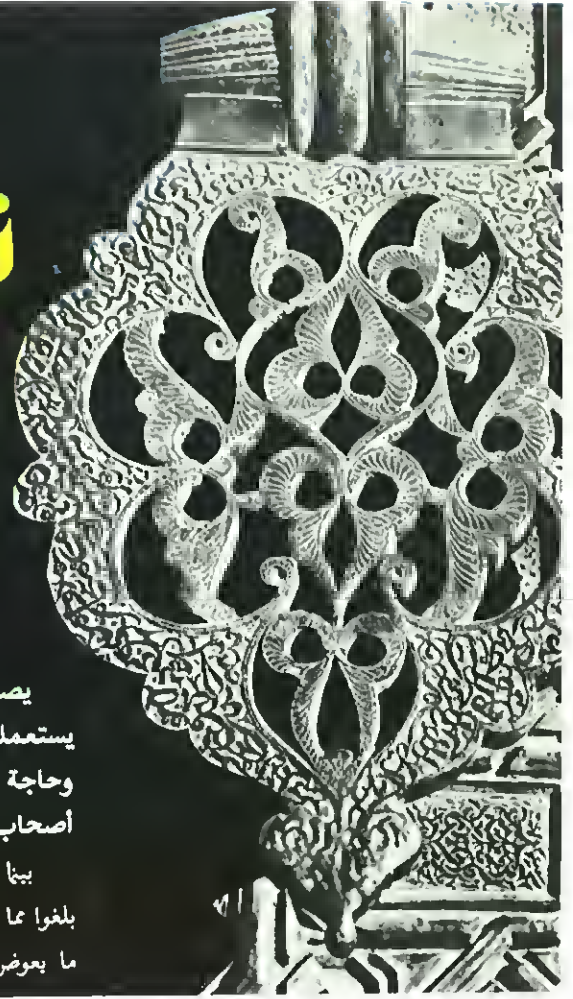
زخارف التوريق

من روائع الفنون الإسلامية

بقلم : د. عبدالمجيد واقي

يصادف القارئ في موضوعات الفن الإسلامي، كثيراً من التعبيرات الاصطلاحية، يستعملها المتخصصون والمشتغلون بهذه الفنون، دون أن يلتفتوا إلى غرابتها على غيرهم، وحاجة المتخصصين إلى بيان معناها، وذلك لوضوح معناها ودواعي استعمالها فيما بين أصحاب الفنون.

بينا بنائع تلك العبارات غير قليل من القراء، شيء من الجهد، ومحاولة تبين القصد منها، ولو أنهم بلغوا مما يريدون إلى بغيتهم بشيء من الايضاح والبسط لكان لهم في ذلك من المتعة الذهنية، والتذوق الفني، ما يعوض تطلّعهم ودأبهم وراء محاولة فهم المعنى.



★ مطرقة باب جامع أنهبيلة وحدة متكاملة من زخارف التوريق حتى النص الكتاب على المطرقة أخذ طابع التوريق ★

من العماير وأدوات الحياة اليومية في العصور الإسلامية المتتابعة.

وأجاد إيقاعه وتوزيعه كل مشتغل بفروع من فروع الصناعات والفنون، سواء أكان صانعاً دقيقاً يستعمل في مساحة محدودة - كقلامة ظفر أو مقدار راحة اليد - من المعدن المنقوش، أو الورق المزق، أو أحجاراً أو رخاماً أو تجاراً، ينساولون الواجهات المعمارية، أو الأعمدة، أو الأبواب بالزخارف المدقوقة أو المحفورة أو في النوافذ الخشبية والمنابر والكراسي، وما إلى ذلك. هذا العنصر عماده الزخارف المشكلة من أوراق النبات المختلفة والزهور، بأساليب متعددة من الأفراد والمزوجة، والتقابل والتقاطع والتعاقب، مع تحوير في أشكال هذه الأوراق والزهور، قد يصل إلى حد الإغراق في التجريد بعيداً عن شكلها الأصلي، أو مقارنة بين حركات الأوراق على فروعها أو أغصانها، كما لو كانت غضة نضرة في حديقة أو بستان.

ولم يقتصر ذلك على نوع معين من النبات، كما شغلت مسطحات - صغرت أو كبرت - أبداً كان مكانها من وحدات الفن الإسلامي.

انتشار فن التوريق

كيف دخلت زخارف التوريق حقل الفنون الإسلامية، وكيف أخذت

ولفظه «التوريق» واحدة من هذه العبارات الاصطلاحية، ندأها المشتغلون بفنون الإسلام - حرفة أو دراسة أو تاريخاً - من العرب والمسلمين، وكذلك من المستعربين أو المستشرقين، بين أنصى بقعة شوهد عليها مثال من فنون المسلمين شرقاً، وأقصى مكان في متاحف الغرب الأوروبي والأميركي، التي عنيت باقتناء الأمثلة العديدة، والمجموعات الواسعة من نماذج الفن الإسلامي المختلفة، ابتداء من أصغر التحف المعدنية أو الخشبية، إلى قطع النسيج والسجاد، وشقف الخزف والأواني الزجاجية، أو مصنوعات الذهب والفضة، إلى أكبر الأمثلة المعمارية، من حجارة وعقود - أقواس البناء الحاملة للسقوف - ونوافذ العماير من أشغال التشبيك الجصية... الخ

ما التوريق

وكلمة «التوريق» لا تعني - كما يبدو للوهلة الأولى في فهم بعض القراء - استعمال الورق في صناعة أو صياغة بعض من هذه المصنوعات الفنية أو تلك، أو إحاطتها بالأوراق.

وإنما تعني عنصراً معيناً، من عناصر التشغيل والزخرفة والتشكيل النباتي انتشر استعماله، في شغل مساحات أو أجزاء

بروعتها نقاد الفنون المعاصرين والغابرين على حد سواء ، وكيف صارت من الأهمية — رغم اندثار عهود نشأتها — حتى اندفع الفنانون المحدثون إلى احتذائها كمذهب ريق شيق من مذاهب الفن المعاصر ، ينسب إلى الفن الإسلامي أو العربي كما يتهافت على اقتناء روائعه مفتونوا الغربيين ، تماماً كما كان يفعل أجدادهم في البندقية وإجلترا وفرنسا أيام النهضة الإسلامية التي حركت برونقها وعمقها النهضة الأوروبية ؟

يعود بنا الحديث إلى انتشار عقيدة الإسلام ومنهاجه في القرن الهجري الأول ، حيث زحفت مبادئه وسبقت جموعه الفاتحة ، وفي أقل من قرن ، كان سلطانه يهيمن على مواطن حضارات غابرة ، رسخت أقدامها ، في تاريخ الحضارات ، فناً وعلماً وعمارة ، حكم بلاد الفرس ، وفن الفرس رجب باهر ، واجتاح ولايات بيزنطة غرباً في سورية ومصر والشمال الإفريقي ، وقد كانت فنون بيزنطة منفردة النهج في سورية ، ولكنها تزاوجت في مصر مع الفن المصري القبطي والفرعوني ، وفي الشمال الإفريقي ، واجهت بقايا الفنون الفينيقيّة والإفريقية البدائية .

وما كان الإسلام وعقيدته في أول انتشار نوره ، إلا هادياً معلماً ، يخرج الناس من الظلمات إلى النور ، يحرق الشعوب من عبادة أفراد البشر إلى عبادة خالق البشر ، ويسادى كل شيء ، يمحو الاستغلال ويحطم الأغلال .

فلم يكن الفن الذاهب أو الفن القادم هدفاً له ، إلا أنه كان صاحب موقف صريح مع لون من ألوان الفن يحمل صورة من التعبد بالفن لغير الله جل وعلا ، حيث كان تحطم هذا الفن المشترك بالله هدفاً من أهداف الإسلام .

وحسبنا ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يوم الفتح ، من تحطم الأصنام حول الكعبة ، ومحو ما كان بداخلها من صور ، ثم إرساله البعوث لتحطم أصنام القبائل في أرجاء البادية .

إلا أن المجتمع الإسلامي النامي ، واجه في البلاد التي دانت للإسلام وحكمه ميراثاً من الفنون والحضارات تعودها أصحاب الأرض قبل دخول الإسلام ، ولم يجد المسلمون بأساً في أن يأخذوا بحظ منها ، كذلك من دان بالإسلام من أهل البلاد الأصليين ، خاصة إذا كان هذا الحظ الذي ارتضوه لا يعارض أو يتعارض مع أصل من أصول الإسلام الحنيف .

وانتقل هذا الحظ الذي أخذوا به معهم ، إلى أنحاء الدولة الواسعة ، إلى عاصمة المسلمين الأولى في المدينة المنورة ، ثم إلى الكوفة والبصرة ودمشق والقروان والفسطاط ، ذهاباً وإياباً ، وكان من نتيجة ذلك أن صبغت الحياة في المجتمع الإسلامي العريض — ولما غرض المائة الأولى من الهجرة — بقدر محدود من الاستمتاع الفني — أول الأمر — ثم أخذ في الاستقرار والاتساع ، مع نشأة الأسس الفنية التي أصبحت فيما بعد عريقة ، تنسب إلى جديد من الحضارات البشرية ، انطبع بطابعها عقيدة وأصالة ودقة ورقة ، ودانت لولاء واحد بعد أن كانت تنتمي إلى منابع مختلفة .

ولعل عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ، قد خاف مثل هذه

الانعكاسات الحضارية وتأثيرها على بساطة المجتمع المدني الأول ، فنبه مؤكداً — عندما أعاد تعمير المسجد النبوي — وقال لمن كلفة بهذا العمل : « لا تصفر ولا تحمر ، حتى لا تفتن الناس عن الخشوع في الصلاة » .

والمعروف أن عمر رضي الله عنه ، أعاد بناء المسجد النبوي^(١) ، بالحجارة والجص ، بدلا من اللبن ، وجعل عمده من خشب منحور بدلا من جذوع النخل ، وإن لم يغير في التخطيط الذي استنته رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله .

وما فعله عمر رضي الله تعالى عنه ، لم يلتزم به عثمان رضي الله تعالى عنه وكلاهما صاحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، شهد معه المواقع ، كما شهد بالحنة لكل منها — وذلك عندما كلف زيد بن ثابت رضي الله عنه — كاتب الوحي وجامع القرآن على عهد أبي بكر ، ثم أحد الذين كتبوا المصاحف والمصحف الإمام على عهد عثمان رضي الله عنها — بالإشراف على المسجد النبوي وتوسعته .

فقد أجمع الرواة على أن عمارة ابن عفان بإشراف زيد بن ثابت رضي الله عنها دخلت فيها الحجارة المنقوشة والقصة « الجص » ، في الجدران والأعمدة التي حلت محل أعمدة الخشب في حمل السقف ، وكذلك السقف المزين بالذهب^(٢) .

وهكذا رأينا التأثيرات الفنية قدمت بنفسها إلى المدينة — المجتمع الإسلامي الأول — ولما ينقض عهد الخلفاء الراشدين .

وكان التوريق عنصراً من عناصر هذه التأثيرات الفنية الوافدة ، ضمن تأثيرات أخرى ، وكان العمال الذين قاموا بهذه التجديدات من مسلمي الأفاق ، خبراء في هذه الفنون ، وأولوها جيلاً بعد جيل ، ذوي حس مرهف أعانهم على تعديل استعمالهم — بعد اعتناقهم الإسلام — للعناصر الفنية بما لا يجرح صريح العقيدة الإسلامية ولا مضمونها ، وهي التي ترفض تجسيم المعبودات ، وافتعال التحويل في أجواء المعابد .

وإذا كانت زخارف التوريق قد عرفت في فنون ما قبل الإسلام بأشكال مختلفة ، فإنها — بشهادة غير المسلمين من دارسي الفنون ومؤرخيها^(٣) — قد اتخذت بعد انتشارها بين فنون المسلمين سمياً آخر ، أساسه التنويع ، والتتابع ، والتحويل خلال انتشار الدعوة الإسلامية .

ولا شك أنها بدأت أول الأمر قريبة من أشكالها في الطبيعة ، كطبيعة الأساليب السابقة في الاستعمال ، لكنها بدأت في التغير عن أصولها ، مع احتفاظها بعنصر التعبير الجمالي ، وكان التحويل في الشكل الأصلي وسيلة إلى الوصول إلى ذلك التعبير المنفرد دون سبق .

كما أنها بدأت أول الأمر متماثلة ثم تنوعت ، وبدأت مفردة ثم تتابعت مستكملة بذلك أبعاد الأسلوب الثلاثة ، مشتركة حيناً ، وينفرد التتابع بالتعبير أحياناً ، كما قد ينفرد التنوع أو التحويل .

ورقة النبات قد تستعمل وحدها ، متصلة بفرع ، أو مع ورقة لنبات آخر بالتبادل لتوقيع التوازن الموسيقي بالفرع من خطوط ذلك الفرع ، أو من فرعين متعانقين ، مستمرة في تغطية أفرز محدود ، أو مساحة واسعة ، دون أن يمل الناظر إلى هذا التتابع أو التعانق أو التقاطع أو



★ جزء من طراز كتابات قصر الحمراء من شعر ابن زمرك وتلاحظ الخلفية الورقة بأوراق نفشت باسم الله «التوريق المسبح» ★

التقابل .

كأنني بهذه الوريقات ، بعد أن أخذت سمتها على الجدران أو الأخشاب أو سطوح الأواني ، أو أطراف الثياب أو حواشي صحائف الكتب ، إلا ترديد المسبحين وأصواتهم مترمة بأسماء الله الحسنى ، في تبادل صوتي بين الخمس الخافت والرنين الواضح ، رفيعاً ذا جرس مطرب مرة ، غليظاً ذا تردد عريض أخرى كلما رتل المسبحون ، متجاورين أو متقابلين ، متأملين فيما يرددون ، مغرقين في بحر التجرد المخفوف بالسمو الخالص الذي أسبغته عليهم أسماء العلي القدير .

تجرد الله تعالى عن المثال وتعالى بنفسه ، فهو العلي القدير ﴿ الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سيحان الله عما يشركون ﴾ .

﴿ هو الله الخالق البارئ المصور له الأسماء الحسنى يسبح له ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم ﴾ .

عناصر فن التوريق

لقد كانت ورقة العنب — مثلاً — ذات الشعب الخمس ، عنصراً استعمله المصريون والسوريون ، قبل العصر الإسلامي ، فلما تطور المجتمع بالدعوة الإسلامية وصبغت فطرة العقيدة الشاذية ، فطرة الله التي فطر الناس عليها ، ارتاحت يد الفنان في تنسيقها عبر رسومه وتخطيطاته ، « فخرجت من جمودها وجفافها ، وخلعت رداءها التقليدي ، وكأنها ألفت في مهب الريح فانفتحت مرة وانكشفت أخرى وهشت أحياناً ، وانثقلت أخرى ، واعتدلت أو انحرفت أو انشقت أو انبسطت واستوت أطرافها أو تضرست ، وأصبحت في بعض أشكالها نسيجاً من صنع الخيال كالخيوط المتصلة أو الخروم المتصلة »^(٤) .

لم يكن هذا هو حظ ورقة العنب وحدها ، بل شاركتها فيه ورقة الصنوبر ، أو أوراق الكافور أو الصفصاف ، ذوات السمات المستطيلة والأطراف الرحيمة المدببة ، تبدو أول الأمر مستقيمة ، ثم تنساب

أطرافها في التقاف ، حتى تعود ملازمة أصلها ، تعانقه أحياناً أو تقاطعه ، مكونة أشكالاً قلبية أو نجمية في تناسق يطرده أو تقابل ينفرده . وهكذا بدت تشكيلات بديعة ، بعدت أصلاً وفرعاً عن استعمالات القنون السابقة ، وتغالى فنانون المسلمين في التنوع والتعدد ، بقصد التطريب في الشكل ، مغالاة تم عن سعة الخيال ورحابة الأفق ، مما ينقل الفنان من مرحلة الإغراق في الحس إلى السمو في التأمل ، وبلوغ درجة عالية في التصوف تدبراً في عظم صنعة الله بوزقة من أوراق النبات ، تقود العبد التدبير إلى عظمة الخالق وعظمة الملك ، فيقود تدبيره إلى غرق حامل في خضم الملكوت الواسع .

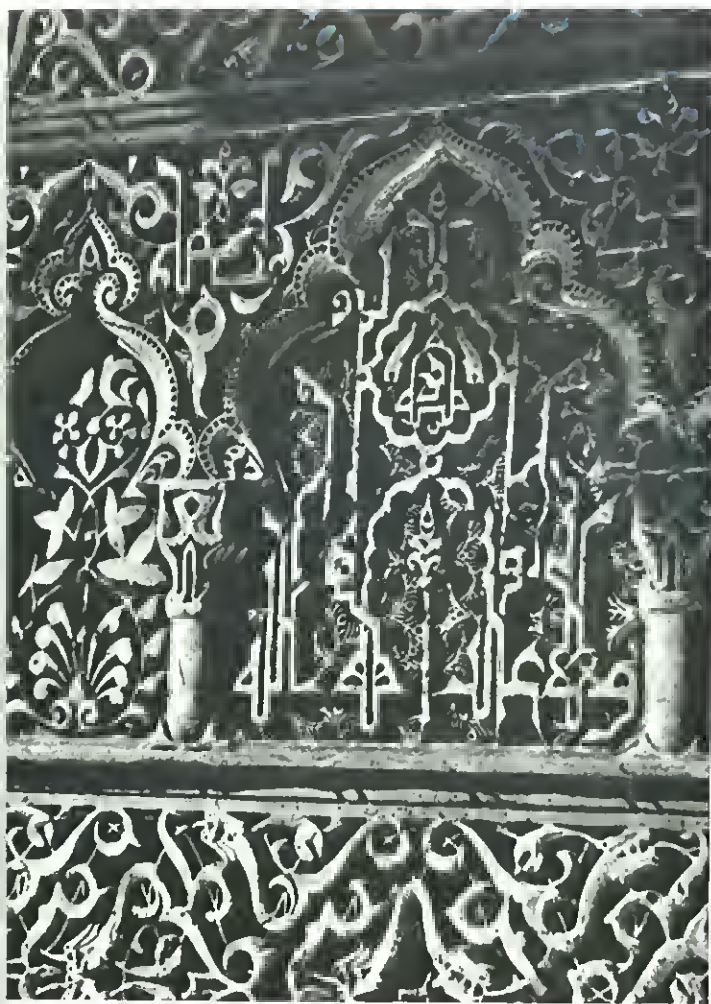
ذلك هو السمات والسمة التي ميزت الفن الإسلامي التي بهرت نقاد الفنون ومؤرخيها ، وأفحمت الحاقدين الذين أصروا على وصم فنون المسلمين بالنقل والتقليد ، فعادوا واعترفوا له بالانفراد والجدة والتنوع .

أنواع التوريق

ولم تمض المائة الأولى من العصر الإسلامي ، حتى كان المسلمون — عامتهم لا مثقفوهم فقط ، فالإسلام وحدة فكرية وثقافة عملية كاملة الأبعاد والأعماق — آخذين بأسباب البحث في كل تراث سابق للحضارات البشرية يعرضونه على أصول عقيدتهم ، فما استقام معهم أخذوا به ، وما تعارض عدلوا عنه ، أو عدلوا به إلى السمات السوي من الفهم الإسلامي المستقيم .

وبنفس الحس المهرف ، والتحقيق الصادق ، انتشرت أساليب التعامل الفني مع وحدات التوريق ، من حدود السند والبنغال إلى شاطئ الأطلسي شرقاً وغرباً ومن جبال القرغيز شمالاً إلى شواطئ البحر العربي والمحيط الهندي جنوباً .

وساعد اتساع الدولة ، حرية الانتقال بين ربوعها ، في سرعة انتقال



★ «ولا غالب إلا الله» بين الطبقات المتعددة لمستويات الحفر الجمعي في
أروقة الحمراء ★

فريدة على صعيد العمارات والتحف والمنابر والأبواب والطرائف .
وفي مراحل لاحقة من القرنين الخامس والسادس الهجريين ،
أصبحت زخارف التوريق عنصراً أساسياً في واجهات العمارة وأبواب
القصور والمساجد الجامعة ، وتكني نظرة إلى باب المسجد الجامع
بقرطبة ، وجامع إشبيلية في قلب إسبانيا ، أو أبواب المدارس
والمساجد المملوكية في القاهرة ، لئلا يرى روعة صناعة الخشوات النحاسية ،
بين سبائك ونشر وقطع ونقش وتشكيل الزخارف التوريقية المسطحة أو
المستديرة النهايات كأنما هي فروع وأغصان دقت ورق على أشجارها .
ولعل أبواب السلطان حسن ٧٦٤هـ - ١٣٦٣م ، بما تحتوي على
تليبيسات الذهب الدقيقة الإيقاع والتشغيل ، خير دليل على سيطرة
زخارف التوريق على أشغال النحاس في الأبواب والنوافذ ، وانتشارها في
كثير من أبواب ونوافذ العصر المملوكي .

ولن ننسى روائع ترايع الخزف الملون ، التي تغطي واجهات مساجد
آسيا الوسطى وقيابها ومآذنها ومشاهد إيران والعراق ، تشغل
مسطحاتها تشكيلات التوريق الملون بين الأزرق والأحمر والأخضر
والذهبي ، في تناقض بديع متتابع ، بل إن عناصر التوريق في مساحات
كبيرة من الخزف الأزرق ، في بعض المساجد في إيران وتركيا ومصر ،

المعارف والعلم بين أقصاها وأدناها كما ساعد على انتشار تقاليد الفنون
وأساليبها ، كما كان شغف الحكام والولاة ووجوه الأمة ، يدفعهم إلى
استضافة عالم ، أو اقتناء مؤلف ظهر في المشرق أو المغرب ، كما كانوا
يُسمى إليهم بطرائف الفنون وغرائبها ، أو يسعون في طلب صانع مبدع
ليخصصهم بروائعهم وبدائع صنعته .

وقد تنوعت أساليب التوريق في المشرق ، وأبدع أهل المغرب
الإسلامي فيما نقلوه معهم عن أهل المشرق ، فأصبح الناظر إلى وحدة
تشكيلية لا تخطئ نسبتها إلى الفن الإسلامي شرقية أو غربية ، وذلك من
حقيقة أساسية ، أن وحدة العقيدة كانت عاملاً في وحدة الثقافة ، وأساساً
لوحدة الفنون .

طريقة المغرب ، وطريقة المشرق

لكن على الباحث والدارس أن يدرك دقيق الفرق بين طريقة المغربي
أو المشرقي ، وكثيراً ما حار القوم في ذلك لشدة التقارب والتنافس بين أهل
تلك الفنون .

فكانت تشكيلات التوريق أول أمرها في سورية ومصر وما
وراء النهر ، مستقلة بفراغها الذي تشغله فيما يصنع الحفارون على
الحجارة أو الأخشاب ، كل يحاول أن يثبت ليونة مادة صناعته في يده ،
فابتكروا الحفر العميق أول الأمر ثم بدأ الحفر المائل في الظهور ، ثم لعبت
مستويات الحفر في يد الرخام والنجار بالمادة الصلبة ، حتى قاربت الأوراق
المحفورة ليونتها على الفروع والأغصان في نهاية العصر الفاطمي في
مصر ، وعصر بني أمية الأندلسي - الذي عاصر الدولة الفاطمية
ونافسها حضارة وفناً وعلماً - بينما تناقلت أساليب التشكيل في شمال
إفريقية خصائص مصرية وسورية فترة ، وأندلسية فترة أخرى .

واتقن عدوى التوريق ، إلى الوراقين والمزوقين ،
أصحاب صناعة الكتاب واستنساخ الكتب ، وبدلاً من إزميل
الرخام وأداة التجار في حفرها ، قامت ريشة المزوق وقلم
الخطاط ، بتوزيع فروع التوريق على مسطحات الورق ، إطارات
وأفاريز حول النصوص ، أو مساحات منبسطة حول العناوين
وأوائل الفصول .

ومدادهم اللازورد ، وماء الذهب ، وروائع الألوان ، بل قلادهم
حفارو المعادن ، نقشاً وتليبيساً وتكفيتاً بالذهب والفضة على النحاس أحمره
وأصفره ، فلم يقصروا عن شأو إخوانهم الحجارين والرخامين والتجارين
والوراقين إبداعاً وتصنيفاً ، يبدعونها في أباريق الضوء والشرب ، وشماعد
الضوء وثرياته .

ولا يلبث الرخامون والتجارون والحجارون ، أن تصيبهم عدوى
التلوين من مزخرفي الكتب ، فنرى الجدران والسقوف قد اكتستت بالألوان
بهاء على بهاء .

كل ذلك وعنصر التوريق لا يكل عن التطور والتحول ، بما يقتضيه
المقام أو المكان ، حتى تجاوزت أساليب الصانع في مناظرات فنية

فاقتبسه ونقل عناصره ، وقلدهم من بعد خزاف أو صانع نحاس في شمعدان أو ثريا من ثريات الضوء الضخمة ، أو مكفناً بالذهب والفضة .



وإذا كانت رحلة التوريق تطول عبر القرون ، بين مشرق العالم الإسلامي ومغربه ، فإن أروع ما نراه من هذا التوريق ، سمواً وتصوفاً ، تبعداً وذكرأً ، توريقات الزخارف في قصور الحمراء - غرناطة الأندلس - حيث برع فنان الزخارف الجصية في أن يشكل الأوراق بتوقيعات دقيقة التوزيع ، قوامها اسم الله الأعظم ، متقابلة ومسلصلة تسلسل التسبيح في أعقاب الصلوات ، وعلى السنة القاثمين الذاكرين ، فأينما انتقلت عيون الناظر وراء تسلسل التشكيل التوريق ، تابعت اسم الله رؤية وتلاوة وتسييحاً بالجمال الذي أضاه اسم الله وزانه على سطوح الأوراق حفرأً وإبرأً .



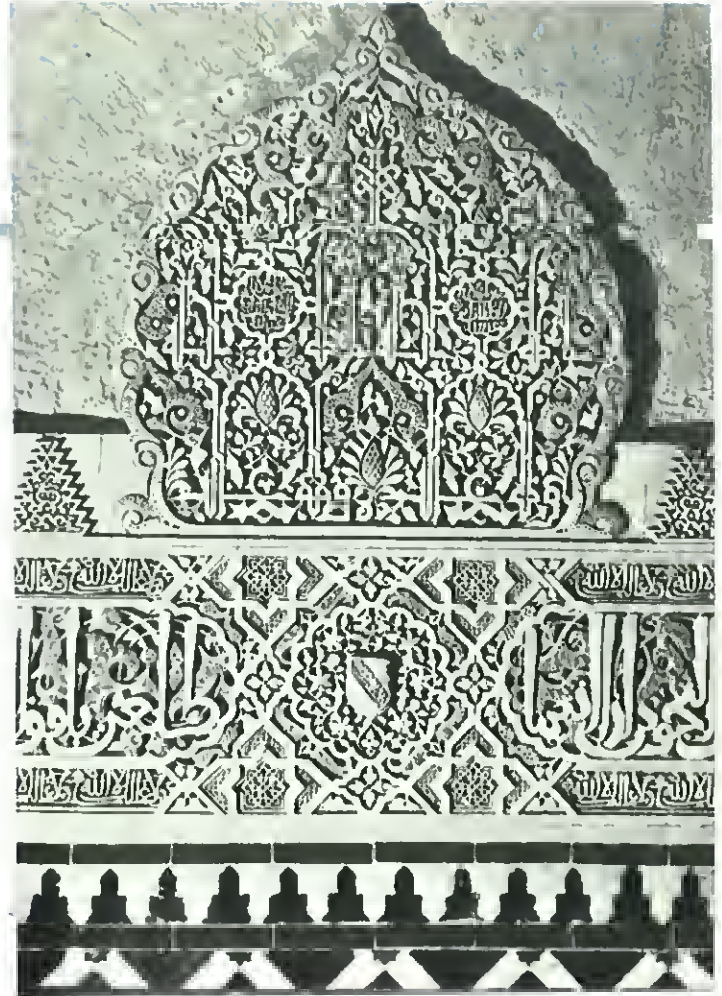
كل ذلك كان عندما استقل التوريق بالتشكيل واشغال مساحات مختلف اتساعاً أو ضيقاً على مسطحات العمارة أو صفحات الورق ، أو أبدان الأدوات المعدنية أو الخشبية أو الخزفية ، لكن العظمة التي تبلغ حد الإعجاز تتجلى في الجمع بين عنصر التوريق وعنصر آخر من عناصر الفن الإسلامي ، هو الكتابة كوفية الطراز أو جلية ثلثية أو نسخية متعددة الأساليب .

ولن أستطرد هنا في الحديث عن الكتابة وأساليبها وفنونها ، فذلك وحده باب مستقل يشوق الباحث أو الصانع أو الصانع على السواء . وإنما حديثي عن التوريق عندما يكون موضعه في التشكيل الفني خلفية لعنصر الكتابة ، سواء أكان ذلك في العمارة أو الصحائف أو الصحف والأواني ، يستمر متتابعاً خلف قوائم الكتابة أو كاسانها ، أو تفرعاً من أطرافها شاغلاً للفراغات بين القوائم - الألفاظ أو اللامات - والكاسات استدارة الحروف النائمة - كالباء والسين والصاد وأشباهها - .

وذلك التزاوج أو التبادل السطحي بين العنصرين ، فن إسلامي محض تفرد به الفنانون المسلمون ابتداء من القرن الثالث الهجري حتى عصرنا هذا ، بل عنهم أخذ فنانو الغرب في توابيع عصر نهضتهم فيما تلا القرن الخامس عشر الميلادي ، وكان أكثر استعمالهم له في صفحات المخطوطات والمدونات الكنسية على وجه الخصوص قبل أن ينتشر بانتشار الطباعة في كثير من المطبوعات .

بينما هو في الفنون الإسلامية ، حيث سجلت آيات القرآن الكريم أو عبارات الدعاء وألقاب الملك والسلطنة ، بل وعبارات المديح وشعر الشعراء .

ولقد برز جهد الفنان المسلم وإبداعه حين خالف بين مستويات الكتابة ومستويات التوريق - خلفيات أو تفرعات - واشتهرت واجهات العمائر في ذلك الباب حفرأً على الرخام أو الحجر ، أو ترابيع الخزف الملون على



★ ولا غالب إلا الله ، كتبت بالكوفي المصغر بين خلفيات التوريق ، وتحفا نهاية بيت من أبيات ابن زمرك وبداية بيت آخر كتبها على خلفيته مورقة ★

جعلت الزوار لهذه البلاد يسألون عن « المسجد الأزرق » وذلك لاشتهار مساجد بعينها بهذا الاسم ، وذلك كمسجد الشاه عباس بأصبهان ، ١٠/٩هـ - ١٦/١٥م ، ومسجد السلطان أحمد في استنبول ١١هـ - ١٧م ، ومسجد إبراهيم آغا مستحفظان بالقاهرة - ١٠٦٢هـ - ١٦٥٢م .

ولعل أطرف صناعات التوريق النحاسية ، بالمتحف الإسلامي بالقاهرة ، باب مصفح بالنحاس ، قوامه زخارف التشبيك المورق ، حاول صانعه أن يظهر براعته الابتكارية ، فأنفرد بأسلوب جديد تحولت فيه أوراق النبات المتشابك مع الفروع والأغصان ، وتحورت إلى حيوانات في أوضاع مختلفة ، كأنها أوراق الشجر على أغصانها وفروعها متقاطعة أو متعانقة ، صنع ذلك الباب باسم الأمير المملوكي ستقر الطويل .

وهكذا صارت عناصر التوريق أساساً تشكيليأً في توزيعات الفنون وتنوعاتها ، وأصبح لزاماً على كل فنان اتجه إلى نوع أو فرع من الصناعات الفنية أن يجيد التوريق أولاً ، كمقدمة لتوقيعه على التحف والسطوح بالآلات والوسائل المختلفة .

وربما رأى حجار أو نجار ، وحدة توريق ابتدعها مذهب وراق ،

الجلالة ، في تكرار وتتابع واتساع بدیع ، أب الزمان أن يقربه بالفناء وفيه اسم الله المتفرد بالبقاء يسبح ربه كل من رآه ، قراءة للفظ الجلالة ، وتعبيراً عن الإعجاب بالفظ الفريد ، فهو بحق توريق مسيح ، يملك على كل ناظر إليه لبه ، وكان الفنان حين وقع ذلك التشكيل الفني ، يؤدب ابن زمرك فيقول له أنت تمجد سلاطين الخلق الزائل وأنا أعبد العلي القدير .

ورغم هشاشة مادة الجص ، فقد مرت على ذلك الإبداع أربعة قرون ونيف ، ولن ننسى توالي الصيانة والترميم ، حيث صناعة السياحة في إسبانيا - ٣٠ مليون ساكن ، و ٣٠ مليون سائح سنوياً - فهم يجلبون الذهب سائلاً من جيوب السائحين .

ويكمل ذلك المثال مجاورة ، أو مناوبة ، إطارات متفاوئة الأبعاد والأشكال تحوي العبارة الأندلسية المشهورة « ولا غالب إلا الله » شعار بني نصر وعبرة : « الحمد لله على نعمة الإسلام » في تراكيب متشابهة من الكوفي المضفر أو النسخ المتطاول ، خلفياتها بسط التوريق المحرم تسبح أوراقه باسم الله العظيم .

التوريق في العهد العثماني

وإذا كانت الخلافة العثمانية قد استورثت تراث الإسلام ، عنوة أو اختياراً ، فجمعت في حواضرها فنون المسلمين وصناعاتهم ، فإن التوريق واصل رحلته ، وظل خلف كل جهد لفنان في كتاب - من الجلفة إلى الجلفة كما يقول التعبير الدارج - أو في شوامخ المساجد التركية في أنحاء آسيا الوسطى ، وسورية ومصر وستظل مساجد استانبول نماذج عز وحضارة وتقوى وفن خالص ، أظهر ما فيه العودة بالتوريق إلى قريب من أوراق الشجر الطبيعية على أشجارها بعيداً عن التحوير ، مزاجية مع الموروث من أساليب العريقة ، ولعل ترايبع الحزف الكوتاهي أظهر أمثلة على ذلك المستحدث من أساليب التوريق .

وسيطل التوريق قرة عين لكل محب لفن تصوف وسبح لخالق الكون مصور الكائنات من ورقة الشجرة ويرعم الثبت والزهرة إلى أوسع ما في الملكوت من المجلات في كبد الساء^(١) .

الهوامش

- (١) « مسالك الأبصار ، العمري ، ج ١ - ص ١٢٥ .
- (٢) وفاة الوفي للسهمري ، ج ١ - ص ٣٥٥ ، فتح البلدان للبلاذري ، ص ٦ .
- (٣) M. S. Dimand: A handbook of Mohammadan Art. Metropolitan - Museum of Art. New-York P.69.
- ويلاحظ أن الكاتب يسميها فنوناً محمدية ، لأنهم هناك يسمون الدين إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، ولا يسمونه إلى أمر الله « إن الدين عند الله الإسلام » .
- (٤) المدخل ، للدكتور أحمد فخري - بصرف - ص ٤٠ .
- (٥) ليس ذلك من باب الإغراق في التعبير الجميل ، ولكنه إشارة إلى عنصر آخر من عناصر الفنون الإسلامية ، هو الزخارف والتشكيلات النجمية الهندسية التي عجز عن حصرها النقاد والمتشغولون بالفنون .

الجدران أو القباب والمنابر ، كما انتشر ذلك الأسلوب في طرازات الكتابة الجصية داخل القباب واياتات المساجد وساحات القصور .

ولعل أبرز مثالين أسوقهما لذلك الإبداع ، مثال مملوكي : هو طراز سورة الفتح في مسجد - أو مدرسة - السلطان حسن بن الناصر بن محمد بن قلاوون بالقاهرة - ٨٨ - ١٤ م .

ومثال أندلسي من العصر النصري - بني نصر بن الأحمر - هو طراز من شعر الوزير الغرناطي محمد بن زمرك ، في مدح السلطان الغني بالله على جدران قاعات الحمراء - ٨٩ - ١٥ م .

● أما المثال الأول : فطراز طوله يقرب من ٤٠ متراً ، يشغل جدران رواق القبلة مبتدئاً بالصدر الأيمن لواجهة الإيوان ، ومنتهاً بالصدر الأيسر للإيوان بارتفاع ما يقارب المتر ، وقوام ذلك الطراز آيات من سورة الفتح مبتدئاً بالاستعاذة وبالسلمة ، منتهاً بالتصديق ، كتبت بالخط الكوفي المملوكي ، فريد في تشكيله ، عريض القوائم طويلاً ، مستقيم الكاسات قليل الاستدارات ، محدود الفواصل بين الحروف افترشت خلفية من التوريق الرقيق المتتابع في دوائر لا نهائية ، حتى ليظن المتبع لتسلسله تحت الآيات ، أنه بدأ مع الاستعاذة بالله من الشيطان ولم ينته إلا بانتهاء الآيات بالتصديق - صدق الله العظيم - .

وإذا كانت الحروف والكلمات تشكل السطح أو المستوى الأعلى ، فإن التوريق خلف الحروف ، يكون مستويين خلفهما ، وتميز برشاقة الفروع واكتناز الأوراق ، وتنوعها بين المصمت والمفرغ والمحرم ، حتى أصبح التوريق - بل تشكيل الطراز كله - آية في رقة التقابل والتقاطع والانثناء والانفراج .

وقد اشتهرت هذه الفترة من العصر المملوكي بهذا اللون من التوريق وخاصة العائز التي أقيمت في عصر القلاوونيين - المنصور قلاوون ٦٨٣ هـ - ١٢٨٤ م ، ثم ابنه الناصر محمد ، ثم ابنه السلطان حسن بن محمد بن قلاوون ، وكانت كلها عائز فارغة حوت ألواناً من الفنون ، واقتبست كثيراً من العناصر المعمارية والفنية التي اشتهرت في ربيع الأندلس ، وأظهر هذه العناصر ، طرازات الجص المشغول بالتوريق ، وطرازات الكتابة النسخية أو الكوفية ذات الخلفيات المورقة ، وهكذا عدنا إلى حركة الفنون بين ربيع بلاد الإسلام .

● أما المثال الثاني : فلا تكاد تخلو منه ساحة من ساحات الحمراء أو قاعاته ، قوامه آيات من قصائد ابن زمرك في مدح سلاطين بني نصر - آخر حكام الأندلس عامة ، وغرناطة خاصة - من ملوك المسلمين .

والكتابة كلها نسخية على خلفية مورقة بعرض ٦٠ سم تقريباً ، نسخ مغربي طويل القوائم لينها ، والتوريق من أوراق الصفصاف في انحساء واستقامات حرة التشكيل ، حرة التعانق والإنفراد ، في سطوح أو مستويات ثلاثة تحت مستوى الكتابة حفرت على الجص في رقة ودقة وليونة بلغت حد الروعة .

وزاد من روعة التشكيل تصوف الفنان كما ذكرت آنفاً ، حين جعل سطوح أوراق الصفصاف ، مخرمة مخزماً فريداً في رفته ، قوامه لفظ

Paul & Pauline

بنو العبد العزیز

من كبار صانعي الساعات في العالم منذ عام ١٨١٥ م.



محسن
MOHSEN

مركز رئيسي : جميع أنواع المطاوعة وشاي الأشراف صوب : ٢٤٩٨

الرياض : شارع الملك عبدالعزيز وشاي الناصرية

المنبر : شارع ٢٨ مطلق منتقى

المدينة : شارع السنبيلية وشاي الملك عبدالعزيز



- ١ -

نجهان من غرر الأصول نجم الرسالة .. والرسول
هذا شفاء للنفوس وذاك قدي للعقول
قد كان في «أم القرى» ليلان .. ظللها ثقل
شرك .. وجهل مطبقان ، فهل إلى بره سبيل ؟
حتى تجلى الثيران ، فأزهر الليل الطويل
يا موسم الفجر الندي وموسم الصبح الجميل
ما أنتما إلا الخميل أظلل صحراء الطلول
ما أنتما في «مكة» إلا الرسالة والرسول

- ٢ -

يا من أضاء دجى الدروب .. فأشرق كل الدروب
الحق شرعك .. فامض فيه فانت رائدنا الحبيب
عميت عقول الناس دهوراً .. والضائير .. والقلوب
فانشر مصابيح الضياء على المدائن والشعوب
ضافت «قرش» بنورك الوضاء .. بالدوح الرطيب
لضفت تدبر في الخفاء .. وفي الضحى أمراً عصيب
لكن من خفيظ الإله .. فليس تدركه الخطوب
«فاصدع بما تؤمر» .. وهاجر .. إن مولاك «الحسيب»

- ٣ -

خرج الرسول .. وراح يمشو الترب في كل العيون
وعمر .. فالحراس في سيرة عن الكنز الثمين
حتى إذا طلع الصباح .. ووئح البيت الحزين
دخلت «قرش» فهاها «اللاشيء» .. والصمت المبين
لم تلق في البيت الرسول .. ولم تجدد إلا الخدين
حارت وحر دليلها الأشقى .. وحادها اللعين
حتى إذا لاحت له آثار أقدام «الأمين»
ثارت حفيظته .. وراح يدق ناقوس المنون

- ٤ -

قصد الرسول الغار و«الصديق» في جنح الظلام
وينية سمراء يعمر قلبها النور التمام



مع الهجرة

علم، مشاد في القرن الخامس عشر الهجري

شعر: محمد منذر لطيفي

راحلة بشر: «نعم» ثم من القوم الطعام
تسمى إلى الغار الذي قد ضم أمال الأنعام
نسجت عناكبه الخيوط.. وباض بالباب الحيام
حتى إذا وصلت «قرش» الغار.. واحتدم الكلام
«يا رب» الله أن القوم لن يصلوا المرام
فرنا إلى «الصديق» في بشر يزف له السلام
ويقول: «إن الله ثالثا» فلا تخش اللثام

- ٥ -

رمت سراقه: «ثم لما أعقب الليل.. النهار
حضر «الغلام» يقود راحلة.. فضاء الانتظار
هيا: وراحا ينبهان السهل.. والبيد القفار
رمت «قرش» يبحثها المحموم نأل كل دار
هذا الكمي «سراقه» أغرته جائزة الحوار^(١)
لكن من حفظ الإله.. فليس يدركه العثار
حتى إذا لاحت لهم واحات «يثرب» والجدار
راحت مواكبها تموج.. وزين اللقيا انتصار
وظلعت بدرأ «من ثنيات الوداع» على السديار
وظلعت بدرأ «من ثنيات الوداع» على السديار

- ٦ -

من كان مثلك يا «محمد» لن يضل ولن يغيب
ما كان أحوجنا إليك.. وقد تكالبت الخطوب..
ما كان أحوجنا لمن نشر الأخوة في الشعوب..
لا فرق في جنس.. وفي لون.. وفي نسب قريب
الفرق بالأعمال.. فاصنع دولة تأبى الغروب
إن صوحت جناها ففداً تمواج بالطيوب
أكبرت شرعك أن يغيبه زمان.. أو يغيب
أكبرته.. أكبرت «مكة» و«المدينة» و«الحبيب»

الهوامش

(١) جمع حرة وهي الناقة الكريمة.



إذا كنت ترغب في بناء قصر أو فلة على أحدث طراز وامتن ببناء... اتصل بالمشهورة
المشهورة : الممثلون الوحيدون لمؤسسة جنسان العالمية

بناء قصور وفلل - مشاريع عمرانية
ديكورات داخلية وخارجية .
تلفون ٢٣٧٤٥ / ٢٣٧٠٠ - توكس ٢٠١٣٣٦ - الرياض

مؤسسة المشهورة

المرعى

واخطار التصحر

د . عبد الحليم منتصر

تمثل المراعي - وبخاصة في المناطق الحارة الجافة - مورداً لا غنى عنه من موارد الثروة ، حيث يعتبر النبات البري - شجرة كان أو شجيرة أو عشباً - إنما يمثل واحة نظرة ، وسط صحراء شاسعة مترامية الأطراف ، فجذع الشجرة يصد الرياح ، وورقها يظل سطح الأرض حيناً فيبرده ، وعند تساقطه يثري التربة بالدبال ، فإذا ما قطعت الشجرة أو اقتلع أو رُعي العشب ، تغدو التربة في الجو القائل الجاف ، غير صالحة لإنبات البذور . وإن الرياح لتذرو حبيبات التربة الجافة ، فتزيد في جفافها .

وغازات ، مما يلوث البيئة على الكائنات النباتية والحيوانية والإنسان نفسه ، وبذلك تتحول مساحات شاسعة إلى صحارى بعد أن كانت مزدهرة يوماً بحياة نباتية وحيوانية وإنسانية متكاملة ومتوازنة .

وتتبدى خطورة هذه الظاهرة بصفة خاصة في البلاد التي تمثل الأراضي الزراعية أو الرعوية ما لا يزيد على ثلاثة في المائة ، وفي بعضها لا تزيد على ثلاثة في الألف من مساحتها الرملية الصحراوية الشاسعة ، التي تمتد فيها بحار الرمال على مدى البصر ، حيث لا تكاد ترى آثار أقدام أو طرق ، فقد طمرتها الرمال السافية الزاحفة ، وأن بحر الرمال والكثبان الرملية ليمتد على مدى يزيد على خمسين ألف ميل مربع في الربع الحالي في المملكة العربية السعودية وفي الصحراء الغربية في مصر وليبيا ، وأن الكثبان الرملية ، لتعلو مشات الأقدام وتمتد إلى مشات

إن أعداد الماشية الراعية ، إنما هي دليل الثروة في هذه الجهات ، وإن آلافاً منها لتقطع عشرات الأميال ، فوق رمال ساخنة ، لتصل إلى بئر لترتوي منها أو إلى مرعى لتغتذي من أعشابه .

على أن هناك ظاهرة خطيرة ، بدأت آثارها تتبدى على هذه المراعي ، إنما هي ظاهرة زحف الصحراء ، التي تهدد القرى والسداسر والأراضي الزراعية والمراعي ، وكثيراً ما تثور الزوابع الرملية ، حتى لترى الكثبان الرملية ، وكأنها تنمو وتكبر وتمتد ، لتغطي جذوع النخيل والأشجار وأعمدة التليفون ، وإنما لتغطي المساكن والمباني ، حتى ليهرب السكان ، ليقيموا بعيداً عن مكامن الخطر ، وكثيراً ما تنسب بعض هذه الأخطار إلى الإنسان نفسه الذي يسهم في عملية التصحر بما تنفثه مداخن المصانع ، وفضلات ونفايات الصناعات المختلفة ، من أبخرة

تجربة الصين

ويقول الجغرافيون الصينيون ، إن قروناً متطاولة من الرعي المستمر ، قد حولت مساحات شاسعة من الصين إلى أرض ، تدفع رمالها الإنسان الصيني ليدور حولها . وتنبه الصينيون أخيراً إلى ظاهرة التصحر ، وأخذوا يمارسون طرائق مختلفة لتثبيت هذه الرمال وتلك الكثبان ، ومحاولة استزراع بعضها بالحشائش والأعشاب والأشجار .

وفي الهند

ويبدل الهنود جهوداً مماثلة لوقف عملية التصحر ، بمحاولة استزراع بعض الحبوب . فالواقع إنه ليس ثمة صحراء في العالم ، تعيش فيها هذه الأعداد الهائلة من السكان مع عدم صلاحيتها للتوطن ، إنهم يعتمدون على رياح « المانسون » وما قد تجلبه من خيرات وأمطار ليست مؤكدة ، ولقد اشتهرت على مر التاريخ بأعلى نسبة وفيات ، بسبب القحط والجفاف والجوع . ولكن نسبة الوفيات قد تناقصت أخيراً ، ففي بعض جهات الهند ، غدا أكثر من ٨٠٪ من الكثبان الرملية ، مـنـزـرعـاً وكثرت الحيوانات الراعية . وثمة جهود مستمرة في زراعة المصدات ، وتكثيف زراعة الأشجار والمراعي . ولكن عدم رغبة الهنود في قتل الحيوانات حتى القوارض ، قد أوجدت مشكلة جديدة ، مما زاد الحال سوءاً ، وغدت المقاومة أشد وأعنف ضد الجرذان ، وأضرابها ، وإنها لتزايد وتتكاثر بدرجة تفوق كثيراً تزايد السكان في « راجستتان » . وإن الأسوار والأسيجة التي يبنها الناس لحماية مراعيهم وحقوقهم من رعي الماعز ، قد

وإن الإنسان ليرتكب خطأ جسيماً في حق نفسه ، إذا لم يحافظ على أرضه الزراعية ومراعيه ، وتركها لرمال الصحارى تغطيها ، أو اقتطع من هذه الأراضي ، ليحولها إلى مبان ومساكن وطرق ، وكان الأولى به والأجدر أن يقيم هذه المرافق في الصحراء ، دون أن يقتطع أو ينتقص من الأراضي الزراعية أو المراعي شبراً واحداً .

ولو قد تنبه الإنسان إلى مثل هذه المخاطر ، لأحاط الكثبان الرملية بأسيجة من الأشجار أو المصدات للرياح ، أو حاول تثبيتها باستزراع نباتات معينة تثبت ولا تجعلها تتحرك بسهولة .

مع أن الدول المتقدمة ، قد استطاعت بالعلم والتقنية الحديثة أن تخفف من آثار هذا التصحر ، وأن تتغلب على الكثير من متاعبه ، بزراعة مصدات الرياح ، واستعمال مظلات النسايلون ، لتحجب الحر الشديد دون أن تحجب الضوء ، ولتقلل البخر ، وترطب الجو حول النبات ، وإن المظلة الواحدة لتغطي فدانين من النباتات النضرة . وفي الوقت نفسه تستعمل أنابيب دقيقة للري بالتنقيط فلا تضيع قطرة ماء هباء ، إنما هي قطرات تلتقيها الشعيرات الجذرية فقط فتل هذه الدفيئات أو الصويات إنما تحتاج إلى عُشر المساحة التي تحتلها الأرض المكشوفة ، كما أنها تحتاج إلى ٢٠٪ من كمية الماء التي تستغلها الأرض المعرضة للجو . ويلجؤون في بعض البلاد إلى نشر طبقة رقيقة من بقايا البترول الخام ، لتغطي الكثبان الرملية ، فتثبت الرمال وتحفظ رطوبتها ، وتمنع الرياح من أن تذررها .

كما أنهم يبذرون بذور الحشائش والأعشاب فوق الكثبان الرملية قبل تغطيتها ، فتستحيل الرمال الجذباء ، مع الأيام والسنين إلى أرض تثبت المرعى والكلأ ، بل الزرع والشجر ، وتصبح مع العناية والحماية من



غدث هي الأخرى مرابي أو فنادق ممتازة للجرذان والقوارض التي تلتهم ما تنبتة الأرض من مرعى وعشب أولا بأول .

الأرجنتين

وتغر الأرجنتين والبرازيل بنفس الظروف من حيث الجفاف ، وزحف الصحراء ، واستنفاد المراعي وقطع الأشجار .

الولايات المتحدة

وليست الولايات المتحدة الأمريكية في منعة من هذا كله ، أو في مأمن من زحف الصحراء ، وعملية التصحر ، وقد يكون خطرها على بعض الولايات أشد من خطر التضخم وخفض قيمة الدولار ، مما يقض مضاجع الاقتصاديين الأمريكيين في هذه الأيام ، وإن تنبه السكان إلى العناية بالمراعي وتنظيم الرعي ، ورعاية الدولة بترشيد الاستزراع والاستيطان ووقف التصحر ، واستعمال أنابيب من البلاستيك للري بالتنقيط ، وتخليص ماء الري من الأملاح الذائبة فيه قبل استعماله للري .

إن السكان في «أريزونا» و«تكساس» مطمئنون إلى تعليمات علمائهم وإرشاداتهم وبحوثهم المتصلة في هذا المجال . ولكن خوفهم إنما يكن في أثر الريح والزوايع في سمج الأرض ونحاتها وتصحرها مما ينقص من إنتاجية الأرض إلى حد كبير .

شمال إفريقيا

لقد كان شمال إفريقيا يوماً مخزناً للقمح والغلل ، ليطعم الإمبراطورية الرومانية المترامية الأطراف . لقد تصحرت مساحات شاسعة ، واختفت هذه الأراضي الزراعية وهذه المراعي التي كانت مزدهرة يوماً ، بسبب إهمال الإنسان في وقف ظاهرة التصحر ، وتثبيت الرمال . إن العلم والعلماء ، لهذه الظاهرة بالمرصاد ، فمن عمل على تثبيت الكثبان الرملية الزاحفة واستزراع الأشجار لتعمل كمصدات للرياح العاصفة ، ومن محاولة لتغطية مساحات من الكثبان الرملية والأراضي الصحراوية بنباتات معينة تغطيها رقائق من اللدائن تمنع البحر ، ومن إعذاب ماء البحر ، ومن ترشيد لطرائق الري بالتنقيط ، حتى لا تضيق قطرات الماء هباء ، فتززع مساحات من صحراء المملكة العربية السعودية أو صحارى شمالي إفريقيا في مصر وليبيا والجزائر أو صحارى شيلي والأرجنتين والولايات المتحدة الأمريكية أو صحارى الهند وشرقي آسيا وأستراليا .

إنه تحد للعلم والعلماء ، أن يحافظ على المراعي ، وأن يعمل على تنميتها ، وأن نستعيد أرضنا من الصحراء ، وأن نوقف عملية التصحر ، ونستزرع مساحات أكبر من الأرض ، مما يكن سكان الأرض ، الذين يتزايدون يوماً بعد يوم ، وما ذلك على الله بعزيز . إذ يكن المراعي ما تلقى في سني الجفاف ، ومن عدم تنظيم الرعي ، ومن إسراف في القطع والحرق لما قد ينمو بالمرعى من أشجار وشجيرات متناثرة . والله ولي التوفيق .

في أستراليا

وكذلك تفعل الأرانب في أستراليا ، إنها عامل مساعد على التصحر ، وإذا عرفنا سرعة تكاثرها قدرنا قدرتها على التخريب ، مما جعل الأستراليين يضجون من هذا الواء ، بل جلبوا الأمراض والأوبئة للمساعدة على التخلص من هذه الأرانب التي تلتهم الأخضر واليابس . فل تعد أراضي أستراليا قادرة على تأمين الحياة لملايين الأغنام والماعز والماشية التي كانت ترتعي في مراعيها . وكذلك تتعاقب فترات الاحمال والأزدهار ، حسب مواسم الأمطار ، التي قد تهطل بغزارة في بعض السنين ، ثم تتعاقب سنون متطاولة دون هطول فطرة مطر فإذا بالمراعي وقد أجذبت .

في شيلي

وفي جنوب «شيلي» حيث تهطل بعض الأمطار ، ومع ذلك فإن الأرض تتصحرو يوماً بعد آخر ، فقد كان ينمو هناك القمح ، وكان يصدر إلى كاليفورنيا ، ولكن الخطر ازداد ، والصحارى زحفت تدريجياً ، حين اقتلع السكان الأشجار التي كانت تعمل كمصدات للرياح وما تحمل من رمال ، وذلك رغبة منهم في استزراع أعشاب المراعي التي كانت تلتهم أولاً بأول ، كما تكسوها الرمال السافية تدريجياً . ويرى المختصون أنه يكن استعادة هذه الأراضي من الصحراء ، بشرط أن يعود السكان إليها وأن يستغلوا التقنيات الحديثة في الاستزراع والري والصيانة ، وإلا فإن تدهور التربة سيستمر ، وسيزداد الفقر وسيهرب الناس من شيلي .



علم .. للبحريرة



شعر

علي محمد محاسن

فخرُ العروبة دُرّة في عقدها يا دوحَةَ الإسلام دام عطاؤها
مُد كنتَ للسُّمر الأشاوس منعقلُ شادوك حصناً باغية شامخاً
باللُزوع الحيرات نصونها يا بالدر جادت للبينين وقلها
في كلِّ أصقاع البرية عطرها قومي إلى درج العلا وتقلدي
قد حُررت أجماد الأبوة بُوركتُ القدسُ يسمُ والشام تهللتُ
بقلوبنا أرضُ الأسود عريننا أنّا إذا مُدّت إليك يدُ العدا
نحيتُ أفئدة العدا صواعقاً دومي على درب الإباء عزيزة
أنّا الصغورُ الماضياتُ إلى المُنَى أنّا ليمن رغب السلامُ أجيّة
مهملُ الأباة وكا وطاب المختد والعزمُ في أعطافها متجددُ
وشراعُك الخفاقُ عال سيندُ فغدوت كلُّ الحبِّ إذ يتجسدُ
بالروح والأجساد لا نترددُ ينبوع دفيء للحضارة رافدُ
أبراجُ مجدٍ للسلام تُشيدُ عهدُ الفخار على الدهور غلُدُ
وبذا المشارقُ والمغربُ تشهدُ لآلئك منك يوم جدُّ تُرعُدُ
عهداً علينا للأنام نؤكدُ صيدُ ضياغهم بالشهادة نسعدُ
لا عاش من دالك إذ يتصيّدُ واستكثبي التلويحُ إذ يتجددُ
بجناح علمٍ واحتساب نصعدُ والطامعون لهم جهنمُ نوقدُ

المقتصد السمكي العربي



إعداد

شريف عبد اللطيف فنوج سالم

تعتبر إمكانات وإمكانات الدول العربية في مجال استخدام الثروة المائية الشاسعة المحيطة بها شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً ، كبيرة إذا قورنت ببعض الدول المتقدمة في مجال الإنتاج السمكي . كما تعتبر تلك البحار والمحيطات مصدر متجدد للإنتاج السمكي وغير السمكي الذي يمكن عن طريقه سد جزء كبير من احتياجات الدول العربية من الأغذية البروتينية وتصدير فائض الإنتاج عن الاستهلاك مصنعاً أو غير مصنع . ومع ذلك فإنه لآن لم نستطع تلك الدول العربية فراداً أو تكتلاً من استغلال تلك الموارد المائية استغلالاً يحقق لها اكتفاء ذاتياً في الأغذية السمكية . بل إن غالبية الدول العربية تعاني في قصور الإنتاج السمكي ما عدا المغرب .



وتتعدد مصادر الحصول على الأسماك في الوطن العربي سواء إن كانت مصادر مياه المحيطات والبحار المحيطة بالوطن العربي (الجدول ١) أو مصادر مياه داخلية شاملة البحيرات المتخللة البلاد العربية كما في مصر ، أو شاملة الأنهار الجارية في البلاد العربية . ويعتبر المحيط الأطلسي من أهم مصادر الثروة السمكية في البلاد العربية ، يليه المحيط الهندي ، ثم الخليج العربي ، فالبحر الأبيض المتوسط ، فالبحر الأحمر . وتعد مصادر إنتاج السمك من المياه الداخلية للوطن العربي بحوالي ١٣ ٪ من جملة إنتاجه . وتتركز تلك المصادر أساساً في مصر متمثلة في بحيرات الدلتا وبحيرة ناصر وبحيرة قارون علاوة على الترع والمصارف المنتشرة في ريف مصر . كما تتمثل تلك المصادر في النيل الأزرق والنيل الأبيض ومتفرعاتها المختلفة في السودان . علاوة على نهري دجلة والفرات ، ومجموعة الأنهار الصغيرة المنتشرة في فلسطين والأردن ولبنان وسورية .

الإنتاج السمكي

يمكن تقسيم الدول العربية من حيث الإنتاج السمكي إلى ثلاث مجموعات إنتاجية :

● المجموعة الأولى : تشمل المغرب واليمن الجنوبية وعمان ومصر ودولة الإمارات ، وهي دول إنتاجها مرتفع بالمقارنة بالدول العربية الأخرى .

● المجموعة الثانية : تشمل تونس والسعودية والجزائر وموريتانيا والسودان والعراق ، وهي دول إنتاجها متوسط يتراوح ما بين ٣٠ ألف طن و ٢٠ ألف طن .

● أما المجموعة الثالثة : فتشمل دول إنتاجها منخفض يتراوح ما بين ١٠ آلاف طن فأقل ، وتقع غالبية الدول العربية في تلك المجموعة وهي : اليمن الشمالية والكويت وسورية والصومال وليبيا ولبنان والبحرين وقطر والأردن .

وبدراسة نصيب الفرد من الإنتاج القومي في كل دولة عربية يتضح أن دولة الإمارات ، بالرغم من أنها ليست أكبر الدول العربية إنتاجاً للأسماك ، إلا أن نصيب الفرد من الإنتاج بها يفوق باقي الدول العربية ، حيث يبلغ حوالي ٣٩٧ كيلوجراماً سنوياً ، تليها عمان بنصيب فردي حوالي ١٦٤ كيلوجراماً سنوياً ، ثم اليمن الجنوبية بنصيب فردي حوالي ٨٢ كيلوجراماً في السنة ، ثم موريتانيا بنصيب فردي حوالي ١٨ كيلوجراماً في السنة ، والمغرب بحوالي ١٧ كيلوجراماً في السنة ، ثم باقي الدول العربية بنصيب فردي منخفض ومتباين لا يتعدى ١١ كيلوجراماً في السنة .

الاستهلاك السمكي

وتنقسم البلاد العربية إلى ثلاث مجموعات استهلاكية :

● المجموعة الأولى : تشمل كل من المغرب ومصر ، حيث

يرتفع فيها إجمالي استهلاك الأسماك .

● المجموعة الثانية : تشمل كل من اليمن الجنوبية وعمان وتونس والسعودية والجزائر وموريتانيا والسودان ، حيث يتراوح فيها استهلاك الأسماك ما بين ٢٠ ألف طن وخمسين ألف طن .

● المجموعة الثالثة : تشمل باقي البلاد العربية ، حيث ينخفض فيها استهلاك الأسماك عن ١٠ آلاف طن أو يزيد قليلاً .

ويعتبر مقياس الاستهلاك الفردي من الأسماك هو المقياس الحقيقي المعبر عن الأحوال الاقتصادية ومستوى المعيشة في البلاد العربية وليس جملة الاستهلاك نظراً للتباين الكبير في عدد سكان الدول العربية . فبينما نجد أن جملة استهلاك مصر من الأسماك يفوق أكثر من ١٠٠ ألف طن إلا أن معدل الاستهلاك الفردي للأسماك فيها يعتبر ضئيلاً للغاية ، حيث يبلغ حوالي ٣ كيلوجرامات سنوياً ، في حين أن دولة الإمارات من دول المجموعة الثالثة التي ينخفض فيها جملة الاستهلاك إلى ١١ ألف طن إلا أن نصيب الفرد من الأسماك يعتبر أعلى المعدلات في البلاد العربية ، حيث يبلغ حوالي ٧٥ كيلوجراماً سنوياً . كما تتميز كل من عمان واليمن الجنوبية بارتفاع معدل الاستهلاك الفردي من الأسماك ، حيث يبلغ في عمان حوالي ٦٣ كيلوجراماً ، وفي اليمن الجنوبية حوالي ٢٧ كيلوجراماً سنوياً ، وبالرغم من أن المغرب تعتبر أكبر الدول العربية في جملة استهلاك الأسماك إلا أن نصيب الفرد فيها لا يتعدى ٨ كيلوجرامات سنوياً .

الموارد الإنتاجية

اقتصر هذا الجزء على دراسة العمالة في مجال صيد الأسماك ، أي عدد الصيادين في الدول العربية ، ومتوسط إنتاجية الصيد في تلك الدول بقسمة جملة الإنتاج السمكي على عدد الصيادين العاملين في مجال إنتاج الأسماك . كما اقتصر في تلك الدراسة أيضاً على عدد المراكب بأنواعها الثلاثة المدونة في (الجدول ٢) ، ومتوسط إنتاجية



المركب بقسمة إجمالي الإنتاج السمكي على عدد المراكب ، ويفحص ودراسة (الجدول ٢) يتضح أن :

مجال العمالة السمكية - أي عدد الصيادين - أن عدد الصيادين في مصر يبلغ ١٠٠ ألف فرد ، وهو تقريباً نصف العمالة في الدول العربية . وأن عدد الصيادين في المغرب يبلغ ١٥ ألف صياد . وأن أقل الدول في مجال عدد الصيادين هي الأردن ، حيث يبلغ عددهم حوالي ١٥٠ فرداً ، وإذا كان عدد الصيادين العاملين في أي مقتصد سمكي بين ضخامة البنيان القومي السمكي إلا أنه لا يبين كفاءتهم ، حيث نجد أن متوسط إنتاجية الصياد المصري تبلغ ٠,٩ من الطن في حين أنها تبلغ ١٨,٨ طناً في المغرب ، ٩,١ أطنان في الإمارات . أي إنه بالرغم من أن عدد الصيادين في مصر يبلغ نصف عدد الصيادين في إجمالي الدول العربية إلا أن متوسط إنتاجيته في مصر تعتبر في أدنى المستويات على محيط الدول العربية . الأمر الذي يشير إلى أن كفاءة المقتصد السمكي لا ترتبط بالعدد المطلق من الصيادين ، بل ترتبط أيضاً بما يمتلكه أو يستعمله من وسائل إنتاجية أخرى ، وخاصة نوع المراكب المستخدمة في الصيد . (الجدول ٢) .

وفي مجال عدد ونوع مراكب الصيد . فإن المغرب يمتلك أكبر عدد من المراكب الآلية الكبيرة ، حيث يبلغ العدد ٥٠٠ مركب ، في حين يبلغ ٥ فقط في مصر ، و ٩٦ مركباً في تونس ، و ٤ مراكب في اليمن الجنوبية . كما أن اليمن الجنوبية تمتلك أكبر عدد من المراكب الآلية الصغيرة ، حيث يبلغ حوالي ١٥٠٠ مركب ، في حين أن مصر والمغرب يمتلكان عدداً متقارباً ، حيث يبلغ ٥٠٠ في مصر ، ٤٥٠ في المغرب ، كما يمتلك العراق ٤٣٥ مركباً آلياً صغيراً والجزائر ٥٧٠ مركباً آلياً صغيراً . وفي مجال المراكب الشراعية فإن مصر تمتلك أكبر عدد منها حيث يبلغ حوالي ١٩ ألفاً ، والمغرب حوالي ٢,٦ ألفين ، واليمن الجنوبية حوالي ٥,٨ آلاف ، والعراق ٤,٥ آلاف (الجدول ٢) .

وإذا كان عدد المراكب بين فقط ضخامة البنيان الاقتصادي السمكي ، فإنه لا يبين كفاءة البنيان الاقتصادي السمكي . فبينما تمتلك مصر حوالي ١٩,٥ ألف مركب والمغرب حوالي ٢,٦ ألفين من المراكب ، إلا أن إنتاجية المركب في المغرب تبلغ ٨٠,٥ طناً سنوياً ، في حين تبلغ في مصر ٤,٦ أطنان سنوياً ، أي إن كفاءة إنتاجية المركب في المغرب تفوق كفاءة إنتاجية وحدة المركب في مصر . كما أن لبنان يمتلك عدداً من المراكب يفوق ما يمتلكه دولة الإمارات إلا أن إنتاجية وحدة المركب في دولة الإمارات تبلغ ٤٦ طناً في حين أنها تبلغ ١,٢ طناً في لبنان . ومن الدراسة السابقة يتضح أن بعض الدول العربية تعاني من قصور شديد في الاستهلاك السمكي لعجز الإنتاج السمكي في تلك الدول عن ملاحقة الاستهلاك المتزايد وخاصة في مصر ، حيث يمثل العجز الاستهلاكي في المتوسط بحوالي ٢٤ ألف طن سنوياً ، وفي موريتانيا بحوالي ١٣ ألف طن سنوياً ، والسعودية بحوالي ٩ آلاف طن سنوياً ، والعراق بحوالي ٨ آلاف طن سنوياً . وإذا كانت تلك الدول السالفة الذكر تعاني من زيادة استهلاكها السمكي عن إنتاجها ، فإن كل من المغرب وعمان واليمن الجنوبية والإمارات تعاني من فائض في إنتاجها السمكي عن استهلاكها السمكي ، حيث يبلغ في المغرب حوالي ١٥٧ ألف طن ، وفي اليمن الجنوبية حوالي ٨٤ ألف طن ، وفي عمان حوالي ٦٢ ألف طن ، وفي دولة الإمارات حوالي ٤٧ ألف طن .

ويعتبر المقتصد السمكي العربي مقتصداً ذا فائض في الإنتاج السمكي عن استهلاكه حيث يبلغ الفائض في المتوسط حوالي ٢٧٠ ألف طن . وما يسترعي الانتباه أنه بالرغم من إمكانات إنتاج السمك في الدول العربية ، وبالرغم من وجود فوائض في الإنتاج ، إلا أن بعض تلك الدول تعاني في كيفية الحصول على احتياجاتها الاستهلاكية من الأسماك .

وفي مجال الموارد الإنتاجية السمكية يلاحظ من تحليلنا للبيانات الواردة في (الجدول ٢) وما ذكرناه سابقاً أنه كلما زاد عدد المراكب الآلية الكبيرة ازداد حجم الإنتاج السمكي وارتفعت الكفاءة الإنتاجية لوحدة المركب علاوة على انخفاض العمالة في مجال إنتاج الأسماك ، فبينما نجد أن المغرب يمتلك حوالي ٥٠٠ مركب آلي كبير ومصر تمتلك ٥ مراكب آلية كبيرة ، فإن إنتاج المغرب من الأسماك يفوق ٣ أضعاف إنتاج مصر من الأسماك ، علاوة على النقص الواضح في عدد الصيادين في المغرب ، حيث يبلغ حوالي ١٥ ألف صياد ، في حين أنه في مصر حوالي ١٠٠ ألف صياد . . مما أدى إلى ارتفاع الكفاءة الإنتاجية لوحدة الصيد في المغرب سواء كان عاملاً أو كان مركباً . كما يلاحظ أيضاً أن المغرب يمتلك ٥٠٠ مركب آلي من جملة مراكب آلية ٦٠٥ مراكب على محيط الدول العربية ، مما أدى إلى ارتفاع إنتاجها من الأسماك إلى حوالي ٣٣ ٪ من جملة إنتاج الدول العربية .

ومن ذلك يتضح أنه يجب التركيز على استخدام المراكب الآلية الكبيرة والتوسع في امتلاكها ، وخاصة للدول التي تسمح مواردها النقدية بذلك .



بينها لإنشاء شركة إنتاجية مشتركة للصيد في هذه المناطق . كما يجب أن يتم في هذا الشأن التعاون المشترك بين معاهد علوم البحار والمصايد الموجودة في بعض الدول العربية .

٣ - ومن المعلومات السابقة سوف تتضح نوعية العمال المطلوبين والأسلوب الواجب اتباعه لتدريبهم ورفع كفاءتهم على استخدام الوسائل الحديثة للصيد ، وفي هذا الشأن يجب أن تقوم جامعة الدول العربية بإنشاء العديد من مدارس تدريب العمال على مهنة الصيد في بعض الدول العربية ، وأن تقوم بوضع برامج ومناهج الدراسة فيها ، بحيث يتخرج منها العمال المدربون على مختلف الفنون مثل (الملاحة والميكانيكا والصيد) وأن تفتح أبوابها لجميع أبناء الدول العربية الأخرى .

٤ - البدء في إنشاء شركات إنتاجية سمكية مشتركة بهدف :

(أ) الصيد في أعالي البحار المفتوحة خاصة وأن جميع الدول العربية تقع سواحلها على المحيطات والبحار والخلجان ، أو يسهل عليها الوصول إليها ، وسوف يساعد ذلك على تدعيم أسطول الصيد ويسهل زيادة عدد المراكب أو السفن الآلية الكبيرة وتزويدها بأحدث أجهزة الكشف عن الأسماك وصيدها ، بحيث تم على السفن عمليات تجميد الأسماك أو تصنيعها ، مثل اشتراك الدول العربية الواقعة على الخليج العربي في مشروعات مشتركة للصيد من المحيط الهندي ، ومثل اشتراك المغرب وموريتانيا للصيد في المحيط الأطلنطي .

(ب) الصيد في المياه المشتركة الداخلية منها والبحرية ، ومثال ذلك اشتراك مصر والسودان في مشروعات بهدف زيادة الإنتاج السمكي في بحيرة ناصر وبحيرة النوبة أو من المياه الإقليمية لمصر والسودان في البحر الأحمر ، مثل اشتراك تونس وليبيا والجزائر والمغرب في مشروعات مشتركة للصيد في مياهها الإقليمية في البحر المتوسط .

(ج) الصيد في المناطق العربية غير المستغلة وأهمها البحر الأحمر كله بإقامة مشروعات مشتركة تضم المملكة العربية السعودية والسودان واليمن الشمالية ومصر أو بعض هذه الدول للصيد في مياهها الإقليمية .

٥ - تنفيذ المشروعات العربية المشتركة سيقترن ولا شك بضرورة إنشاء مشروعات أخرى لها أهمية بالنسبة للإنتاج السمكي العربي ، إذ إنها مكتملة له ، ومثال ذلك :

(أ) إنشاء تلاحات بحوار الموانئ تكون جاهزة لاستقبال الإنتاج السمكي وتخزينه .

(ب) إنشاء مشروع لإنتاج شبك الصيد بالموصفات التي تتطلبها طبيعة الصيد في كل من مناطق الصيد المشتركة ، فقد تكون الأسماك سطحية أو نصف قاعية أو قاعية .

(ج) إصلاح الموانئ ومحطات الاستقبال بحيث تكون جاهزة ومستعدة لاستقبال السفن ، وخاصة الآلية الكبيرة ، مع

وللتكامل العربي القومي في مجال الثروة السمكية مزايا عديدة منها :
(أ) القضاء على ظاهرة الموسمية في الإنتاج السمكي العربي نظراً لتعدد المصايد واتساعها ، وكذلك تعدد الأصناف ، وأيضاً تنظيم عملية التسويق بين الدول العربية بما يضمن مواجهة الطلب على المنتجات السمكية على مدار السنة .

(ب) الاستفادة من وفورات السعة سواء من ناحية تخفيض التكاليف أو توفير البروتين الحيواني الغذائي لشعوب المنطقة ، وأيضاً الاستفادة من التكامل السمكي بين الدول العربية في الأسواق العالمية بالنسبة لأسعار المعدات المستوردة أو أسعار المنتجات المصدرة .

(ج) مقاومة الآثار الخارجية التي تضر باقتصاديات الدول العربية بسبب تقلبات أسعار المنتجات السمكية في الأسواق العالمية ، خاصة في الدول العربية التي تعتمد أساساً على استيراد مثل هذه المنتجات لسد حاجاتها المحلية .

مقترحات وتوصيات

١ - وجوب اهتمام الأجهزة المسؤولة في الدول العربية بصورة صادقة بإصدار الإحصائيات والبيانات السمكية ، بحيث تقسم بالدقة الواجبة وتصدر في مواعيد دورية فيمكن الاعتماد عليها واعتبارها ركيزة لها أهميتها وجديتها في جميع الأبحاث والدراسات التي تجري بهدف تنمية الإنتاج السمكي في الدول العربية .

وما لم تتسم هذه الإحصائيات بالدقة في بياناتها والثبات في مواعيد إصدارها فإنها تفقد الكثير من أهميتها . ويجب أن تولي المنظمات العربية المعنية والمسؤولة عن تنمية الإنتاج السمكي ، اهتمامها الواجب بتنسيق هذه الإحصائيات ونشرها بحيث تكون شاملة عن كل فترة زمنية لجميع البيانات الواجب أن تتضمنها هذه الإحصائيات ، فتتضمن مثلاً :

أ - كميات الإنتاج السمكي وقيمه .

ب - أنواع الأسماك المصيدة .

ج - عدد السفن ونوعها وقوتها .

د - عدد العاملين في الإنتاج السمكي .

هـ - الصادرات والواردات من الأسماك .

و - إجمالي صافي الدخل السمكي .

ز - الاستهلاك ومتوسط نصيب الفرد في السنة من الأسماك .

٢ - لا بد وأن تبدأ الدول العربية ، منفردة أو مشتركة وبأسلوب علمي ، في المسح السمكي لما لم يتم مسحه في مناطق الصيد بواسطة مراكب الأبحاث ، وسوف تكون نتيجة المسح السمكي عمل خرائط تفصيلية لمناطق الصيد وطبيعة القاع ودراسة الخواص لكل نوع من الأسماك من ناحية التغذية ومواسم الإخصاب وظهور الزريعة ونموها وأنسب الأوقات لصيدها والوصول إلى معرفة أفضل أنواع السفن المناسبة للصيد في كل منطقة وأحسن وسائل الصيد التي يتم تجهيز السفن بها .
ويجب أن يتم التبادل لهذه المعلومات بين الدول العربية التي تتفق فيما

منحها التسهيلات اللازمة التي قد يتطلب منحها عقد بروتوكولات بين الدول .

(د) تعجيل مشروع إنشاء الترسانات البحرية في بعض الدول العربية ، أو توسيع طاقة الترسانات الموجودة في بعضها ، مثل ترسانة الإسكندرية لبناء سفن الصيد الآلية .

(هـ) إنشاء بعض المصانع السمكية بجوار ثلاجات التخزين .

(و) تسويق الإنتاج السمكي في صوره المختلفة طازجاً أو مجمداً أو مصنعاً ، ليتم هذا التسويق بين الدول العربية ، فتحقق بذلك سياسة التكامل المطلوبة ، أو يتم هذا التسويق عالمياً . وهذا التسويق العالمي يتطلب معرفة أذواق المستهلكين في البلاد

جدول (١)

الرقعة المائية البحرية العربية وإنتاجيتها

سنة ١٩٧٤ م .

منطقة الصيد	الدولة	مساحة الرصيف الفاري كم ^٢	طول الساحل كم	إنتاج عام ١٩٧٤ م ألف طن	إنتاجية كم ^٢ طن
المحيط الأطلنطي	موريتانيا	٣٤٠٠٠	٦٦٧	١٢,٦	٠,٤
	المغرب ^(١)	٦٠٠٠٠	١٧٥٠	٢٨٧,٨	٤,٨
الجملة		٩٤٠٠٠	٢٤١٧	٣٠٠,٤	٣,٢
البحر الأبيض المتوسط	الجزائر	١٠٧٠٠	١١٠٠	٣٥,٨	٣,٣
	تونس	٧٧٣٠٠	١٠٣٠	٤٢,٧	١,٦
	ليبيا	٥٥٠٠٠	١٦٨٥	٣,٨	٠,١
	مصر ^(٢)	٥٣٦٠٠	٢٤٢٠	٢٧,٥	٠,٥
	سورية	١١٦٠	١٧٥	٠,٧	٠,٦
	لبنان	٢٠٠٠	٢٥٠	٢,٥	١,١
الجملة		١٩٩٧٦٠	٦٦٦٠	١١٣,٠	٠,٦
البحر الأحمر	السودان	٩٨٠٠	٧١٧	٠,٨	٠,١
	السعودية ^(٣)	١٢٣٠٠٠	٢٤٣٧	٣١,٣	٠,٣
	اليمن الشمالية	١٧٧٠٠	٤٥٢	١١,٥	٠,٧
	الأردن	٢٠	٩	٠,١	٥,٠
الجملة		١٥٠٥٢٠	٣٦١٥	٤٣,٧	٠,٣
المحيط الهندي	اليمن الجنوبية	٢٠٢٥٥	١٥٥٠	١٣٣,٥	٦,٦
	عمان	٣٢٠٠٠	١٦٠٠	١٠٠,٠	٣,١
	الصومال	٤٥٠٠٠	٢٩٥٠	٥,٠	٠,١
الجملة		٩٧٢٥٥	٦١٠٠	٢٣٨,٥	٢,٥

المختلفة ، وتوجيه إنتاج المصانع السمكية لكي يتوافق مع ما تتطلبه الأسواق الخارجية .

وهناك حقيقة يجب أن تكون واضحة أمام المسؤولين على جميع المستويات في الدول العربية ، وهي أن قلة البروتين الحيواني في معظم الدول العربية جعلت من الاهتمام بالإنتاج السمكي ضرورة ملحة .

وحقن تنهني الدول العربية من إنشاء الشركات المشتركة ، فإن الاتجاه إلى سياسة الاستزراع السمكي في المياه الداخلية في معظم الدول العربية قد أصبح واجباً هاماً وضرورياً ، وأنه يجب الإسراع في تنفيذها لمواجهة الأمر الذي تعيشه حالياً معظم الشعوب العربية ، وهو قلة نصيب أفرادها من البروتين السمكي ، كجزء من استراتيجية العمل العربي في مجال الغذاء .

والله ولي التوفيق .

- (١) تشمل سواحل البحر الأبيض المتوسط.
(٢) تشمل سواحل البحر الأحمر.
(٣) تشمل سواحل الخليج العربي.

منطقة الصيد	الدولة	مساحة الرصيف القاري كم ^٢	طول الساحل كم	إنتاج عام ١٩٧٤ م ألف طن	إنتاجية كم ^٢ طن
الخليج العربي	العراق	٢٠٠٠	٥٠	٣,٠	١,٥
	الكويت	٧٢٠٠	٢١٣	٧,٧	١,٠
	الإمارات	١٦٠٠٠	٨٠٠	٦٥,٠	٤,٠
	البحرين	٤٠	٢٠	١,٥	٣٧,٥
	قطر	٨٠٠٠	٤٠٠	١,٠	٠,١
الجملة		٣٣٢٤٠	١٤٨٣	٧٨,٢	٢,٤
إجمالي عام		٥٧٤٧٧٥	٢٠٢٧٥	٧٧٣,٨	١,٤

جدول (٢)
الموارد الإنتاجية للأسماك في البلاد العربية

الدولة	عدد الصيد ألف فرد	نصيب الصيد من الإنتاج (طن)	عدد المراكب المستخدمة بالوحدة				متوسط إنتاج وحدة المراكب طن
			آلية كبيرة	آلية صغيرة	شراعية مجدافية آلية خارجية	جملة	
المغرب	١٥٠٠٠	١٨,٨	٥٠٠	٤٥٠	٢٥٥٠	٣٥٠٠	٨٠,٥
اليمن الجنوبية	١٣٠٠٠	٩,٦	٤	١٥٠٠	٥٧٥٠	٧٢٥٤	١٧,١
عمان	٠٠	—	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠
مصر	١٠٠٠٠٠	٠,٩	٥	٥٠٠	١٩٠٠٠	١٩٥٠٥	٤,٦
تونس	١٦٠٠٠	١,٩	٩٦	١٧٠	٤١٣٠	٤٣٩٦	٧,٠
السعودية	٣٩٢٠	٧,٧	—	٧٥٠	١٠٦٠	١٨١٠	١٦,٨
الجزائر	٤٩٠٠	٥,٩	—	٥٧٠	٩٤٤	١٥١٤	١٩,١
موريتانيا	٨٠٠٠	٢,٧	—	١٠	٣٠٠٠	٣٠١٠	٦,٩
السودان	٤٠٠٠	٥,٦	—	—	١١٥٠	١١٥٠	١٩,٥
العراق	٤٢٠٠	٥,٢	—	٤٣٥	٤٤٥٧	٤٨٩٢	٤,٥
الإمارات	٦٣٥٥	٩,١	—	٥٥	١٢١٣	١٢٦٨	٤٥,٧
الكويت	٤٦٠٠	١,٩	—	١٧٠	٣٧٠	٥٤٠	١٥,٩
اليمن الشمالية	٢٠٠٠	٤,٦	—	—	٣٠٠	٣٠٠	٣١,٠
الصومال	٢٥٠٠	٢,٠	—	٧٧	١٩٠٠	١٩٧٧	٣,٥
ليبيا	٣٨٠	١٢,٣	—	٣٣	٣٥٠	٣٨٣	١٢,٣
البحرين	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠
سورية	٤٠٠٠	٠,٣	—	٨	٤٥٠	٤٥٨	٣,١
قطر	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠	٠٠
الأردن	١٥٠	٠,٧	—	—	٥٠	٥٠	٣,٠
لبنان	٣١٥٣	٠,٧	—	—	١٨٠٠	١٨٠٠	١,٣
الجملة	١٩٢١٥٨	٦٠٥	٤٧٢٨	٤٨٤٧٤	٥٣٨٠٧	١٥,٧	

اللقاء.. الزيجات

شعر : عبد المنعم عواد يوسف

وأقسم مهما يمر الزمان
سأذكر هذا اللقاء الجميل
ونجواه في القلب هل ما تزال
لقد كان حقاً لقاء قصيراً
على شاطئ البحر كان اللقاء
فكان الخنا، وكان الغناء
لقد كان شيئاً شفيفاً نقياً
هو العمر يُوجز في لحظة
عرفت الحياة بهذا اللقاء
لقد كان كثيراً ثميناً
على جسر أماننا يمر
فهل يا ترى لم تزل تذكر
وتشعر نفس الذي أشعر
وحلم السعادة كم يقصر
ربيعاً بأشواقنا يُزهر
وكان الصفاء الذي يقطر
كروياً بخاطرنا نعبّر
هو الكون نخصره أسطر
وادركت كنهه ولا أنكر
بعذب الأحاسيس كم يزخر

* * *

وأقسم لو بعده تنقضي
بهذا أحسن اللقاء الذي
فهل أنت تشعر نفس الشموخ
إذا كان هذا ، فوافرحني
حياتي ، فعمري إذن أدهر
مضى مثل سائحة تخطر
وننظر نفس الذي أنظر
وإن لم يكن ، فالردي أجدر



تاريخ الشرطة في الإسلام

بمقام : محمد الحسيني عبد العزيز

عرفت الشرطة منذ فجر التاريخ في الدولة القديمة بمصر طبقاً للنصوص التي وردت أو نقشت على الآثار أو دونت على أوراق البردي ، وكان على رأس جهاز الأمن الوزير الذي يتولى دراسة القضايا الهامة من جنايات كالسرقات والقتل ، وترفع إليه الحوادث الخطيرة التي تقع في الأقاليم ، ويشرف على اختيار ضابط الشرطة وتدريبهم ممن سيتولون أمر الأمن في المناطق المختلفة .

المشهور سعد بن أبي وقاص ، كما شغله عبد الله بن مبرهون أيام الخليفة أبي بكر الصديق ، وتولى مهمة الشرطة (العسس) أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ومعه مولاة أسلم وعبد الرحمن بن عوف ، وتولاها الصحابي أبو هريرة في ولاية البحرين .
والحققت الشرطة بالقضاء في صدر الإسلام ، لأن مهمتها تنفيذ أحكام القضاء وإقامة الحد على السارق والزاني وغيرها وذلك بعد ثبوت إدانة المتهم واعترافه وشهادة الشهود بذنبه .

الشرطة أيام دولة بني أمية

ولما توسعت الدولة العربية وامتد نفوذها بعد سيطرتها على بلاد الفرس والعراق شرقاً ، ودخول الشام ومصر في حوزتها وبلاد شمال إفريقيا اقتضى الأمر فصل الشرطة عن القضاء تمارس المهات والأعمال الكبرى التي تتطلبها التنظيم الإداري للولايات المفتوحة ، ودخول عناصر من جنسيات متعددة في عاداتها وأهوائها وطبائعها في الدولة الجديدة ، أي إلى وقوع جرائم لم يعرفها المجتمع

وقوام قوات الشرطة فرق خاصة تتولى مهمة الأمن وحراسة الفرعون ومقابر الملوك وإلقاء القبض على النصوص الذين يحاولون سرقة الكنوز من المقابر الملكية .

وقد وضع الوزير حور محب تشريعات للقضاء على الجريمة والفساد ومنع التعدي على وسائل النقل النهرية والبرية ، وكان من بين العقوبات الجلد والغرامة والسجن بالمعابد .

واخذ نظام الشرطة في بلاد اليونان صورة عن التنظيم الحكومي هناك حيث كان من متطلبات الحكم والإدارة في بلاد اشتهرت بالدقة التي تهدف إلى نشر العدالة في مجتمع متقدم له نظمته السياسية والإدارية القومية ، ولم تختلف مهمة الشرطة عنها في مصر فهي حماية الأرواح والأموال والأماكن من اعتداء العابثين بالقانون .

الشرطة في صدر الإسلام

تولى العسس^(١) في عهد الرسول الكريم ﷺ ، في المدينة القائل العرب

الجديدة **الفسطاط** عرفت باسم الشرطة ، يرأسها صاحب الشرطة الذي كان يتلقى أوامره من الوالي شخصياً ، ويعاونه جماعة من الناس اختيروا لهذه المهمة ممن تتوفر فيهم الشجاعة وقوة البأس والنزاهة والأمانة .

وفي مدينة الكوفة ، إحدى ولايات العراق الست ، أنشئت قوة للشرطة أدت مهمتها على خير وجه ، حيث انتظم الأمن واستتب النظام وأمن الناس من اعتداء قطاع الطرق في الصحراء ، وقد تولى أمرها **زياد بن أبيه** الذي أعلن أنه مسؤول عن أمن الناس ، كفيل برد كل ما يفقد منهم .

واشتهرت مصر باتباع نظام خاص للسفر ، فما كان أحد يستطيع أن يترك الناحية التي يقيم فيها إلى ناحية أخرى دون الحصول على إذن من ولي الأمر (صاحب الشرطة) ، وتؤكد هذا وثيقة من ورق البردي أصدرها والي مصر عام ١٠٠ هـ (٧٢٠ م) إلى أفراد شرطته بإلقاء القبض على من يوجد مسافراً أو منتقلاً من مكان إلى آخر من غير سجل (جواز سفر) ، وإذا وجد شخص صاعداً أو نازلاً من مركب دون ترخيص بذلك فرضت الحراسة على المركب واقتيد المخالفون للتحقيق معهم ، والراجع أن هذا الأمر صدر بسبب محاولة بعض الأفراد الدخول إلى مصر خلسة تهرباً من دفع الأعشار (ضريبة السفن) ، وذلك حماية للأمن بسبب وقوع مصر على ساحل البحر الأبيض وفي مواجهة أعداء العرب من الروم الذين كانوا يطمحون في استرداد مصر ، كما يروي المؤرخ ابن سعيد أنه كان لا بد من سجل للخروج من مصر وكان يدرج فيه من يرافق المسافرين من أهله حتى ولو كانوا من عبيده .

ولم يكن هذا النظام متبعاً في باقي الولايات الإسلامية ، حتى أن المؤرخ المقدسي استنكره حين شاهده منفذاً في أيام بني بويه حكام إيران أيام العباسيين ، حيث أمر **عضد الدولة البويه** بمنع كل فرد من دخول مدينة (شيراز) دون أن يحمل جواز سفر صالح .



الشرطة أيام الدولة العباسية

تطورت الشرطة أيام العباسيين تطوراً ملحوظاً ، وأصبحت أكثر دقة ونظاماً ، حيث أولاها الخلفاء أهمية كبرى لأنها حصن البلاد ودرعها ، فخصص لذلك رجال مسؤولون عن مراقبة أعداء الدولة ، عن ظلموا على ولائهم للأمويين ، أو عن يعتقدون بأن العباسيين ليسوا أحق العرب بالخلافة ، وهكذا منح أفرادها صلاحيات ونفوذاً أكبر .

وأصبح لرئيس شرطة بغداد حق تدبير حرس الخليفة الخاص وتوزيع الحراسة على مداخل بغداد الأربعة وفي طرقات المدينة ، لمراقبة المفسدين وكل من يحاول إثارة الشغب ، أو يخرج على القوانين المرعية أو الآداب العامة ، أو يطفف الكيل والميزان ، حرصاً على المصلحة العامة وحماية للأرواح والأموال والأعراض .

ويتضح هذا من قول **أبي جعفر المنصور** مؤسس الدولة العباسية : « أركان الملك أربعة : قاض لا تأخذه في الحق لومة لائم ، وصاحب شرطة ينصف الضعيف من القوي ، وصاحب خراج لا يظلم الرعية ، وصاحب بريد يكتب إليّ بجزر هؤلاء على الصحة » .

شروط اختيار صاحب الشرطة

لم يصل إلى منصب صاحب الشرطة إلا أهل العلم والمعرفة ، ومن

الإسلامي الذي كانت تحكه عقيدة الإيمان الراسخة وخشية الله في مهبط الوحي بالجزيرة العربية ، فالعقيدة راسخة والمؤمنون يخشون الله ووازعهم الديني عميق .

وهكذا تطورت الشرطة تبعاً للتغير السياسي والتبدل الاجتماعي الذي ظهر أيام الأمويين ، فوضعت نظم محكمة تعد الأساس الحقيقي لنظم الشرطة الحديثة ، ومنها مراقبة المشبهين وحصر ذوي النشاط الإجرامي في سجلات خاصة ، كما أسندت مهمة مراقبة هؤلاء في حاضرة الدولة دمشق إلى زياد بن قيس وإلى غيره في المدن والولايات لحاسبة كل خارج على أصول السدين وقواعده .

الشرطة في الولايات الإسلامية

ولما فتح العرب مصر على يد القائد عمرو بن العاص عام ٢١ هـ ، واستوطنوها أقاموا نظاماً للشرطة يتولى حماية الناس من الجريمة ويقاوم بعض العادات التي تتنافى مع آداب الإسلام ، وأسسوا للشرطة داراً في حاضرتهم

اشتهروا بالسيرة الحسنة والعدل والنزاهة والورع والاستقامة ، لأن صاحب هذا المنصب كثيراً ما شغل منصب الوزارة وأشرف على إدارة الولايات الإسلامية ، فإذا ما غاب الوالي حل محله صاحب الشرطة في الإشراف على أمور الولاية وفي الصلاة بالمسلمين بالمسجد الجامع .

أعوان صاحب الشرطة

ويتخذ صاحب الشرطة أعواناً يساعدونه في مهمته التي توسعت بزيادة السكان وتعدد جنسياتهم وعاداتهم وطباعهم في ملاحقة الخارجيين على الآداب الإسلامية والشريعة السمحاء التي تحرم الخمر والزنى والقتل ، فمن خرج على النظم المعمول بها عوقب وصدرت أحكام بحقه ، فضلاً عن قضايا الإرث والبيع والشراء وقول الزور والفسق وما إليها ، ولهذا كان من واجبات أفراد الشرطة تنفيذ أمر القاضي بنقل المتهمين إلى السجن وحبسهم المدة التي صدرت بحقهم عقاباً على ما اقترفوه من إثم ، كما كانت من مهامهم القيام بالتحريات عن الفارين من وجه العدالة .

ويختار صاحب الشرطة رجالاً من ذوي الأخلاق الكريمة والسيرة الحسنة ، لأن مهمتهم سامية وهي المحافظة على الحرمات والحريات وإقامة الحدود طبقاً لأحكام الدين كحد الزنى والسرقة والقصاص من القتل الذي سفك دماء حرمها الله سبحانه دون وجه حق .

الشرطة في الأندلس

وقد عرف صاحب الشرطة في دولة بني أمية بالأندلس بصاحب المدينة ، وكانت مهمته إقامة الحدود واستيفائها ومعاقبة المجرمين ، وقسمت الشرطة هنا إلى شرطة صغيرة لا تتجاوز اختصاصها عامة الناس ، وشرطة كبرى تمتد عملها إلى الخاصة من ذوي المناصب الرفيعة والخاصة ، وكان مقرر صاحبها أمام دار السلطان حيث يجلس بين أعوانه في مجلس مهيب .

ثم جاء عبد الرحمن الناصر لدين الله (٣٠٠-٣٥٠هـ) فابتكر نظاماً للشرطة أطلق عليه الشرطة الوسطى ، وكان اختصاصها الطبقة المتوسطة من المهندسين والأطباء والمثقفين والتجار ، وعين لهذه الوظيفة سعيد بن سعيد بن جدير .

وكان هناك فريق رابع من رجال الشرطة الخاصة كلّفوا بحراسة الخليفة وقصره وحمايته أثناء الموكب الرسمية وزواره وضيوفه من رجال الدول وسفرائهم .

واستقلت كل فئة عن سواها واختصاصاتها ، فكان لها رجالها ونظمها وأماكنها ولو أنها لم توجد في كل عهد من عهود الحكم الأموي في بلاد الأندلس .

وكان رجال الشرطة بالأندلس يطوفون ليلاً في الدروب والأحياء ، وهذا أطلق عليهم اسم « الدرايين » حيث كان كل حي مقسماً إلى دروب لها باب يغلق عليه بعد غروب الشمس ، وكان كل حارس يحمل قنديلًا أثناء طوافه ومعه كلبه وسلاحه ليكون مستعداً لملاحقة اللصوص في تلك القلاع ، واستخدام الكلاب في أغراض الشرطة عمل عربي ورائد في هذا المجال إدراكاً منهم لأهمية الكلب في ملاحقة المجرمين واقتفاء أثرهم عن طريق حاسة الشم القوية التي يتمتع بها ويتفوق بها على سائر الحيوانات والإنسان .

وقد أكدت الوثائق التاريخية أن صاحب الشرطة في مدينة قسنطينة بشمال إفريقيا حمل الناس على احترام نعاليم الدين ، فكان لا يجوز أن يعاقب اللص بضربه بالسوط دون أن يقيم عليه الحد بقطع يده طبقاً لحكم الشريعة ، وذلك لأنه لا يريد أن يجمع حدين في ذنب واحد .

الشرطة في مصر أيام الطولونيين

استأثر والي مصر أحمد بن طولون بسلطة الشرطة ، وحالفه التوفيق في إقرار السكينة والأمان في ربوع البلاد ، فكبح جماح كل من حاول إرهاب الناس أو النعدي عليهم ، وقتل بالعصايات التي كانت تغير على القرى وتهب القوافل ، واستطاع سجن ما يقرب من ثمانية عشر ألفاً من هؤلاء البغاة .

وعني بتكوين جهاز للشرطة السرية ، وكانت له عيون تأتيه بأخبار المجرمين حيث اهم باختيارهم بعناية وبعد اختيار دقيق يتوقف على مدى نجاحهم في استقصاء الأخبار ، كما كان يخرج بنفسه متكرراً بجوس الأسواق والطرق ، وروي مرة أنه استطاع أن يكشف أحد أعدائه من أنباص الخليفة الموفق العباسي وكان بتكر في ثياب البنائين .

وضع ابن طولون لرجال الشرطة الذين يعهد إليهم بالعمل سياسة مزدوجة الأسلوب والهدف ، تجمع بين قمع الأقوياء والرفق بالضعفاء وفي كتابه هم دليل على ذلك : « أرفق بالرعية وانشر العدل بينهم واقض حوائجهم واطهر إكرامهم وصيانتهم وتفقد مصالحهم فإنني أسير بالليل في محالهم . فكل موضع أمر به لا يخلو من متعبد يذكر الله » ، وفي كتابه لصاحب الشرطة العليا بسطالاب بالشدة حيث يقول :

« تشدد عليهم وأرهبهم منك ولا تلن لهم واغلظ عليهم ، فإنني أسير في محالهم فما أمر بموضع فاسمع منه إلا غشاء أو سكراناً أو معريداً قد أخرجته عربدته إلى الوثوب والكفر » .

الشرطة أيام الفاطميين

كان أصحاب الشرطة يعيرون عادة من الأعوان المقربين للخليفة ، وكانت مهمة رجال الشرطة ، بالإضافة إلى حماية الأرواح والأعراض والممتلكات ، تنفيذ أحكام القضاة وتحقيق أقوال المتخاصمين وإنفاذ الخصوم عند الاقتضاء بالقوة ، والمحافظة على النظام وقت جلوس القضاة في مجالس الحكم وحراستهم .

المحتسب

واستحدث نظام المحتسب الذي أوكل إليه مراقبة الآداب العامة والأسر المعروف والنهي عن المنكر ومحاربة الفساد والانغماس في الإباحية ، ومع الناس من النهي العلني والغناء والعرف على الآلات الموسيقية والاجتماع على شاطئ النيل للفرجة والجلوس على المقاهي ، ومن مهامه توقيع عقوبات التعرير والردع والجلد للصوص والزناة عند إقامة الحد عليهم ، إلى جانب التشهير والتوبيخ والنفي والضرب .

الشرطة الأيوبية والمملوكية

أطلق على صاحب الشرطة في هذا الوقت اسم الوالي الذي تعددت أعباؤه ومهامه وإن ظلت للمحتسب سلطاته واختصاصاته التقليدية ، ونتيجة لاتساع القاهرة وكثرة سكانها ، اقتضى الأمر وجود ثلاثة مسؤولين عن الشرطة : أحدهم بالقاهرة ، والثاني بالفسطاط ، والثالث بالقرافة .

ويختص والي القاهرة بالعاصمة والضواحي . وكان أكبر الولاة أهمية وأكثرهم مركزاً ومرتباً حيث خصص له إقطاع يدر إيراداً بين خمسة عشر ألف وأربعين ألف دينار في العام .

أما والي الفسطاط فيشرف على سكان الفسطاط والعسكر والقطائع ، ومنح إقطاعاً يدر بين سبعة آلاف وعشرة آلاف دينار ، بينما عهد لوالي القرافة الإشراف على الأمن والمقابر والجنائز ومراعاة الآداب العامة .

ونظراً لمنزلة صاحب الشرطة المرموقة فكان يعين بمرسوم من السلطان ، ولا يجوز أن يغادر منطقته إلا بإذن من حاكم مصر ، ومنح لصاحب الشرطة وأتباعه زلي خاص يعرفون به بين الناس .

وكان يستعين برجال مدربين أشبه بالضباط في إسامنا هذه ، وغوغاء مساعدين يتولون حفظ الأمن والقبض على المتهمين ، ويشتكون في ملاحقة المجرمين الفارين من وجه العدالة ، وألحق بالقصر الذي يسكنه مكان خصص لحبس المتهمين والمجرمين ليكونوا تحت مراقبته .

ونظراً لزيادة الأحياء السكنية والتجارية في العاصمة استحدثت وظيفة الحراس الذين يتولون حراسة الدروب والطرق .



الشرطة أيام العثمانيين

وكانت الدولة العثمانية قد آلت إليها بلاد العراق والشام ومصر والحجاز واليمن وشمال إفريقيا بعد انتصارهم في مصر في معركة الريدانية عام ١٥١٧ م ، وكانوا يختارون أصحاب الشرطة من الأتراك والمهاليك دون أهالي البلاد والولايات ، وكان والي الشرطة أشبه بمدير الأمن ، ومن أشهر هؤلاء « علي آغا » الذي قبض على نواصي الأمور بكل حزم ، فقد أجمع على تأييده قادة الفرق العثمانية وزعماء المهاليك وكبار العلماء ، فوصفه الجسبرتي المؤرخ بقوله : « وصار له هبة عظيمة ووقار زائد ، ولم يقف في طريقه أحد سواء كان خبيلاً أو حاراً ، وتحشاه النساء في البيوت ، وهو فائت لم نستطع امرأة أن تطل من طاقة » .

وكان رجال الشرطة يأمرؤن الناس بتحسين بيوتهم ومتاجرهم ويكثرون من إقامة الدروب في الأحياء حيث تغلق بالأبواب المصفحة بالحديد المدعمة بالمسامير والسلاسل والقضبان الحديدية ، وكان لكل باب حارس خاص يتقاضى مرتبه (أجره) من البيوت التي يقوم بحراستها . . . ويغلق الباب بعد العشاء ولا يفتحه إلا لمن يتأكد من شخصيته ويكون قد نبه إلى اضطرابه للعودة متأخراً .

ومن أعمال رجال الشرطة أنهم يمرؤن في الدروب والطرق لتفقد الأحوال فيها ، كما يأمرؤن الأهالي بإشعال القناديل أمام متاجرهم ومساكنهم .

ومن الحكام الذين اهتموا بتوطيد الأمن وحققوا في ذلك نجاحاً كبيراً علي بك الكبير الذي ثار على الحكم العثماني ، وأحكم سيطرته على البلاد ، وجعل المساواة بين الرعية شعاره ، وقد نقل عنه أحد الرحالة الأوروبيين قوله : « إن غايتي الوحيدة أن يأمن الناس على أموالهم حتى لو بسطوا بها أيديهم ، وإن يأمنوا حرمة منازلهم ولو تركوها مفتوحة الأبواب أثناء الليل » .

كما أن رجال الشرطة كانوا يعتبرون سكان الحي مسؤولين عن الجرائم التي تحدث فيه كإظهار القتاتل أو أداء دينه وإعادة المسروق أو رد قيمته .

وهكذا أظهرت نظم الحكم من قضاء وحسبة وشرطة أصالة ودقة في التنظيم والتشريع والأحكام ، وأكدت أن العرب والمسلمين كانوا رواداً في نظم الحكم كما كانوا سباقين في مجال العلوم والفنون ، وأصبحت تشريعاتهم وعلومهم وفنونهم مشاعل تضيء للإنسانية وتيسر لها سبل الحياة ، وتوفر لها الأمن والتقدم والحضارة ، ولهذا أصبحت قيساً أعجب بها الأوروبيون وصارت منهجاً يحتذى .

المراجع

- ١ - مقفعة اس خلدون .
- ٢ - تاريخ ابن مبر .
- ٣ - المعجب في تلخيص اخبار ، الغرب عبد الواحد المراكشي .
- ٤ - اس إياس : تاريخ مصر .
- ٥ - الجبري : عجائب الآثار في التراجم والأخبار .
- ٦ - تاريخ الإسلام السباني الدكتور حسن إبراهيم حسن .

الهوامش

(١) سميت بهذا الاسم لما غلب به رجاله من علامات خاصة بهم ، والعس هو الطرف بالليل لتتبع أهل الريب .



ممناسبة
اليوم الوطني

لِلْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السُّعُودِيَّةِ

وَلَطِيبُ لُحْمٍ وَأَعْيُنُكَ حُلُمٌ
وَلَطِيبُ لُحْمٍ وَأَعْيُنُكَ حُلُمٌ

الحمد لله الملك خالدين عبدالعزيز العتيقري

عصاحب السمو الملكي الأمير **فهد بن عبد العزيز** ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء

وصاحب السمو الملكي الأمير **عبد العزيز بن عبد العزيز** النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ورئيس المجلس الوطني

وحكومة المملكة العربية السعودية الرشيدة والشعب العربي السعودي الكريم

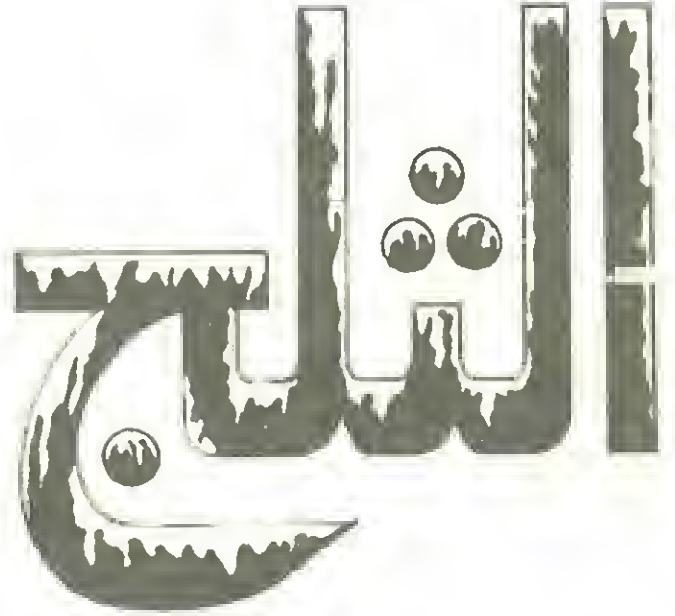
أعاده الله على الجميع باليمن والبركات.

أرامكو





بقلم : خليل السواحري



منذ سنوات طويلة لم يسقط الثلج ، كان الاطفال يتلهفون لرؤية المدينة سهولاً بيضاء مستوية ، فطالما تحدث الكبار عن روعة الثلج حين يخرج الناس إلى أسطح البيوت والشوارع يلعبون بالثلج ، يصنعون منه تماثيل ودمى ، ويتقاذفون كراته فيما بينهم ، وتصبح هذه الكرات البيضاء أدوات للغزل والتواصل بين الشبان والفتيات .

منذ سنوات وهم يحلمون بأن يستيقظوا ذات صباح ليجدوا الثلج وقد غمر المدينة وكساها حلة بيضاء زاهية وأحبال الأوراق الخضراء على أغصان الأشجار شعراً أشيب جيلاً .

كان صابر يتمنى ، وهو يستمع إلى هذه الأحاديث المشوقة ، أن تجود السماء هذا العام بالثلج ، وحين سقطت الأمطار هذا الشتاء ،

أيقن صابر أن الثلج قادم لا محالة . . كل مساء حين تسد الغيوم السوداء الأفق الغربي ، وتبدأ الرياح العاتية بالهبوب ، كان صابر يندس في فراشه قرب والدته ويحلم بأن يستيقظ وقد سد الثلج مداخل الزقاق .

ولقد صحا أكثر من مرة في الليالي الممطرة وأطل من نافذة الكوخ التي تضربها الرياح والمطر لعله يجد الدنيا وقد ابيضت من الثلج .

* * *

هذا المساء كان ثمة اجماع بأن الثلج قادم ، ولذا فقد تزود أهل الحي والجيران بما يحتاجون من مؤن ومحروقات ، الطحين والأرز والسكر والمدس ، وبعضهم اشترى بضعة أرطال من الخبز والخضار والدحوم ، أما أم صابر فقد اشترت قليلاً من الأرز وبضعة أرغفة من الخبز ، ومألت الوعاء الوحيد لديهم بالكاز ، ولم يكن لديها ما يكفي لشراء اللحم أو الخضار .

حدث صابر نفسه :

.. أريد فقط أن أرى الثلج .

قالت له أمه :

.. احكم إغلاق النافذة والبس معطفك الصوفي فالثلج قادم .

* * *

مثلما توقعوا تماماً ، كانت المدينة هذا الصباح أفقاً فسيحاً من البياض الناصع ، كل الشوارع والأزقة والسطوح مساحات ممتدة من الثلج ، أما الأشجار وأعمدة الهاتف والكهرباء فقد كانت هي النقاط السوداء الوحيدة التي تبدو من بعيد .

كل الأولاد كانوا قد نزلوا إلى الشوارع أو صعدوا إلى السطوح ، لكن حرب الكرات الثلجية لم تبدأ مبكرة . فالتناس حين يلتقون مع الثلج يحسون لأول وهلة برهبة مفاجئة أو يأخذهم شعور ما بأن هذه

الأشياء البيضاء المستوية والطرية الملمس يجب ألا تخذلها الأيدي ، أو تلوثها النعال ، لكن هذا الإحساس ما يلبث أن يتلاشى حين تبدأ أول يد بتمزيق هذا الاستواء الإسفنجي الهش ، وهكذا تبدأ الحرب خافتة في أول الأمر ، ثم تشتد رويداً رويداً ، تبدأ أولاً بين الصغار ثم تمتد إلى الشبان والفتيات وما تلبث حماها أن تصل إلى الكبار ، فالرجال تستهزئهم النساء على السطوح المجاورة فيصبحن هدفاً للكرات البيضاء المضغوطة جبداً والفتيات يجدن متعة فائقة في التضارب مع الشبان الذين يتجمعون في الساحات والشوارع .

ولكن الحماس المتوهج ما يلبث أن يفتر فيلبس الناس نداء الدفء والطعام .

* * *

ربما كان صابر هو الأقل حظاً في الاستمتاع ببهجة الثلج خلال الساعات الأولى من صبيحة هذا اليوم ، فكل أولاد الحي عاشوا دوغاً شك هذه المتعة البكر ، بعضهم تدرج فوق الثلج وبعضهم حمله في جيوبه كرات صلبة كأنها الحجارة وبعضهم أغراه بياضه وهشاشته فراح يلتمه بشراة . ولكن معظم هؤلاء حين انسلوا إلى بيوتهم بعد أن أنهكهم اللعب والجوع والصقيع كان في انتظارهم الدفء والموائد الشهية ، معظمهم وجد ملابس أخرى بدلاً من ملابسه المبتلة ، أما صابر فكان أقلهم حظاً من كل النواحي فلا ملابس أخرى غير مبتلة ولا مائدة زاهرة على قدر هذا الجوع والجهد . إلا أنه لم يكن الوحيد الذي نام ليلة الثلج الأولى في ظلمة مطبقة حين لم يستطع بياض الثلج الناصع أن يكون بديلاً للكهرباء .

ومع ذلك فلم يحزن صابر كثيراً فقد كانت البيوت كلها تغطس في الظلام . ولم يحزن صابر حين راح أهل الحي يتحدثون عن انقطاع الاتصال الهاتفي مع المدينة ، فهو آخر من يعنيه مثل هذا الاتصال كما لم يحزن صابر كثيراً حين بقيت الطرق مغلقة حتى طوال اليوم التالي فـما الذي يعنيه من هذه الطرق حتى ولو ظلت مغلقة سنة بكاملها ولم يحزن صابر حين ظلت البقالات الكبيرة موصدة لأن أصحابها لم يتمكنوا من الوصول إليها ، فليست لدى والدته أية نقود يمكن أن تشتري بها شيئاً من البقالات الكبيرة أو حتى البقالات الصغيرة .

ولم يحزن صابر لأن والدته لم تجد ما تقدمه له من طعام في اليوم التالي غير لقمة من الخبز وقليل من الأرز ، فهو يعلم أن أطفالاً آخرين في أحياء أخرى فقيرة قد لا يجدون تلك اللقمة من الخبز .

لم يحزن صابر لكل ذلك ، لكنه حزن بشدة حين تبين له أن مدينته الكبيرة عجزت تماماً عن الاحتفاء بالثلج كما عجزت عن الاحتفاظ ، ولو ليوم واحد صغير ، بتلك الفرحة الغامرة التي يبعثها الثلج في العيون حين تطل صباحاً من النوافذ فإذا الأرض كلها امتداد ناصع مشرق وزهرة بياض مفعمة بالنظافة .



بمناسبة
عيد الأضحى المبارك

وطيب شركة أرامكو أن تنفرد بأسمى التهاني وأطيب الدعوات في

العيد المبارك بخالد بن عبدالعزيز العزمي المقدم

وصاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبدالعزيز العزمي ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء

وصاحب السمو الملكي الأمير عبدالعزيز بن عبد العزيز النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ونائب الأمين الوطني

وحكومة المملكة العربية السعودية الرشيدة والشعب العربي السعودي الكريم

أعاده الله على الجميع باليمن والبركات.

أرامكو





لا بد أن تشكو.. لا بد أن تحكي ..

تقلبتي على الفراش بجسدي المنك، لعله يكلمها ..
انتظرت لحظات .. نادته في الظلام بصوت منخفض .. لم تسمع رداً غير هدير أنفاسه الخافت ..

منذ لحظات طويلة وهي تراود نفسها أن تحدثه .. كانت السيجارة متوهجة في يده وهو راقد بجوارها .. كعادته سحب أنفاسها الأخيرة في سرعة وأطفأها لينام .. كانت لا تزال مترددة .. وكانت تبحث أيضاً عن كلمة تبدأ بها شكواها .. بل كانت تبحث عن كلمات لا تضايقه ..

ليست تدري لماذا الليلة شرعت تفكر أن تسمعه شكواها .. ربما لأنه ساعة العشاء نظر إلى يدها المربوطة بخرقه نظيفة، وسأل ماذا بها ..

ألمها بعض الشيء أنه لم يلحظ ذلك ساعة الغداء .. حولت عن وجهه نظرة عتاب فاضت بها عيناها .. عزت عليها نفسها .. لكنها ردت مهونة :

— «لا شيء .. حرق بسيط» ..
دون أن يسأل ما سببه رشف من كوب الشاي .. وأوصاها أن تدهن بمرهم الحروق :
— هل نسيت ؟
خف ألمها :

— لقد دهنت بالفعل ..
لم تنبه إلى أن أنبوبة المرهم فرغت من زمن .. وأنه لم يحضر غيرها ...
طيب هو ... أبيض قلبه كاللبن — لكن لو أنه سأل ماذا أحرق يدها .. كانت تود أن يعرف أنه الموقد القديم عندما حاولت معالجته ، فانقلب الزيت المغلي بإنائه على يدها ..
بدأت تسمع غطيظه الهادئ . وخزها الندم لأنها لم تتكلم قبل أن ينام ..
شعرت بالتعب يتزايد وينبض في كل أجزاء جسدها ..

ودت لو يواتها النوم عاجلاً لتستريح من عناء النهار الذي نحسه ، لكثرة ما تتعب ، طويلاً ممتداً بلا نهاية .

من ساعة أن تصحو حتى تضع جنبها على الفراش ، وهي واقفة على كعبي قدميها .. لا تعرف الجلوس للحظة ، ولا تملك من وقتها إلا ما تعطيه للبيت الذي لا تفرغ مشاغله .

لا بد أن تحكي .. لا بد أن تشكو .. لكنها لن يمكنها الكلام بعد أن راح في النوم ..
تمنت لو أن أمها لا تزال في الدنيا الآن .. لترى إلى أي حد تتعب في هذا البيت .

تخيلتها تطل عليها بروحها .. دائماً كانت تقول لها إن أرواح الموق الذين يجيئوننا نحوم حولنا ، لترى حالنا دون أن نراها .

على أية حال سوف تنتظر حتى الغد .. لكن ترى هل نسيت ؟ .. الولد ينتظر كرب الشاي ليعينه على المذاكرة .. وأيضاً يجب أن تطمئن على البنين في نومهما ، وتحكم حولهما الغطاء ، إلى أن تنهض مرات أثناء الليل لتعيد ما فعلت ..
صحت في الصباح قبل أن يفتح أحد في البيت عينيه ..

أيقظت الأولاد وأسرعت لتضع إبريق الشاي على الموقد .. ولتسمع من لحظة لأخرى طرقه بائع اللبن على الباب .. وتعود فتهرول إلى حجرة الأولاد لتعيد إيقاظ من لا يزال يتنام وتحمه على الإسراع ..
انتهت من إعداد الشاي فأيقظت زوجها .. وعادت لتجهز طعام الفطور ..

تركت ما بيدها وجرت إلى البنت لتسكت صراخها ، وتعيد إليها شريط الشعر الحريري الذي اغتصبتة أختها .. مشطت للأخرى شعرها في الهوجة .. وانزلقت من يدها المتعجلة زجاجة الزيت وهي تدهن شعر البنت فانكسرت .. ليس الآن ، يمكنها أن تكس شطايا الزجاج .. تعجلت خروج الأولاد بعد أن حذرهم من المشي على أرضية الحجر بأقدام حافية .. وانفلتت إلى المطبخ .

ملاً أذنيها تصايح البنين على شطائر الفول والجبن لتلحقان موعده المدرسة ، سمعت شجارهما من أجل كراسة أخفتها إحداها .

وزعيق الولد الذي يبحث عن كتاب ضائع ..
وكاد اللبن يفور على النار وهي مشغولة بتقطيع
الحبز .. وخز طرف السكين إصبعها
فأرجعها .

خلا البيت ووجدت نفسها وحدها
ككل يوم .

تطلعت إلى الأطباق التي تملأ الحوض في
انتظار غسلها .. ربما وجدت ضرورة لمسح
أرضية الشقة ، بعد أن تنفض التراب عن
الشبايك التي أرجأها أمس .. وفي انتظارها
رتق جوربين لزوجها ، وقصص الولد .. وعلبها
غسل (مريلة) البنت الصغيرة المبقعة بالحبر ،

وبعض المناديل .. يجب بعدها أن تبدأ طبخة
اليوم من السمك الذي لا يشبع منه الأولاد ،
ليجدوا الغداء في انتظارهم .. هذا إذا لم
تبدله بالحشو الذي طلبه زوجها أول أمس ،
والذي يستغرق منها ساعات طويلة .

كم تتعب .. وكم هي مشغولة
دائماً ..

في المساء شكوا زوجها من أحد جنبيه
فانزعجت ..

راحت تعمل بهمة وتتعجل نفسها
للفراغ مما وراءها ..

ولزمت جوار السرير الذي يرقد عليه ، بعد
أن أوصت الأولاد بالهدوء لراحة أبيهم ..
استغنى زوجها عن سيجارة ما قبل
النوم .. فلم تر في الظلام طرفها المشتعل .
ونسيت أحداث يومها .. وتوارت في
أعماقها الرغبة في الشكوى ..
فقط راحت تتسمع أنفاسه لتطمئن
نفسها أنه سينام جيداً .. كما تود ..
وأنه يخير ..



كان رئيس الجامعة الفنية في المدرسة والجامعة ، نال من أساتذته الكثير من التشجيع والتقدير والحب ، وكانوا يتنبأون له بمكانة مرموقة في عالم الفن . . بل إن أحدهم وصل به الحماس إلى القول بأنه سيكون صاحب مدرسة في الرسم ، ومذهب في الفن يتناوله النقاد بالدرس والتفسير ، وتتناقله أجهزة الإعلام إلى كافة أرجاء المعمورة إعجاباً وتقديراً .

على أن سر إعجاب أساتذته بمواضيع لوحاته وخطوطها وظلالها هو أنه كان فناناً عميق الإدراك مرهف الحس . ولم تكن لوحاته إنفعالاتاً بشطحات فنية طارئة أو تقليداً لخطوط رسام كبير ، أو مجرد خطوط تنغمس في الألوان ، لا تقول غير ما يضيفه لون بجوار لون من إحساس . . كانت كل لوحة يرسمها إنما يخاطب بها أخص ما تختلج به نفوس الناس . لها من حادث اهتزت له البلاد ، أو خير الفعل به المجتمع إلا وخفقت ريشته بلوحة تفهمها العامة وتناقشها الخاصة .

وعندما تخرج في كلية الفنون الجميلة ، زكاه أساتذته وألحوا في توظيفه مهندساً للديكور في هيئة المسرح ، كي يظل على اتصال مباشر بما يثير في نفسه طاقة الإبداع ونزعة التجديد وسهولة الانتشار . هنا استراح أساتذته وطاب بالهم . . وكانهم إنما يناضلون في سبيل هدف لن تستقيم حياة الفن بدون تحقيقه .

وتفاءل صديقنا بالمستقبل خيراً ، وأحس بأبواب المجد وقد انفتحت أمامه رحبة فسيحة ، وبأن مجتمع الفن في البلد قد بسط يديه له مرحباً ، وما عليه إلا أن يخطو . . فالطريق أمامه مهيأة ، مفروشة بالورود .

لكن مسألة أخرى كانت تواجهه وتلح في طلب الحل . . كان يحب جارة له من أيام الدراسة الثانوية ، وكان يحلم معها بالمستقبل ، وهي تشاركه شهرته ومجده وكفاحه ونجاحه

— دعنا من أحلام المجد والشهرة . . العمل والنجاح والانتشار ليست مشاكل تعترض طريقنا لكي نعمل ، لا بد أن يكون عندك بيت نعمل فيه . . لا تنسى حياة الضيق والملل في بيت أهلك . . شقة ضيقة وأولاد كثيرون ، أب وأم أعطيا كل ما عندهما . . وليس من العدل الإلحاح عليها بما هو أكثر . . وإذا لم تستطع تقديم العون لها فلا أقل من أن تعفيها من أعبائك .

● وما العمل ؟

— النقود هي العمل والشاغل والهدف .

● ولكن

— تظلمي لو ظننت أنني أفصيك عن أمالك . . ها هي ورقة وقلم . . أحسب بالأرقام كم نحتاج من نقود نشترى بها ورقاً وأفلاماً واللوان . . كم من نقود نحتاج لشراء « الشبكة » عندما تخطبني من أهلي ، أم ترانا سنظل حبيبين يغشيان الحدائق ويتجولان في الشوارع ، وعند



الجيب مقعم الثقة بالنفس إلى حبيبته يخطبها .

★ ★ ★

ومرت السنون ، وأنجب منها ثلاثة أولاد وبنات ، ثم استأجر شقة كبيرة جديدة وجهزها بأفخر الأثاث ، واستعد لحجز سيارة جديدة .

وذات يوم جلس إلى مكتبه يتصفح الجرائد اليومية ، فوقع بصره على مقال نقدي يشغل حيزاً كبيراً من صفحة الأدب والفن ، وعلى رأسها عنوان على ستة أعمدة يقول : « حسين منصور .. وخطوة جسورة على الطريق » .. وفي السطر التالي عنوان آخر بحروف كبيرة : « .. وداعاً للأشجار والأنهار والتلال ، ومرحباً برسوم الفلاحين والعمال » .

انسكبت القهوة على ثيابه دون أن يدري ، وأفاق على لسعة الحرارة في فخذه .. ضغط على زر الجرس بعنف وعصبية ، وأرسل « الساعي » يطلب أحد مرؤوسيه ، زميله أيام الدراسة وخريج دفعته .

● أرايت جرائد اليوم يا وائل ؟

— تقصد حسين منصور ؟ لقد سعدت جداً بهذا الخبر ، وكنت قد رأيت له أكثر من معرض خلال السنوات الماضية .. ألا تذهب معي اليوم لمشاهدة المعرض وتهنئة حسين ؟

● طبعاً ، طبعاً .

لم يدر ماذا قال بعد هذه الكلمة ، ولا يذكر متى انصرف وائل من أمامه ، ولا أي حوار دار بينهما بعد ذلك .

إن مجرد تخرج حسين في الكلية يعتبر خبراً صعب التصديق . كان أساتذته يكتونه دائماً بالطالب الذي « يرسم يذيل حمار » .. ولم يسمع كلمة إطراء واحدة من أحد ، وها هو اليوم يصبح اسماً يشار إليه بالبنان ، وانجأها فنياً بتحريك له النقد درساً وتفسيراً . أما هو .. فأين يقف من .. حسين ؟

وفي المساء شهد المعرض ، وشد على يد زميله مهنتاً ، وعاد إلى بيته وقد اشترى ورقاً وأقلاماً والواناً .. ومر بغرفة نومه فرأى زوجته تغط في نوم عميق ، وعلى شفيتها ابتسامة غامضة باهتة .

أغلق باب الغرفة ومضى إلى مكتبه ، ورسم لوحة جديدة .. امرأة جميلة تنطلق إلى جدار من نقود .. لها عشرون يداً عمودية ، وعشر عيون جاحظة ، وسبعة أفواه فاعرة ، ولسان كالثعبان .. وهي تمد أيديها إلى الجدار تريد أن تقتلع ما به من نقود فتقذف بها إلى أفواهها .

وفي الصباح وضع للوحة عنوان : « الزواج » وغادر بيته قبل أن تستيقظ زوجته ، تطلع إلى الطريق فوجده — على غير العادة — طويلاً ، شاقاً ، مليئاً بالمنحنيات .

المساء يعود كل منها إلى بيت أهله ؟ أنت محتاج لتقود لشراء « الشبكة » وتقود للمهر .. وتقود للشقة .. وتقود لما يقع على طالب الزواج من أعباء شراء المطبخ والتجف والسجاد .

● الدنيا ليست كلها نقود .. لا تكوني مادية إلى هذا الحد . إننا في بداية الطريق ، وأمامنا مستقبل عريض .. كل ما تحتاجه هو التفكير الهادئ والصبر

— (تقاطعه بمجدة) أرجوك كفانا حباً وصبراً .. رصيدي من حيك وقير ، والصبر بذلت لك منه الكثير ، والمسألة أننا نتطلع إلى الحياة من وجهتي نظر مختلفتين . أفق يا عزيزي .. إننا لا نزال في مجتمع يقوده رجل و « معه » امرأة وليس العكس .. كلما تقدم السن بالرجل ارتفع مركزه الاجتماعي وازداد نضجاً ونجاحاً ، فالغد عنده نجاح ومركز اجتماعي وشهرة وتقود .. أما الفتاة ، فإذا تقدمت بها السن ولم تتزوج صارت عانساً .. أليس معي في أن سنوات العمر عند الرجل خط يتصاعد ، وعند المرأة انحدر ينزل ؟ .

● هذه نظرة متشائمة .

— أوه .. ها أنت تدخل بي في مناقشة لا نهاية لها .. اسمع ! .. أنت تقول بأن المواقف الهامة في حياة الإنسان تدعمها التصرفات الجادة .. هذا رأيك . أما موقتي فأوجزه لك في كلمات محدودة قليلة .. إنني أحبك ، وسأظل على حيك . فإذا كنت تريدني زوجة فأنت تعلم الطريق إلى بيت أهلي .. ولكن تذكر .. لو جئت تطلب يدي فإن قبولك زوجاً لي مرهون بمناقشة الأرقام ..

وانصرف بلا وداع .

أمسك ورقة وقلماً ، وأمضى مع الأرقام أياماً وليال ، خرج بعدها إلى أساتذته وأصدقائه راجياً إياهم العدول عن ترشيحه لهيئة المرح ، والبحث له عن عمل يتقاضى منه أجراً مرتفعاً ، يجد فيه الكثير من فرص الأجر الإضافي والخوافز والمكافآت والأرباح . وأذعن الأساتذة لإحاحه ورشحوه للعمل بإحدى شركات التنقيب عن البترول .

وهناك ، كان العمل يستهلك معظم ساعات يومه ، وكان يضطر — في أحيان كثيرة — إلى السفر إلى مواقع العمل في الصحراء الغربية . في بادئ الأمر كان يرجوهم إرساله إلى هناك طلباً لبدل السفر وأجور الانتقال وأملاً في المزيد من المكافآت والخوافز ، وبعد ذلك اعتادوا عليه وأدمنوا وجوده وعمله بيتهم ، وصار مكلفاً بكل مهمة عمل إلى هناك ، فسعدوا به وكانت سعادته بهم غامرة .

ولم يمض وقت طويل حتى كان اسمه على كل لسان ، ونشاطه يغطي مساحة كبيرة من خريطة العمل ، وفرشحه مديروه لرئاسة العلاقات العامة بالشركة ، وارتفع راتبه ، وازداد حجم مدخراته ، وأقبل مليء

ميتسوبيشي اليكترونيك

اسم يستحق ثقتكم في مجال التبريد

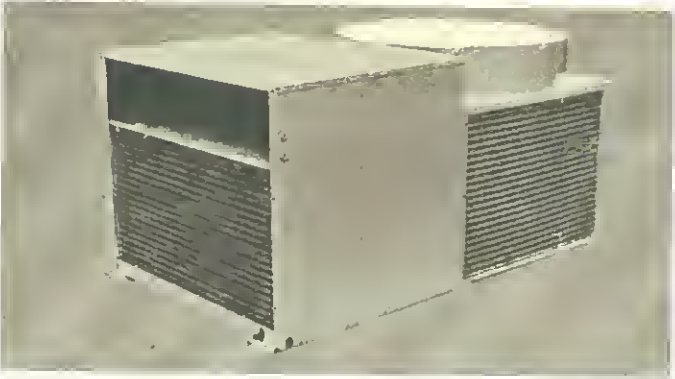


وبجانب وحدات الشبابيك المألوفة

نحن نقدم مجموعة من :-

الأجهزة الصامتة ذات القطعتين وأجهزة التكيف المركزي

وكلها تمتاز بكفاءة عالية - أسعار منافسة - خدمة تامة وضمان شامل



للمعلومات إتصلوا ب: وكالة ميتسوبيشي اليكترونيك

الشركة السعودية للإلكترونيات

الرياض : ب ٣٩١٩٢ - ص.ب ٦٢١٤ عمارة الرصيص الجنوبية - شارع الملك فيصل
جدة : ب ٢٦٨٥٨ - ص.ب ٦٥٩٢ عمارة البنك الأهلي - طريق مكة - كياح (١)
الدمشق : ب ٢٨٣٤٤ - ص.ب ٢٨٤٠ الشارع ١٥ من الشارع العام - خلف سوق السمك





كثيراً ما نسمع شبابنا وشاباتنا يتمنون أن يصبحوا أطباء
بعد إنهاء دراستهم الثانوية ويلتحقوا بالجامعة لدراسة الطب .
بعضهم يحقق أمنيته فيصبح طبيباً ، وبعضهم ينصرف إلى
صناعة أخرى غير الطب . ولو سألت أحدهم عن سر رغبته في
أن يكون طبيباً لأجاب دون تردد ، جواب العارف الحكيم :
«لأساعد الناس وأخلصهم من آلامهم بالقضاء على
المرض ...»

أخلاق الطبيب

بقلم : جاسر أبو صافية

تذكرت أيام كان الناس من كل أرجاء الدنيا يأتون إلى
بلاد المسلمين ليتعلموا الطب بأخلاقياته من الأطباء
المسلمين . يومها كان للطب أخلاق يتقيد بها الطبيب ومن شذَّ يحرم
من ممارسة صناعة الطب ... قرأت عنهم أن نقابة الأطباء تشترط على
الطبيب أن يكتب وصفته الطبية من نسختين ، تبقى إحداها عنده في
ملف المريض لدراسة الوصفة في حالة حدوث مضاعفات أو موت
للمريض ، فإذا ثبت دقة الوصفة وملاءمتها لحالة المريض فلا لوم على
الطبيب ، وإذا ثبت عكس ذلك عوقب الطبيب ومنع من ممارسة الطب .
وكم كانت فرحتي كبيرة عندما وقع في يدي كتيب صغير رأيته في
عيادة طبيب صديق ممن من الله عليهم فحافظوا على أخلاقهم الدينية
والطبية ، فاستعرنه منه وقرأته وأحببت أن أعزف القراء به فكان هذا
المقال .

★ ★ ★

فإذا ما وصل إلى غايته وأصبح طبيباً يمتلك سيارة فاخرة ، وعبادة
فخمة وملابس ثمينة ، سرعان ما ينسى بعضهم ما نذر نفسه له من
مساعدة الآخرين ، ويدخل في سباق مع زملائه في اكتساب الزبائن وتنمية
الثروة ؛ ليكون له مكان في المجتمع ناسياً ، أو متناسياً ، كل أخلاقيات
الطب في سبيل تحقيق غرضه المادي ، وأن الطب رسالة سامية إنسانية
قبل أن يكون مهنة لتحقيق النفع .

هذه الظاهرة يمتثل بها مجتمعنا العربي اليوم ، وقليل من الأطباء من
وفقههم الله فحافظوا على أخلاقيات الطب وأثروا علمهم ، وظلوا على
اتصال وثيق بمصادر المعرفة الطبية وتقدم العلوم بمختلف أنواعها ، ولم
يكتفوا بلوحة نحاسية كتب عليها : « الدكتور فلان بن علان ، خريج
جامعة كذا ، بتقدير كذا ، والحائز على شهادة كذا وكذا وكذا ... »
تذكرت هذا وأنا أشرح لأحدهم أعراض مرض آل بي ، فوجدته غير
مهم لما أقول ، يهر رأسه بمركبة مسرحية دلالة على أنه يفهم ما أقول
ويشجعني على الاستمرار . وبعد الروتين المتبع أخرجت ورقة نقدية كبيرة
لأقدمها له ، فخطفها من يدي خطفاً ، فتبسمت ضاحكاً من فعلته ،
وقفزت إلى ذهني صورة الرازي ، وابن سينا وابن زهر وغيرهم من
أطباء المسلمين وعلماهم ...



الكتيب كان بعنوان : « أخلاق الطبيب » .

وهو عبارة عن رسالة موجهة من أبي بكر الرازي إلى بعض تلاميذه . وقد حقق هذه الرسالة وقدم لها الدكتور عبد اللطيف محمد العبد ، جزاء الله كل خير بإخراج هذا الكتاب . وقد رجعت إلى ما كتبه بروكلمان في كتابه « تاريخ آداب اللغة العربية » عن مؤلفات الرازي ، فلم أجد ذكراً لهذه الرسالة ، وأشار الدكتور عبد اللطيف أنها من مخطوطات دار الكتب المصرية ، كتبت عام ١١١١ هـ ، نقلاً عن أصل خط الرازي .

الركائز التي تقوم عليها أخلاق الطبيب

وتدور الرسالة من أولها إلى آخرها حول عدة ركائز تتعلق بأخلاق الطبيب وسلوكه الشخصي والمهني وكيفية المعالجة . وفيما يلي نعرض بإيجاز أهم هذه الركائز .

١ - أن يصون الطبيب نفسه عن الاشتغال باللهو والطرب ؛ لأن مهنة الطب مهنة جادة ، واللهو والطرب من الأشياء التي تصرف الإنسان عن الجد والواقع ، وتجعله يعيش في جو حالم بعيداً عن آلام الناس ، ولا يلبق بالطبيب أن يكون أضحوكة أمام الناس إذا هُما أو طرب ؛ لأن اللهو والطرب يخرجان الإنسان عن طوره .

كما نهى الرازي تلميذه عن السكر ؛ لأنه يذهب العقل والوقار ، فلا يدري الطبيب ما علة المريض وما هو الدواء النافع له ، كما لا يستطيع الطبيب السكران أن يجري عملية جراحية لما قد يترتب عليها من

نتائج خطيرة نتيجة السكر .

٢ - علاقة الطبيب بالمرضى : يقول الرازي : « واعلم يا بني أنه ينبغي للطبيب أن يكون رفيقاً بالناس ، حافظاً لغيبيهم ، كتوماً لأسرارهم » . (ص ٢٧) .

فعامله الناس بالرفق من قبل الطبيب يعطيهم أماناً وراحة نفسية لا يقدرها إلا من يحس بها من المرضى . كما أن حفظ أسرار المرضى يجعل الطبيب محل ثقة المريض ، ويساعده في معرفة الداء وأسبابه ووصف العلاج الناجع له ؛ لأن المريض يوح بكل ما عنده لطيبه لعل ذلك يخفف عنه الألم ويشعر براحة نفسية إذ يحدث طبيبه بمشاكله وآلامه .

٣ - غضن الطرف : ينصر الفقه الإسلامي على أن نعالج المرأة المسلمة عند طبيبة مسلمة ، فإن تعذر ذلك ، فلا مانع أن يكون الطبيب رجلاً ، شرط أن يكون مسلماً متصفاً بصفات المسلم من غضن للبصر وغيره . وهذا ما أكد عليه الرازي فقال بالنص : « على الطبيب أن يكون مخلصاً لله ، وأن يغضن طرفه عن النسوة ذوات الحسنى والجمال . وأن يتجنب لمس شيء من أبدانهن ، وإذا أراد علاجهن أن يقصد الموضع الذي فيه معنى علاجه ويترك إجماله عينيه إلى سائر بدنهن » (ص ٢٩) .

٤ - ألا يكون متكبراً على الناس ، مما يجعل المرضى ينفرون منه ويكرهونه .

٥ - ومن ذلك أيضاً ألا يداخله « العجب بالنفس » وأن يكون متواضعاً ؛ لأن العجب بالنفس آفة تقتل صاحبها أيأ كان نوعه وعلمه .



★ ابن زهر ★

والخالة النفسية والصحية التي كان عليها المريض قبل مرضه ، ماذا فعل .
ماذا أكل أو شرب ، كيف ينام . وقياس النبض قبل وبعد المرض .

٩ - ويهم الرازي بدراسة نفسية المريض وعاداته وخاصة في الأكل لمعرفة نوع الطعام الذي يحبه ودراسته ؛ لما لنوع الطعام من علاقة مباشرة أو بعيدة بالمرض ، وبعد دراسة الطعام يوصي الطبيب بغذاء معين يحبه المريض ، لكن حسب مواصفات طبية وتحت إشراف الطبيب .

١٠ - المساواة بين المرضى في العلاج : من النصائح الثمينة التي يقدمها الرازي لتلاميذه الأطباء ألا يميزوا بين الفقير والغني في العلاج - كما هو حاصل اليوم - لما لذلك من تأثير سيء على نفسية المريض الفقير ، ونزع للثقة بينه وبين طبيبه . وقد كان الرازي خير مثال يحتذى لطلابه في هذا ، فقد كان يجري على الفقراء الجرايات الواسعة .

١١ - متابعة العلاج وعدم التجربة في المريض : ينصح الرازي تلاميذه الأطباء بعدم الاكتفاء بوصف الدواء للمريض بل بملازمة المريض بعد إعطائه الدواء والإشراف التام عليه ومتابعة سير الدواء ، فلعل له بعض التأثيرات الجانبية التي تظهر بعد فترة من تناول الدواء فيقتضي وجود الطبيب لعلاجها في حينها .

ومن هنا جاء نهى الرازي عن التجربة في المريض ، فالمرضى ليس حقاً للتجارب - كما يفعل الكثير اليوم - بل على الطبيب أن يشخص المرض بدقة ليصف العلاج الناجع .

قصة طبيب

هذه أهم النصائح التي وجهها الرازي في رسالته إلى تلميذه الطبيب وإلى كل طبيب قديماً وحديثاً لعلها تنفع من يريد النفع . وفي ختام هذه المقالة أود أن أشير إلى قصة تبين مدى الخلق الذي كان يتحلى به الأطباء المسلمون ، أسوقها للعبرة دون تعليق :

استدعى أحد الأمراء طبيباً ليطببه في قصره ، فرفض الطبيب الذهاب ، فاضطر الأمير إلى الحضور بنفسه إلى بيت الطبيب حيث نزل ضيفاً عنده ، ولما تم شفاؤه وأراد الرجوع إلى بلده عرض على الطبيب مالا مقابل العلاج ، فرفض الطبيب وقال : لا آخذ على علاج ضيفي شيئاً . فشكره الأمير ورحل . وبعد أن استقر به المقام في بلده أرسل إلى الطبيب هدية مع الوزير . فرفض الطبيب قبولها أيضاً . فقال له الوزير : وما يدري الأمير أنك رفضت قبول الهدية ؟ آخذها أنا وأخبره أنك آخذتها ؟ قال الطبيب قولته المشهورة : « يكفي أنني أعلم أنني رفضتها » .

قال الرازي : « رأيت المتطبين من إذا عالج مريضاً شديداً المرض فبرأ على يديه ، دخله عند ذلك عجب وكان كلامه كلام الجبارين » (ص ٣٨) .

ولذلك يوصي الرازي تلاميذه بالتواضع ؛ لأن « التواضع في هذه الصناعة زينة وجمال ، دون صنعة النفس ، لكن يتواضع بحسن اللفظ وجيد الكلام ولينته وترك الفظاظ والغلظة على الناس » (ص ٨٤) .

٦ - التوكل على الله في العلاج : بعض الأطباء قديماً وحديثاً يعتقدون أنهم بعلمهم يستطيعون شفاء المرضى وعمل المعجزات ، ناسين أن الشفاء بيد الله وحده ، وإنما الصيب وسيلة الله - سبحانه وتعالى - للشفاء ، وذلك انطلاقاً من قوله تعالى على لسان سيدنا إبراهيم - عليه السلام - : « وإذا مرضت فهو يشفين » (الشعراء آية ٨٠) . وينصح الرازي الأطباء بالتوكل على الله وتوقع البرء منه لا من قوة الطبيب وعلمه وعمله « فإذا فعل بضد ذلك ونظر إلى نفسه وقوته في الصناعة وحذقه حرمه الله البرء » (ص ٣٨ - ٣٩) .

٧ - استمرار التعلم : وذلك بالمواظبة على تصفح الكتب الطبية والعلمية ، فلعل يسأل عن شيء فيعرف الإجابة عنه ، وكمن من طبيب يكتفي بمحصله على إجازة الطب ويهمل بعدها متابعة الدراسة وتطور العلوم الطبية فيخسر نفسه ويخسر المريض أيضاً .

٨ - دراسة عامة لحال المريض في الصحة والمرض ليستسنى للطبيب دراسة الظاهرة المرضية منذ بدايتها وقبل أن تظهر ، وما مسبباتها

مناسك الحج

الإحرام :

من أنواع الإحرام : الإفراد ، والقران ، والتمتع .

(فالإفراد) : أن يحرم من يريد الحج من الميقات بالحج وحده ، ويقول في التلبية : «لبيك بحج» ، ويبقى محرماً حتى تنتهي أعمال الحج ، ويعتمر بعد ذلك إن شاء . وفي هذه الحالة ليس عليه ذبحة .

(والتمتع) : سُمي بذلك لالتفاف بأداء النسك في أشهر الحج ، ولأن المحرم يتمتع بالتحلل من الإحرام بلبس الثياب والتطيب وغير ذلك ، وكيفيته أن يحرم من الميقات بالعمرة وحدها ، ويقول عند التلبية : «لبيك بعمرة» . وهذا يقتضي البقاء محرماً حتى يصل إلى مكة ، ويطوف البيت ، ويسعى بين الصفا والمروة ، ثم يخلق أو يقصر ، ثم يتحلل ، فيخلع ثياب الإحرام ، ويلبس ثيابه المعتادة إلى أن يجيء يوم التروية يوم الثامن من ذي الحجة ، فيحرم من مكة بالحج . وفي هذه الحالة عليه هدي (ذبح ذبيحة لفقراء الحرم) ، أما غيره فلا يلزمه ذبح شيء . يقول الله عز وجل : ﴿فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعِمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتَ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ . والتمتع أفضل من القران ومن الإفراد لأنه أقرب إلى البسر ، وهو الذي عناه رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه ، وأمر به أصحابه .

أما (القران) فهو أن يحرم من عند الميقات بالحج والعمرة معاً ، ويقول في التلبية : «لبيك بحج وعمرة» . وهذا يقتضي بقاء المحرم محرماً إلى أن يفرغ من أعمال العمرة والحج جميعاً ، وكفيه في هذه الحالة طواف واحد وسعي واحد للحج والعمرة مثل المفرد . روى مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة : «طوافك بالبيت وبين الصفا والمروة يكفيك لحجك وعمرتك» . وذهب أبو حنيفة إلى أن لا بد من طوافين وسعين .

بثر زمزم :

بعد الطواف وبعد التوجه إلى مقام إبراهيم عليه السلام ، وصلاة ركعتين

سنة الطواف ، يذهب الحاج إلى بئر زمزم ، ويشرب منها هنيئاً ، فإن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : «ماء زمزم لما شرب له» ، إن شربته تستشفى شفاك الله ، وإن شربته لشبعك أثبعتك الله ، وإن شربته لقطع ظمئك قطعه الله .

أما الشراب فيستحب أن يكون على ثلاثة أنفاس ، وأن تستقبل به القبلة وتحمد الله وتدعو وتقول : «اللهم إني أسألك علماً نافعاً ، ورزقاً واسعاً ، وشفاءً من كل داء وسقم» .

التلبية :

بعد أن ينوي الحاج الإحرام يبدأ التلبية فيقول : «لبيك اللهم لبيك . لبيك لا شريك لك لبيك .. إن الحمد والنعمة لك والمملك .. لا شريك لك .. لبيك إله الخلق لبيك .. غفار الذنوب لبيك .. لبيك وسعديك .. والخير كله بيدك .. لبيك اللهم لبيك .. لا شريك لك لبيك .. إن الحمد والنعمة لك والمملك .. لا شريك لك .. لبى لك عبدك وابن عبدك .. لبيك وسعديك .. والخيرات والبركات كلها بين يديك» .

ثنية كداء :

وتعرف بالثنية العليا ، وعلى الحاج أن يدخل مكة منها ، فقد دخلها النبي صلى الله عليه وسلم من جهة المعلاة (وهي مقبرة أهل مكة) ، فمن تيسر له ذلك فعليه وإلا فعل ما يلائم حاله .

الجمار :

إذا ارتفعت الشمس من اليوم العاشر من ذي الحجة ، يتوجه الحاج إلى

منطقة الجمار لرمي جمرة العقبة قبل الزوال ، وعلى يمين مستقبل القبلة في الجادة ، ويستحب أن يقف الحاج عند الجمرة جاعلاً مكة عن يساره مستقبلاً الجمرة بوجهه ما لا يقل عن مترين . ويأخذ الحصى بطرفي إبهام وسبابة يده ويرميها بحيث تقع الحصى عند الجمرة أو قريباً منها وهو يقول : « الله أكبر » ، ويرمي الحصى الثانية ، وهكذا حتى يرمي سبعا .

ورمي الجمار ذكر لانتصار إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام على الشيطان حين أراد أن ينهي الوالد عن أمر ربه ، يغرز بإسماعيل حتى لا يستجيب لأبيه .



الحج :

روى النسائي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « جهاد الكبير والضعيف والمرأة الحج والعمرة » . وقد نُفِضَ الحج في العمر مرة واحدة لقول الله عز وجل : ﴿ والله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً ﴾ ، وقول رسوله الكريم : « يا أيها الناس قد نُفِضَ عليكم الحج فحجوا » ، قيل : فقال رجل : أكل عام يا رسول الله ، فسكت صلى الله عليه وسلم حتى قالها ثلاثاً . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لو قلت نعم لوجب ولما استطعتم » .

والحج عبادة الله تعالى بزيارة بقاع مخصوصة هي مكة وعرفة والمزدلفة ومعنى ، بأفعال مخصوصة هي الإحرام والطواف والسعي والوقوف بعرفة ورمي الجمار ، والخلق أو التقصير ، وغير ذلك ، في أيام معلومات . قال تعالى : ﴿ وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بي شيئاً وطهرت بيته للطائفين والقائمين والركع السجود . وأذن في الناس بالحج ياتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق . ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير . ثم ليقتضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق . ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور ﴾ .

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من حج فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه » ، وعنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « الحجج والعمرار وفد الله إن دعوه أجابهم وإن استغفروا غفر لهم » .



النسب :

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن امرأة من جهينة جاءت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت : إن أمي نذرت أن تحج ، ولم تحج حتى ماتت ، أفأحج عنها ؟ قال : « نعم ، حجني عنها ، أرايت لو كان على أمك دين أكنت قاضيته ؟ اقضوا الله ، فالله أحق بالوفاء » .

وعن الفضل بن عباس أن امرأة من خثعم قالت : يا رسول الله ، إن فريضة الله على عباده في الحج ، أدركت أبي شيخاً كبيراً لا يستطيع أن يثبت على الراحلة ، أفأحج عنه ؟ قال : « نعم » . فمن استطاع السبيل إلى الحج ، ثم عجز عنه بمرض أو شيخوخة لزمه إحجاج غيره عنه ، لأنه ليس من الحج بنفسه لعجزه ، فينوب عنه غيره ، وفي الحديث دليل على أن المرأة يجوز لها أن تحج عن الرجل ، والرجل يجوز له أن يحج عن المرأة . وإذا عوفي المريض بعد أن حج عنه نالبه فإنه يسقط الفرض عنه ، ولا تلزمه الإعادة وإلا تفضي إلى جانب حجتين . ويشترط فيمن يحج عن غيره أن يكون قد سبق له الحج عن نفسه لما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أن الرسول صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يقول : لبيك عن شبرمة ، فقال : « أحججت عن نفسك ؟ » قال : لا . قال : « فحج عن نفسك ، ثم حج عن شبرمة » .



الذبح :

قال الله تعالى في شأنه : ﴿ وآتسوا الحج والعمرة لله فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ﴾ .

يذهب الحاج إلى المنحدر بعد رمي الجمار ، ويشتري الهدي ويذبحه بيده إن استطاع ، وإلا فيجد جزار . والهدي واجب عليه في حالتي التمتع والقران ، وغير واجب في حالة الأفراد بالحج أو بالعمرة ، وواجب على من ترك واجباً من واجبات الحج ، والهدي هو ما يهدي من النعم تقرباً إلى الله عز وجل ، وهو تخليد للفداء ، حيث نجي الله إسماعيل من الذبح .

والهدي لا يكون إلا من النعم وهي الإبل والبقر والغنم . ويذبح في أي موضع من الحرم ، فعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « كل منى منحراً ، وكل المزدلفة موقف ، وكل فجاج مكة طريق ، ومنحراً » . والأول بالنسبة للحاج أن يذبح بمنى ، ولا يجوز أن تعطي الجزار الأجرة من الهدي ، ولا بأس بالتصدق عليه منه .



الحجر الأسود :

بعد الطواف يقصد الحاج الحجر الأسود ، الذي يقع في الركن على يسار المشاهد إذا كان واقفاً في مواجهة الكعبة ، على ارتفاع مائة وخمسين سنتيمتراً ، مستقبلاً الحجر مائلاً بالملتزم (وهو جدار باب الكعبة) ، فإذا صار أمامه وقف بجانبه ، واستلمه بيمنه وقبله تقبلاً خفيفاً إن أمكن أو أشار إليه باليد اليمنى ، وقال وهو يقبله : « إني لأعلم أنك حجر ولو لم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك واستلمك ما استلمتك ولا قبلك ، بسم الله .. الله أكبر .. والله الحمد » .

3

المزدلفة :

بعد غروب يوم التاسع من ذي الحجة يتوجه الحاج مباشرة بأن يجعل جبل الرحمة خلف ظهره من طريق الأخشين إلى المزدلفة بالسكينة ، فيسير سيراً رقيقاً وهو يلبي ، ويذكر الله فيكبر ويهلل . والمزدلفة تبعد عن عرفة بحوالي اثني عشر كيلومتراً ، فإذا أتاها الحاج صلى المغرب ثلاث ركعات والعشاء ركعتين بأذان وإقامتين من غير تطوع بينهما (جمع تأخير) ، والمزدلفة كلها مكان للوقوف إلا وادي مُحَسَّر (بين المزدلفة ومنى) الذي يسكن فيه أشرولة . ويجمع الحاج تسعاً وأربعين حصاة قدر حبة الحمص تقريباً ، ولا بأس أن يجمع سبعين حصاة في كيس صغيرة للاحتياط ، ويحفظها معه . ويمكث بالمزدلفة حتى بعد منتصف الليل ، والأفضل أن يمكث إلى ما بعد صلاة الفجر .

لس

السَّعْي :

ويُقصد به السعي بين الصفا والمروة . وهو يذكرنا بسعي هاجر ، وهرولتها باحثة عن الماء لولدها الظام . . إسماعيل ، حتى نُسج الله سبحانه وتعالى كربتها ، وأمن غربتها ، وفجر لها زمزم .
فبعد الطواف يخرج الحاج من باب الصفا ، ويصعد مرتفع الصفا (والصفا حجر أزرق من أصل جبل أبي قبيس) ، وسيرى الكعبة ، ويتوجه إليها ، ويدعو . قال تعالى : ﴿ إِنَّ الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما ومن تطوف خيراً فإن الله شاكراً عليم ﴾ . والسعي بين الصفا والمروة سبعة أشواط (سعي الحج أو العمرة) ، ويرتفع الحاج على مرتفع الصفا ، ويقول : « الله أكبر .. الله أكبر .. الله أكبر والله الحمد » .

ش

المشعر الحرام :

قال تعالى : ﴿ فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ ، وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴾ . ورؤي عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أتى المزدلفة صلى المغرب والعشاء ، ثم اضطجع حتى طلع الفجر فصلى الفجر ، ثم ركب القصواء حتى أتى المشعر الحرام ، ولم يزل واقفاً حتى أسفر جداً ثم دفع قبل طلوع الشمس . والمشعر الحرام أو فزح تل صغير قليل الارتفاع أقيم عليه مسجد المزدلفة .

ص

التقصير والحلق :

إن كان المحرم محرماً بالعمرة وحدها تحلل بالحلق تقصير الشعر ، وبذلك يحل له كل شيء كان محرماً أو لأجل الإحرام ، وبذا يكون قد طاف طواف

القدم . وإن كان محرماً بالحج والعمرة أو بالحج وحده فلا يقصر ولا يتحلل ، ويستمر على إحرامه حتى يوم العيد .

قال تعالى : ﴿ لَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمَنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ﴾ ، وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسْكَ ﴾ . ويفضل المحلقون عن المقصرين لأن الحلق أبلغ ، وأدل على صدق النبوة في التذلل لله ، لأن المقصر يُبقي لنفسه من الزينة . والحلق أو التقصير يكون بعد الذبح إن كان مع الحاج هدي ، وإلا فيكون بعد رمي جمره العقبة يوم النحر .

ويستحب في الحلق أن يبدأ بالشق الأيمن ثم الأيسر ، والحاج مستقبل القبلة ويكبر ، وبعد الفراغ منه يصلي ، ويستحب أن يأخذ الحاج من شاربه ، ويقلم أظفاره ، وللأصابع أن يمر موسى على رأسه ، والمرأة تأخذ من مقدم رأسها غللة من أطراف شعرها . وبعد ذلك يحل للحاج ما كان محرماً عليه وهو محرم فيغتسل ، ويلبس ملابسه العادية ، ويتحلل تحللاً تاماً من الإحرام ، ويسمى ذلك بالتحلل الأصغر .

ض

الإفاضة :

بعد رمي جمره العقبة والحلق أو التقصير ، يذهب الحاج إلى البيت قبل الظهر من يوم النحر ، ليطوف طواف الإفاضة ، فيطوف سبع مرات ، ثم يصلي ركعتين ثم يشرب من ماء زمزم . ويخرج الحاج من باب الصفا ، ويسعى بين الصفا والمروة سبع مرات ، ويدعو في الطواف والسعي ، كما دعا في طواف القدوم . ولا سعي عليه إذا كان سعيه الأول عند القدوم عن الحج أو عن الحج والعمرة ، ويكتفي في هذه الحالة الطواف فقط ، ولكن يكون عليه سعي إذا كان سعيه عند القدوم عن العمرة فقط .

وطواف الإفاضة أمر به الله تعالى في قوله : ﴿ وَلِيَطُوفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ . وطواف الإفاضة ركن من أركان الحج ، وبإدائه تحلل التحلل الأكبر .

ط

الطَّوْف :

عند الطواف يأخذ الحاج الرداء من وسطه من تحت منكبه الأيمن ، ويجعل طرفه فوق كتفه الأيسر ، ويجعله في الوقت نفسه تحت إبطه الأيمن ، ويكشف كتفه اليمنى ، ويجعل الذراع الأيمن عارياً ، وسراعي شروط الطهارة الكاملة ، ويقول : « اللهم إني نويت طواف بيتك المعظم سبعة أشواط لوجهك الكريم ، طواف الحج أو العمرة أو الوداع .. اللهم يسره لي وتقبله مني .. اللهم إيماناً بك ، وتصديقاً بكتابك ، ووفاء بعهدك ، وإتباعاً لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم .. أشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله .. اللهم إني أسألك أن تقبل تسويتي ، وأن تتجاوز عن خطيئتي ، وتضع عني وزري .. الحمد لله الذي بلغني بيته الحرام الذي جعله مثابة للناس وأماناً ، وجعله هدى ومباركاً للعالمين » . ويدعو الله ما شاء ،

بها خطيئة ، فإذا وقف الحاج بعرفات بأمر الله تعالى بهم ملائكته ، يقول : « انظروا إلى عبادي أتوني شعثاً غبراً ، أشهدكم أني غفرت ذنوبهم ، وإن كانت عدد قطر السماء » .



منى :

في اليوم الثامن من ذي الحجة ، إذا كان الحاج متحلياً من إحرامه قام في الفجر فاغتسل ، وصلى الصبح ، فإذا أشرقت الشمس يحرم من جديد بالحج ، من المسجد الحرام أو المنزل الذي تنزل فيه . ويلبس الحاج الإزار والرداء ، وينوي الإحرام ويقول : « لبّيك اللهم حجاً » . ويذهب الحاج إلى منى ، وهي تبعد عن مكة سنة كيلومترات ، ويصلي هناك الظهر والعصر والمغرب والعشاء والفجر ، كل أربع ركعات يصلحها ركعتين . ولا يفوته أن يصلي في مسجد الخيف الذي صلى فيه الرسول صلى الله عليه وسلم ، ويبست في منى هذه الليلة .. ليلة التاسع من ذي الحجة . وبعد طواف الإفاضة يعود الحاج إلى منى لبيت بها ثلاث ليال ، تبتدئ من ليلة الحادي عشر من ذي الحجة ، إن لم يتعجل ، فإن تعجل بات بها ليلتين فقط ، ومنى تعجل سقط عنه رمي اليوم الثالث من الأيام الثلاثة بعد يوم العيد .



الإنفاق في الحج :

عن بريدة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « النفقة في الحج كالنفقة في سبيل الله .. الدرهم بسبعائة ضعف » أما عن جواز الاقتراض للحج فعن عبد الله بن أبي أوفى قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الرجل لم يجمع : أبستقرض للحج ؟ قال : لا . والحج يجب أن يكون من نفقة حلال ، ويجب أن يعد الحاج النفقة لكل من تلزمه نفقته إلى وقت الرجوع ، وأن يرذّ الودائع إلى أصحابها . ولقد شهدت الإنسانية في هذا الموضع من الأرض المقدسة أروع مظاهر البذل والفداء ، وأشد مواقف الاختبار والبلاء ؛ حيث ابتلى رب العالمين إبراهيم في ابنه إسماعيل ، وكان ما كان من أمر الفداء ، وإنقاذ ولد خليل الله إبراهيم .



مواقيت الحج :

للحج مقيتان : أحدهما زماني ، والآخر مكاني . فأما الميقات الزماني فهو شوال وذو القعدة وعشر من ذي الحجة . وأما الميقات المكاني فيختلف باختلاف الناس ، والناس بالنسبة له أصناف ثلاثة :

- أهل الآفاق ، وهم من كانت منازلهم خارج المواقيت الخمسة ، وهي : ذو الحليفة والجحفة وقرن المنازل ويلمم وذات عرق . فتدو الحليفة ميقات لأهل المدينة ، والجحفة ميقات لأهل الشام ، وقرن المنازل ميقات لأهل نجد ، ويلمم ميقات لأهل اليمن ، وذات عرق ميقات لأهل البصرة والكوفة .
- ومن كانت منازلهم داخل المواقيت الخمسة ، وخارج الحرم ، وميقاتهم للحج أو العمرة ديرة أهلهم .
- ومن كانوا داخل الحرم كأهل مكة ، فيمقاتهم للحج الحرم .

قال عليه الصلاة والسلام : « تفتح أبواب السماء ، وتستجاب دعوة المسلمين عند رؤية الكعبة » . ويتعين على الرجال الرمل أي الإسراع في المشي مع هز الكتفين ، ونقارب الخطو في الأشواط الثلاثة الأولى ، والمنهي في الأربعة الأشواط التالية ، على أن يكونوا متروطين ، مستوري العورة ، مضطبعين (أي جاعلين وسط الرداء تحت الكتف اليمنى ، ورد الطرفتين على الكتف اليسرى ، وتبقى الكتف اليمنى مكشوفة) . ولا رمل على النساء . وبكره الشرب في الطواف ، والوقوف والكلام في أمور الدنيا مع الغير . ولو عرض للطائف عارض يمنعه من مواصلة الأشواط ، أو أقيمت الصلاة ، فله أن يقطع الطواف لذلك ، فإذا فرغ مما عرض له بنى عليه وأكمل ، ويفضل أن يستأنفه من جديد ، ولو شك في عدد أشواط الطواف أخذ بالأقل .



محظورات الإحرام :

يحظر في الإحرام اقتراف المعاصي ، والمخاصمة مع الرفقاء ، والفسوق ؛ لقوله تعالى : « فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ، ولا جدال في الحج » . كما يحظر لبس الخيط ، والخف أو الحذاء ، وعقد القران ، وتقليم الأظافر ، وإزالة الشعر ، لقوله تعالى : « ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله » . ويجوز إزالة الشعر إذا نأذى ببقائه ، وفيه الفدية لقوله تعالى : « فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نسك » .

ويحظر في الإحرام التطيب في الثوب أو البدن ، كما يحرم التعرض لصيد البر بالقتل أو الذبح لقوله تعالى : « أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرماً » .



عرفات :

بعد طلوع شمس يوم التاسع من ذي الحجة يتوجه الحاج إلى عرفات مع التكبير والتهليل والتلبية ، ويستحسن النزول بنمرة والاغتسال عندها للوقوف بعرفة ، ويستحب ألا يدخل عرفة إلا وقت الوقوف بعد الزوال . وعرفات واد واسع مساحته أحد عشر كيلومتراً مربعاً ، وتبعد عن مكة حوالي خمسة وعشرين كيلومتراً ، يحتم جبل الرحمة في الجهة الشمالية منه ، ويقال إنها سميت بذلك لأن إبراهيم عليه السلام قال لجبريل وهو يعلمه المناسك عندما وصلا إلى مكان الوقوف : « الآن عرفت » . وقد أمر الرسول صلى الله عليه وسلم منادياً أن ينادي « الحج عرفة » ، والوقوف يبتدئ من زوال اليوم التاسع إلى طلوع فجر اليوم العاشر من ذي الحجة ، ويكني الوقوف في جزء من هذا الوقت ، إلا أنه يجب أن يمتد إلى ما بعد الغروب . ويمكن للحجاج الصعود على جبل الرحمة ، وينبغي عليه المحافظة على الطهارة واستقبال القبلة ، والإكثار من الاستغفار والذكر والدعاء ، ورفع اليدين مع حضور القلب .

روى ابن حبان عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الحاج حجت يخرج من بيته لم يخط خطوة إلا كتب الله له بها حسنة ، وحط عنه

و تعليقات

الأطباق الطائرة من جديد

في العدد التاسع والعشرين من مجلة « الفيلصل » تناول الدكتور مظفر صلاح الدين والمهندس سمير صلاح الدين « الأطباق الطائرة » كموضوع شغل العلماء والباحثين والقراء مدى سنوات عديدة . . وأود إضافة بعض النقاط البسيطة حول هذا الموضوع المثير .

لقد تجاذب حديث الأطباق الطائرة علماء ومتخصصون في طبيعيات الجو ورجال الدين والعسكريون ، وإلى جانب هؤلاء جميعاً أصحاب الخيال . وتاهت الحقيقة بين هؤلاء جميعاً بين مؤيد ورافض ومنشكك وساحر ، على أمل إيجاد تفسير شافٍ لهذه الظاهرة الغريبة التي توقفت عندها البحث العلمي حائراً أمام طلاسمها ، ولم يجد لها حلاً ولا تفسيراً رغم تقارب ما رواه كثير من مشاهديها .

بعضهم قال : إن بعض هذه الأطباق حطت على الأرض وتنتج عن ذلك احتراق المكان الذي هبطت فيه واختفاء بعض الحيوانات منه . بل وأكد البعض أن أحد الأطباق قد هبط في البرازيل عام ١٩٦٢ م ، وخرجت منه مخلوقات خطلت بعض الحيوانات وفرت هاربة .

وانتهى بعض الباحثين إلى احتمال وجود حياة ذكية في أرجاء الكون بإمكان أصحابها القيام برحلات استطلاعية لبعض الأماكن على الأرض ، وقوي هذا الظن لدى بعض العلماء الأميركيين بسبب أن كل ما قيل عن هذه الظاهرة لم يحدث إلا بعد التفجير الذري في هيروشيا ونجازاكي في أواخر الحرب العالمية الثانية ، ودلل هؤلاء على صحة هذا الظن بأن النشاط الإشعاعي الذي أحدثته التفجيرات الذرية هو الذي جعل هؤلاء الأذكاء يقومون باستطلاعات يعرفون من خلالها ما يحدث على الأرض .

إن الأطباق التي شاهدها البعض لم تكن ذات شكل واحد وإنما تراوحت أشكالها بين القرص والطبق والمغزل والحلقة . أما أحجامها فتراوحت بين ستة أمتار إلى مئات وتختلف ألوانها ، وبعضها بطيء السرعة وبعضها الآخر في سرعة الضوء أو في سرعة طائرة نفثة كذا أن بعضها يصدر أصواتاً وبعضها بلا أصوات .

والشيء الذي أجمع عليه كل المشاهدين أنهم لم يروا أحداً من سكان الكواكب الأخرى داخل أو خارج هذه الأطباق . وقد ذكر الأستاذ أنيس منصور في كتابه « الذين هبطوا من السماء » أن بعثة استطلاع فضائية

هبطت من طبق طائر في أحد المطارات الأميركية عام ١٩٥١ م ، وخرج منه ثلاثة مخلوقات يتكلمون الإنجليزية بطلاقة ، وطلبوا مقابلة الرئيس الأميركي الراحل « إيزنهاور » الذي حضر إليهم بعد عدة ساعات ودار بينه وبينهم حوار ظل سراً حتى كشف عن الحادثة العالم الأميركي البروفسور ليد وقال : إنهم زعموا أنهم سكان كوكب ضمن المجموعة النجمية المسمى « أوريون » أو الجبار .

وظاهرة انتشار نوادي الأطباق الطائرة التي تتابع أخبارها وتصدر مجلات دورية خاصة بها وبأبحاثها منتشرة جداً في العالم الغربي ، ولكن أغرب شيء حدث في مجال الاهتمام بها أن إحدى الجمعيات الإيطالية واسمها « كون » افتتحت مطارين خصصتهما لهبوط الأطباق الطائرة في أقصى شمال البلاد على « جبال الألب » .

وآخر رأي علمي في هذا الموضوع الغريب لعالمين أميركيين قال : إن هذه الأجسام المتوهجة قد تكون مجرد حشرات تحدث وميضاً عند حدوث ظاهرة جوية نادرة اسمها « بريق سينيث الو » ، وقد قام هذان العالمان وهما « فيليب كالاهاان » ومساعداه د . مانكن قاما بتجربة توليد حقول كهربائية مشابهة لتلك التي تتولد خلال العواصف ، ثم وضعوا بعض الحشرات داخل هذه الحقول وكانت النتيجة أن تحولت هذه الحشرات إلى أجسام متوهجة أشبه بالأطباق الطائرة .

سيد سعد شحاته

جامعة القاهرة / كلية العلوم

حول موضوع « السائرات سيرا عكسياً »

لقد طالعت العدد (٣٥) من مجلتنا العلمية « الفيلصل » ، وقد لفت انتباهي الموضوع الفيزيائي الكوني المنشور فيها وهو (السائرات سيرا عكسياً) بقلم الدكتور عبد الرحيم بدر . وقد تمتعت بالموضوع تمنعاً جعلني أسلط عليه بعض الأضواء ، ولكي تكون الصورة واضحة لدى القراء عموماً عن النظريات والآراء المتناقضة والمتضاربة التي نحاول الآن إعطاء تفسير جديد مناسب يحل علمياً وتجريبياً معضلة نشوء النظام المركزي الشمسي . ومن المعروف ، من الجانب التجريبي ، أن النظام الشمسي يتكون من (٩) كواكب تبدأ بعطارد ، وحسب تسلسل البعد تأتي : فينوس ، الأرض ، المريخ ، جماعة الكويكبات ، المشتري ، زحل ،

مناقشات و تهليلات

مسائل تطرحها طبيعة الاكتشافات الفضائية ، ولكن ليس على حساب النظريات التي أثبتتها التجارب العملية .

إن النظرية النسبية هي أساس الفيزياء العصرية ، وفي هذا المنطلق العلمي تكن أهمية التطبيق لمبدأ النسبية لأنشتاين لا سياً قانون الجاذبية على تلك الظواهر الكونية لحل معضلاتها وكذلك بما يسمى بـ (مستحيلات) في بعض الأحيان .

خيري بخاخ دخيل
البصرة - العراق

عودة إلى المنامة

لقد قرأت في العدد ٣٤ من مجلة «الفصل» في باب «مدينة وتاريخ» وأعجبت بالموضوع لاستعراضه تاريخ «المنامة» ، وأحب أن أضيف أن اسم «دلمون» هو أقدم اسم عرفت به البحرين على مدى عصور التاريخ . ومعناها في اللغة القديمة أرض الحياة ، أو أرض الخلود ، وحتى في الفترة الآشورية شاع هذا الاسم بتحريف بسيط وأصبح «تلمون» . وفي الفترة «الهلينسية» أصبح «تايلوس» أو «أرادوس» ، والطريف أن الأسطورة القديمة تجد ما يؤيدها عند علماء الجيولوجيا ، فهم يتحدثون عن نشأة البحرين ويقولون : إنها كانت في الأصل جزءاً من شبه الجزيرة العربية ، وفي أواخر العصر الحجري الأول المعروف علمياً باسم «البليوليتي» لم تكن جزر البحرين ولا الجزر الأخرى المنتشرة على شاطئ الخليج العربي موجودة ، إلى أن حدث في يوم من أيام ما قبل التاريخ زلازل رهيبية انفصل - على أثرها - من الأرض ما انفصل وتناثر ما تناثر وأخذت تظهر في الخليج قطع ضخمة من اليابسة إلى أن استقرت في مكان قريب من الجزيرة الأم .

وفي أوائل العصر الحجري الثاني المعروف علمياً باسم «الزليستي» حدثت طوارئ جيولوجية في باطن الأرض فانفصلت جزر البحرين والجزر الأخرى القريبة من شاطئ الكويت وأخذت مكانها في الخليج .

وفي ذلك الوقت الذي يعود تاريخه إلى ما قبل ١٥٠ ألف سنة كانت المنامة والمغرق جزيرة واحدة ثم انفصلتا بتأثير تغيرات جيولوجية جديدة أخف وأقل أثراً من التغيرات الزلزالية السابقة .

لحدان جاسم الكرادبي
دولة قطر - الدوحة

أورانوس ، نبتون ، وتحدد بـ (بلوتو) كأبعد جسم منظور عن الشمس .

إلا أنه في السنوات الثلاث الأخيرة وُضع عدد من النظريات (الفرضيات الرياضية) من قبل العلماء تذهب إلى وجود (كواكب) جديدة في المسافة التي بعد بلوتو يسمى الأول بـ (إكس) ويعني الكوكب المجهول - والذي لم يثبت وجوده علمياً بعد - وثانيها جرم أو كوكب (كوال) نسبة لاسم العالم الذي اكتشفه ، ولا يزال قيد الدراسات والأرصاء الفلكية . وثمة احتمالات قوية باكتشاف هذين الجرمين الفضائيين البعيدين غابة البعد عن الأرض والشمس .

واستنتاجاً لما ذكرته أن النظام الشمسي لا يزال يزخر بالعديد من الأسرار والقوانين الطبيعية المجهولة .

ومن الملاحظ في بحث د. بدر ، أن النظريات التي ذكرت في البحث لعدد من علماء الفيزياء ، لا تعدو عن كونها (آراء) . . وأن العلم لم يثبت بتجاربه أي واحد منها إلى اليوم ، وأن النظرية الفيزيائية الحديثة لنشوء وتطور النظام الشمسي التي ابتدأت من آراء (كانط) إلى آراء (وايزاكر) . هذه الآراء فسرت عدة جوانب لطبيعة نشوء النظام الشمسي . . . إلا أنها لم تعط إثباتاً لما قاله (كانط) أو لما قاله (وايزاكر) وغيرهما . وأن تلك التعليلات لم تصب المهدف بعد .

إن مجرد نشر (خبر) اكتشاف الاتجاه العكسي الذي يدور فيه كوكب (فينوس) حول محوره ، لم يهدم ما وضعه العلماء منذ عهود مضت ، من نظريات بل تسبب في بروز معضلة علمية جديدة .

إن العلماء - بطبيعة الحال - يواصلون دراساتهم للوصول إلى سبب النظام المكتشف .

إن خبر نظرية يمكن الاستناد إليها في عملية تفسير وتعليل ظواهر الفيزياء هي نظرية النسبية ، وخاصة قانون الجاذبية للعالم الألماني ألبرت أنيشتاين . فهي التي يمكنها أن تزيل الغموض والآراء غير الثابتة وتأتي بتعالييل علمية ونعطي حلاً علمياً قاطعاً لمنشأ الحوكة النظامية الشمسية وتكوينها وما يحصل في هذه الحركات الفضائية .

إن اكتشاف الحركة المخرورية العكسية لـ (فينوس) لا يعني أبداً أنها أثرت (وأزالت) النظريات التاريخية التي وضعت لتعليل ظواهر (النظام) بل هو شيء يخص موقع وحركة الكوكب حول الشمس . أما بالنسبة لمسألة وجود مجموعة الكويكبات (أجسام ما بين المشتري والمريخ) فلم يضع العلماء بصماتهم بعد على نظرية قاطعة . وقاعدة الشذوذ التي نذكرها في موضوعاتنا الفلكية هي



● الأخ محمد أسامة فتنة
- اللاذقية - سورية
● الأخت حياة نصر ربيع
- دمشق - سورية
شكراً لكما على إعجابكما
بالمجلة ، وفي تشجيع قرائنا دافع لنا
إلى الأفضل .

● الأخ عبد الباسط الجزار
- دمشق - سورية
كثير من قرائنا الأفاضل
اقترحوا علينا ما اقترحت ،
وبالرجوع إلى أعدادنا السابقة
ستجد إجاباتنا على ذلك .

● الأخ محمد طاهر محمد
عبد السلام - كفر
الدوار - مصر

المجلة ليست وفقاً على كاتب
معين وصفحاتها المحدودة التي نحاول
أن نضم من كل روضة زهرة لا
تسمح لها بنشر القصص أو
الروايات الطويلة . أما زيارتك
للمملكة العربية السعودية فيمكنك
ذلك إذا اتبعت الاجراءات النظامية
التي يتبعها غيرك ولك تحياتنا .

● الأخ السيد أحمد علي نصر
- الدقهلية - مصر

إعجابك بالشاعر محمد حسن
فني نشكرك عليه نيابة عنه
واقترحاتك تستطيع أن تكتبها إليه
مباشرة ، وبالنسبة لعنوان مدير عام
الصحافة فقد ذكرته بنفسك في
رسالتك ولا داعي للاستفسار .

● الأخ المقيس حسن بن
محمد - فاس - المغرب
ملاحظتك جيدة والصور التي
نشرها عن الأطفال في الدول
النامية والدول المتقدمة توقفتنا عنها
بعد انتهاء العام الدولي للطفل ،
وثنق تماماً أن اهتمامنا بالطفل سيظل
مستمراً إن شاء الله ، ونشكراً لك
على تهنئاتك بالعام الجديد .

● الأخ رشيد عوض -
اللاذقية - سورية
اقتراحكم أحسنه إلى اللجنة
الدينية لدراسته ولك تحياتنا .

● الأخ راشد سعد المطر
- الجبيل - المملكة العربية
السعودية

كل كتاب تنشر عنه في باب
« كتب وردت للمجلة » نشر
إلى جهة إصداره أو الدار التي
نشرته ، فعليك بالرجوع إلى المجلة
بعد البحث في المكتبات عن الكتب
التي ذكرتها .

● الأخ جاسم الهويدي
- القامشلي - سورية
سؤالك سوف يحال إلى لجنة
« سزال وجواب » وموضوعك لا
نستطيع الحكم عليه إلا بعد
الاطلاع مع تميماتنا الطيبة .

● الأخ كمال محمد المنيرة -
حلفاج - السودان
نحن نرحب بكل ما يصل إلينا
وننشره إذا كان في مستوى النشر .

● الأخت ر. ص. ط. -
دمشق - سورية
نحن نأسف لما يحدث من
بعض القراء ، وقد التزمنا منذ فترة
مضت بعدم نشر عنوان أي فائزة في
المسابقة واكتفينا بذكر المدينة

والاسم ، وقد تلقينا عدة رسائل
مشابهة لرسالتك ، تميماتنا
بالتوفيق .

● الأخ محمد خليل
إبراهيم عبد التواب
- الأقصر - مصر
نشكرك على مساهمتك ونعتذر
عن نشر ما أرسلته ولك تحياتنا .

● الأخ عبد القادر
صلاحية - حلب - سورية
إن الكتب التي ننشر عنها في
باب كتب وردت للمجلة ترد
إلى المجلة مقدمة من مؤلفها ، وفي
العادة لا يبعث المؤلف بأكثر من
نسخة واحدة ، لذا نعتذر عن تلبية
طلبكم كما نعتذر عن نشر قصتكم
المرفقة .

● الأخ شطاح ملكية
- البليدة - الجزائر
نعتذر عن تلبية طلبك وعليك
بالرجوع إلى المكتبات المختصة ببيع
الكتب فلعنك نجد ما تريد .

● الأخ محمد صالح
حمدان إبراهيم - السودان
إن ما نسعى إليه دائماً هو
التجديد والتجديد والمحافظة على
الثقة بيننا وبين قرائنا الأفاضل ،
وعلى أي حال فالمجلة ترحب بكل
ما يرد إليها والحكم بعد الاطلاع .

● الأخ محمد مرزوق
- المدينة المنورة - المملكة
العربية السعودية
ونحن نسأل أي كتاب أزرق
هذا الذي تعنيه ؟ مع العلم أننا لا
نستطيع الإحاطة بكل ما يطبع أو
يترجم من الكتب يومياً في عالمنا
الكبير .

● الأخ النادي فاطمة
- تازة السقلى - المغرب
نحن لا نألو جهداً في أن نزود
قراءنا بكل جديد ونشكراً على
المشاعر الطيبة .

● الأخ شمس الدين
محمد الأمين باشا - بورت
سودان - السودان

هذه مشكلة يشكو الكثيرون
منها مع أن توزيعاتنا تكون في بداية
كل شهر لكل البلدان التي توزع
فيها المجلة . شكراً .

● الأخ عبد القادر
الحداد - مكة المكرمة -
المملكة العربية السعودية
نشكرك على مشاعرك النبيلة
ونعتذر عن القصيدة ولك تحياتنا .

● الأخ محمد الحمادي
- دير الزور - الحميدية -
سورية
من فراءتك للمجلة تستطيع
التعرف على المنهج الذي تسير
عليه ، ثم إننا لا نحكم على ما
يصلنا إلا بعد الاطلاع .

● الأخ خالد كليسي
- حلب - سورية
شكراً على رسالتك التي
ضمنتها مجموعة من الملاحظات ،
وستحاول بقدر الامكان الاستفادة
من ملاحظات جميع قرائنا .

● الأخ حسام الدين
سلجان - مصيف - سورية
عندما تتوفر لدينا الدراسات
الوافية عن أي شاعر أو مفكر سواء
كانوا من العرب أو الأجانب فالمجلة
حريصة على نشر ذلك لقرائها
لتعمم الفائدة وشكراً على
الملاحظات .

● الأخ أحمد المهر
- دمشق - سورية
● الأخت هند المهر
- دمشق - سورية
● الأخ أحمد عبد المطلب
إبراهيم - جامعة اسقوط - مصر
اقترحكم موضع اهتمامنا ولعل
تنفيذه يكون في بداية سنتنا الرابعة
إن شاء الله .

● الأخ خليل شكر
حسين - نينوى - العراق
للحصول على طلبك يجب أن
نكتب لسعادة مدير عام الصحافة
- وزارة الإعلام - الرياض ، ولك
حياسة !

● الأخ عز الدين سليمان
سليمان - حماة - سورية
شكراً على اهتمامك بالمجلة
ونعتذر عن نشر قصيدتك لعدم
مناسبتها .

● الأخ الساني أحمد
الملاي - الرباط - المغرب
لقد انتهى العام الدولي للطفل
ونعتذر عن نشر قصيدتك لعدم
مناسبتها .

● الأخ صلاح حسن
منصور - رشيد - مصر
شكراً على اقتراحاتك التي
سنعمل على تنفيذ المناسب منها
ونأسف لعدم نشر قصيدتك .

● الأخ عدنان أسعد
- القاهرة - مصر
قصيدتك جيدة ومشاعرك تدل
على تأثرك العميق . لكننا نعتذر
عن النشر مع شكرنا العميق .

● الأخ إبراهيم أحمد
خضر - دمنهور - مصر
تمنياتنا الطبية وشكرنا لك على
تهنئتك وبإمكانك الحصول على
طلبك بسهولة من أي مكتبة في
بلدك .

● الأخ محمد مجاهد
بدوي سعد - المجلة الكبرى - مصر

نبادلك شعورك ونعتذر عن
تلبية طلبك علماً بأن المجلة تنشر
إيجاً عن الكون في كثير من
أعدادها .

● الأخت مينة محبوب
- ملايا - بليصا - ملطرب
بإمكانك الكتابة إلى وزارة
التعليم العالي بالرياض
للاستفسار عما تريد .

● الأخ محمد الأحدي
- جدة - المملكة العربية
السعودية
إن الطريق ما زال طويلاً
أمامك وننصحك بكثرة الاطلاع
منمين لك التوفيق .

● الأخ صالح محمد أحمد
نور - بورت سودان - السودان

نحن حريصون دائماً على السعي
إلى الأفضل ونحاول أن نكون
متجددين دائماً لنشبع شهية قرائنا
بأنواع مختلفة من المعارف وشكراً
على اقتراحك .

● الأخ صدر الدين عبد
الرحيم أغا - محافظة التأميم - العراق
شكراً على بطاقتك التي
أهديتها إلينا ومعذرة على عدم نشر
القصيدة مع تحياتنا .

● الأخ محمد المعراوي
- حمص - سورية
نشكرك على ملاحظتك
وشعورك النبيل ، أما بالنسبة للفراغ
الأسود في ص ٩٨ من العدد
(٢٦) فليس خطأ ، بل ظرفاً
تطلبه الإخراج ، ونأسف لحدوث
أخطاء في أرقام الكشاف .

● الأخ عمر علي محمد
أحمد البواطي - إربد - الأردن
نفيدك بأن المجلة ليست واسطة
اتصال بين المسؤولين مع الشكر .

● الأخ عبد اللطيف
درو - حلب - سورية
فصحتك التي بعثت بها بنفسها
الكثير من المقومات ، ونرجو لك
التوفيق .

● الأخ لؤي فريح ،
- محافظة دير الزور - سورية
المجلة لا تعيد نشر الموضوعات
التي سبق نشرها مع الشكر .

● الأخ عوض أحمد
- جدة - المملكة العربية
السعودية

● الأخ منصور شعبان
كيلاني - دسوق - مصر
نشكركم على شعورك النبيل
تجاه المجلة والعاملين فيها .

● الأخ عبد الرحمن
جنيد ، مساكن برزة ،
- دمشق - سورية
من الأفضل مواصلة دراستك
ولا بأس من كتابة الشعر عندما
تتمكن منه .

● الأخ الحرفوف محمد -
المغرب
نشكرك على شعورك الطيب
تجاه المجلة ، أما بالنسبة لطلبك
بعض الكتب فيمكنك طلبها من
المديرية العامة للصحافة
بوزارة الإعلام - المملكة
العربية السعودية .

● الأخ بنجرنجة محمد
- مراكش - المغرب
طلبك سوف يحفظ ضمن
طلبات العمل المقدمة للمجلة ،
وحين يأتي دوره ونحتاج المجلة
لخدماتك فسوف نكتب لك مع
تمنياتنا لك بالتوفيق .

● الأخ عبد الفتاح أحمد
حسن - الهفوف - المملكة
العربية السعودية
الكتب المتعلقة بالحج موجودة
بكثرة في كل المكتبات والبرامج
الإذاعية والتلفزيونية التي تبصر
الناس بأمر الحج تقوم بما فيه
الكفاية ولا داعي لأن ترسل لك
المجلة ما طلبت .

● الأخ فريد سليمانو
- اللاذقية - سورية
نشكرك ونعتذر عن نشر
القصيدة وشكراً .

● الأخ أحمد النعسان
- حلب - سورية
نصحك بأن نهم بدراستك
ونتمنى لك التوفيق .

● الأخ أحمد عارف
الغاني - بيروت - لبنان
شكراً على غيرتك على المجلة
وقد اتخذنا الإجراءات المناسبة إزاء
ما ذكرت .



ونداء الأرض وهموم الإنسان
منها : « الصوت والصدى » ،
« غول العصر » ، « أبعاد
المستقبل » . يقع في ١٢٨ صفحة
من الحجم الصغير . صادر عن
المطبعة الحديثة في حاة .

الملف الثالث

كتاب أصدره نادي الطائف
الأدبي ، يحوي ما قدمه النادي
خلال عام كامل من مطبوعات
ومحاضرات ومعارض مع نماذج من
الإنتاج الأدبي في « الشعر والقصة
والمقالة والنقد » . طبع الكتاب في
مطابع شركة مكة للطباعة
والنشر . بقع في ١٣٦ صفحة من
القطع الصغير .

الثقافة الإسلامية

« الثقافة الإسلامية
وأثرها في النهضة الأوروبية »
تأليف العميد المتقاعد محمد فائز
القصري ، يتناول الإسلام من
حيث أنه لم يكن مجرد دين وعقيدة
روحية فحسب وإنما هو حضارة
كاملة نبدا من العقيدة والإيمان بالله
وتقر بالوجود والواقع الثقافي
والعلمي عبر الأجيال ، معتمداً على
قواعد أساسية هي القرآن الكريم
والسنة النبوية . يقع الكتاب في
٣١٨ صفحة من القطع المتوسط .
مطبعة زيد بن ثابت .
دمشق - بستان الحجر -
تجاه مفرق كفرسوسة .

ومعركة ذات الصراي ، والإسلام
في بلغاريا ، والمسلمون في المجر .
وفي الفصل الثاني الإسلام في أوروبا
الوسطى ، وحديث عن الإسلام
والثقافة العربية في إيطاليا ، وجزيرة
كريت ، وجزيرتي صقلية
ومالطة . أما الفصل الثالث فعن
الإسلام والثقافة العربية في فرنسا
وسويسرا وجزر سردينية
وكورسيكا وجزر البليار . وفي
الفصل الرابع والآخر يتحدث
المؤلف عن أثر الحضارة العربية
الإسلامية في الحضارة الأوروبية
والدور الذي قام به المسلمون في
بناء الحضارة الإنسانية . يقع في
٢١٦ صفحة من الحجم المتوسط .
الناشر : عالم الكتب -
القاهرة .

سارقة المعبد

ديوان للشاعرة السورية هند
هارون ، تسكب فيه دقاً فياضاً
من المشاعر الرقيقة والإحساس
الشاعري المرفه في مجموعة كبيرة
من القصائد المتنوعة في الشكل
والمضمون ، من بينها وصية أم ،
وتمسان في الأفق ، الرؤى
القدسية ، وعودة الملاح .
يقع الديوان في ٣١٦ صفحة من
الحجم المتوسط . صادر عن دار
الأنوار للطباعة - دمشق .

الموت في شباب النهار

ديوان للشاعر السوري محمد
منذر لطفي ، يضم مجموعة
قصائد تعالج جراحات الوطن

هذي الألمان إليك

ديوان للشاعر زهير
المرزوقي ، يوجه فيه شعره إلى
الفتاة المسلمة لتكون رائدة جيل ،
ويصحب بها أن تكون العقيقة
الطاهرة .
من القصائد التي يحتويها
الديوان : « يا رائدة الجيل » ،
« الحب المطلق » ، « شاة
وذئب » ، « سأبقى في الهوى
قيساً » . يقع الديوان في ٦٣
صفحة من الحجم الصغير . صادر
عن مطبعة المعري - حلب
الحميدية .

السياسة

كتاب في قواعد الإملاء ،
تأليف أسعد عبد الله ظاهر ،
يرسم فيه الخطوط العريضة
للمدرس باعتباره الشخص الذي
يقع عليه العبء الأكبر في تنشئة
الأجيال . يضم الكتاب ثمانية
أبواب من بينها : اللام الشمسية
واللام القمرية ، والتنوين في آخر
الكلمة ، التاء المفتوحة ، والتاء
المربوطة . الناشر مكتبة الفلاح -
الأحساء الخفوف . يقع في ٥٢
صفحة من الحجم الصغير .

الإسلام والثقافة العربية

« الإسلام والثقافة
العربية في أوروبا » ، تأليف
عبد الفتاح الغنيمي ، يضم
أربعة فصول ، يتناول الأول منها
الإسلام في شرق أوروبا ، وفي
جزيرة رودس وجزيرة قبرص

القرآن ونظرية الفن

تأليف حسين علي محمد ،
وهو بحث بعالج موضوعه من خلال
بعض الشخصيات والمواقف ،
ويوضح كيف أن الإسلام يحترم
أساليب الترويح والتسلية التي
تدخل السرور على النفوس ، ولا
تدخل السرور على القلوب
والعقول ، كما يوضح الطريقة التي
يجب أن يتسامى بها الفن عن
رخص القول وفاحش الكلام .
ويحتوي الكتاب على بعض التاذج
التي يحسن أن يقتدى بها دوماً .
الكتاب صادر عن دار العلم
للطباعة ، ٤٠ شارع خيرت -
المالية - القاهرة . يقع في ٩٤
صفحة من الحجم الصغير .

مجلة دراسات الخليج

اسمها الكامل « مجلة
دراسات الخليج والجزيرة
العربية » العدد العشرون . يحتوي
هذا العدد على دراسات وأبحاث
من بينها « الخليج بين مقومات
الوحدة وصراع القوى
الأعظم » للدكتور محمد عبد
الغني سعودي ، و« النشاط
السياسي للمبشرين في منطقة
الخليج العربي » للدكتور محمود
سلامة ، و« بعض الملامح
الديموغرافية لسكان المملكة
العربية السعودية » للدكتور
أحمد عبد الرحمن الشامخ مع
موضوعات أخرى . تقع المجلة في
٢٩٢ صفحة ، صادرة عن
المطبعة العصرية - الكويت .

بهمنا جداً في الدرجة الأولى أن يستفيد
المشارك في المسابقة من المعلومات التي يحصل
عليها القارئ عند بحثه عن إجابات الأسئلة ،
كما بهمنا أن يقضي القارئ أو يعناد على زيارة
المكتبات للاستفادة مما بها من كتب تحمل
زاداً ثقافياً .

ونأتي القارئ من الفوز في المسابقة في
الدرجة الثانية ، لأننا حين وضعنا المسابقة لم
نكن نهدف للاغراء المادي بقدر ما كنا نهدف
إلى استفادة القارئ ثقافياً .. والفوز يأتي
نتيجة للجهد الذي يبذله القارئ ، وبهذا -
عند الفوز - يكون الكسب مرتين ، مرة
الكسب الثقافي ، ومن ثم الكسب المادي ،
ومن لم يتمكن من الكسب المادي فإن
الكسب الثقافي لم يفته . وهو أكبر كسب ..
لأن الحكمة تقول : « المال غرسة ، والعلم
بجرسك » .

ونحن حين وضعنا شروط المسابقة ووضعا
من بين الشروط أنه من حق القارئ أن
يشترك في المسابقة الواحدة مرتين على أن
يرفق نسبتين كنا نعطي القارئ فرصة
للإجابة عن أي سؤال قد يجد له إجابتين ،
ونحن في أي الإجابتين اصبح .

لهذا فالمطلوب أن توضع كل إجابة مع
نسبتها في ظرف مستقل لتسهيل مهمة
اللجنة في الفرز والاطلاع .

كما ننبه القارئ بأن نكون الإجابة على
وجه واحد من الورق ، ونحيط واضح وفي
حدود المطلوب ، وأن يوضع رقم العدد على
الطرف من الخارج ، لأننا لاحظنا أن هذه
النقطة تسببت على بعض الفراء وبما عن
غير قصد .. وهذه الكلمة للتنبيه ..
والله الموفق .. وهو من وراء القصد .

المجلة

مسابقة مجلة الفيصل

شروط المسابقة وإيضاحات أخرى

١ - قيمة المسابقة عشرة آلاف ريال سعودي .. موزعة على عشر جوائز
على النحو التالي :

أ - الجائزة الأولى ٢٠٠٠ ريال

ب - الجائزة الثانية ١٥٠٠ ريال

ج - الجائزة الثالثة ١٠٠٠ ريال

إلى جانب سبع جوائز مالية قيمة كل جائزة (٥٠٠ ريال سعودي) .
وعشر جوائز أخرى قيمة كل جائزة (٢٠٠ ريال سعودي) .

٢ - المطلوب الإجابة على جميع الأسئلة .. وإرفاقها مع قسيمة العدد
الخاصة بالمسابقة موضحاً عليها الاسم ثلاثياً أو رباعياً - إن أمكن - مع
وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في
المسابقة حالة الفوز .

٣ - ترسل الإجابات على العنوان التالي :

(الرياض - المملكة العربية السعودية - مجلة الفيصل -
ص . ب (٣) المسابقة) .

مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .

٤ - أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوماً من صدور العدد لا يلتفت إليها .

٥ - من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة
على شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .



السؤال الأول :

أديب تونسي ، ولد عام ١٨٥٠ م ، وتوفي عام ١٩٠٠ م ، تولى تحرير صحيفة « الرائد » التونسية .. أَلَّف كتاب « الرحلة الحجازية » ، وكتاب « الاستطلاعات الباريسية » ، وكتاب « رحلة إلى باريس » .. ما اسمه ؟

السؤال الثاني :

الطواسين .. مصطلح يطلق على السور التي تبدأ بحروف ط ، س ، م ، في القرآن الكريم ، أذكر أسماء هذه السور .

السؤال الثالث :

ولد في لبنان عام ١٨٨٣ م ، وتوفي عام ١٩٣١ م في نيويورك ، انجبه إلى التخصص في الرسم فجذبته الأدب حتى صار أحد أعلامه البارزين الذين تندرج أعمالهم الأدبية تحت ما يسمى بالأدب المهجري .. من كتبه : دمعنة وابتسامة - العواصف - الأجنحة المتكسرة - النبي . ما اسم هذا الأديب ؟

السؤال الرابع :

ما الفرق لغة بين قولنا أَكْفَاء (بسكون الكاف) ، وقولنا أَكْفَاء (بكسر الكاف وتشديد الفاء) ؟

السؤال الخامس :

ما الفرق بين الميكرو فيلم ، والالترافيش ؟

السؤال السادس :

من كبار أطباء الفرس في عصر كسرى أنوشروان في القرن السادس بعد الميلاد ، كان متميزاً في علوم الفرس والهند . جلب كتاب « كليلة ودمنة » من الهند إلى كسرى وترجمه إلى الفارسية ، ثم قام بترجمته ابن المقفع إلى العربية .. ما اسمه ؟ يوجد نحوي يحمل نفس اللقب .

السؤال السابع :

أذكر أسماء مؤلفي الكتب الآتية :
تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق - الجواهر الحسان في تفسير القرآن - الكشف والبيان في تفسير القرآن - الجاسوس على القاموس - عجائب الآثار في التراجم والأخبار .

السؤال الثامن :

فَمَنْ لِلْقَوَائِي شَانِهَا مَنْ يَحْكُمُهَا إِذَا مَا ثَوَى كَعَبٌ وَفَوُزٌ جَرُول
مَنْ قَاتِلُ هَذَا الْبَيْتِ .. وَمَنْ جَرُول ؟

السؤال التاسع :

من خطب الرسول صلى الله عليه وسلم :
« الحمد لله أحده وأستعينه وأستغفره وأستهديه وأؤمن به ولا أكفره ، وأعادي من بكفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى والنور والموعظة على فترة من الرسل .. » .
متى أُلقيت هذه الخطبة .. وأين ؟

السؤال العاشر :

مَنْ أَسَّسَ « بَيْتَ الْحِكْمَةِ » فِي بَغْدَاد ؟

تقسيمية
مسابقة مجلة
الفصل
العدد ٤٢

الاسم :
المهنة :
العنوان :

نتائج مسابقة العدد الخامس والثلاثين

- فاز بالجائزة الأولى وقيمتها (٣٠٠٠)
ثلاثة آلاف ريال سعودي الأخ حسن أذكة ،
وعنوانه : كاديم رقم 799 ص . ب (233) ،
مكناس - المغرب .
- وفاز بالجائزة الثانية وقيمتها
(٢٠٠٠) ألفا ريال سعودي الأخ حمدان مبارك
محمد الفدان ، وعنوانه : الأفلاج - ليلى ،
مدرسة القادسية المتوسطة - السعودية .
- وفازت بالجائزة الثالثة من سورية -
دمشق الأخت دلال نايف تميم ، وقيمة الجائزة
(١٥٠٠) ألف وخمسة ريال سعودي .
- وهناك سبع جوائز قيمة كل جائزة
(٥٠٠) خمسة ريال سعودي فاز بها الإخوة
والأخوات الآتية أسماءهم :
● من السودان - الخرطوم ، مصلحة
الطيران المدني ، الأخ عبد الغني محبوب
إبراهيم .
- من الأردن - عمان ، ص . ب
(١٦١٢) الأخ سرحان موسى نجيب .
- من لبنان - الجامعة اللبنانية ، فروع
الشمال بالقبة في طرابلس ، الأخ كمال بدر الدين
الرافعي .
- من اليمن - صنعاء ، ص . ب
(٥٥٠) الأخ عبد الحكيم عبد الله عيسى
الزيدي .
- من الجزائر - ساحة السوق رقم ٩
بالمدينة ، الأخ عبد الكريم قارة برنو .
- من سورية - حماة ، شارع الحسينين
بناية الشيخ عبد الكريم الرسم الطابق الأول ،
الأخ فادي نورس الرسم .
- من الرياض - طريق الخرج ، هيث ،
الأخت حنان أحمد عبد العال أحمد .

اجوبة مسابقة العدد الخامس والثلاثين

- ج ١ الاسم القديم لكل من :
نهر العاصي : الأورنط .
جبل طارق : أعمدة هرقل .
المحيط الأطلسي : بحر الظلمات .
- ج ٢ المعتصم بالله هو الخليفة المثنى ، لأنه : ثامن بني العباس . وقد
حكم ٨ سنوات ، و ٨ شهور ، و ٨ أيام .
- ج ٣ تقع قناة بنما في أميركا الوسطى ، وتصل بين المحيط الأطلسي
والمحيط الهادي ، وتتجه من الجنوب إلى الشمال .
- ج ٤ أبو الحسن علي بن البواب : خطاط عربي شهير ، كان أبوه بواب
بيت القضاء في بغداد ، كان واسع المعرفة بالفقه ، حفظ القرآن
ونسخته أربعاً وستين مرة إحداها بالخط الریحاني ، ابتدع الخط
الریحاني والخط المحقق .
- ج ٥ ابن المعتز : شاعر وبلاغي ولد وقتل في بغداد ، ونشأ في مكة
المكرمة ، وتولى الخلافة يوماً واحداً ، كان حسن المعرفة بالأدب ،
وآلف فيه عديداً من الكتب .
- ج ٦ عدد الأقمار التابعة للكواكب التالية :
الأرض : قر واحد ، المريخ : قران ، المشتري : ثلاثة عشر قرأ ،
زحل : تسعة أقمار .
- ج ٧ تقع الأنهار التالية :
سوبات : جنوب السودان ، التيسر : وسط إيطاليا ، الليطاني :
جنوب لبنان ، الأمازون : في أميركا الجنوبية ويخترق البرازيل .
- ج ٨ المستمع : المصغي القاصد السماع والمتفرغ بكليته .
السامع : هو الذي يطرأ الشيء على سمعه فيسمعه عن غير
قصد .
- ج ٩ ألوان فوس قزح : الأحمر ، البرتقالي ، الأصفر ، الأخضر ،
الأزرق ، النيلي ، البنفسجي .
- ج ١٠ تقع المدن التالية :
زبيد : اليمن الشمالي ، قرطاج : تونس ، طبرية : فلسطين ،
رايف : السعودية ، إسلام آباد : باكستان .

Tel.: 4543026 – 4543027

Belgium	BF	200
Denmark	DKR	30
Finland	FMK	30
France	FF	15
F.R.G.	DM	10
Greece	DR	100
Italy	L	4000
Netherlands	DFL	10
Norway	NKR	30
Pakistan	RS	10
Portugal	ESQ	100
Spain	PTS	150
Sweden	SKR	30
Switzerland	SF	15
United Kingdom	£	2
U.S.A.	\$	5

FATABLE TO AL-FAISAL MAGAZINE

ريالات	٨	المملكة العربية السعودية
فلس	٦٠٠	الكويت
دراهم	٧	الإمارات العربية المتحدة
ريالات	٦	قطر
فلس	٥٠٠	البحرين
بسة	٦٠٠	سلطنة عمان
فلس	٤٠٠	الأردن
ريالات	٦	ج. ع. . اليمنية
فلس	٨٠٠	ج. ائمن الديمقراطية الشعبية
مليم	٣٠٠	مصر
مليم	٣٠٠	السودان
دراهم	٥	المغرب
مليم	٥٠٠	تونس
دنانير	٥	الجزائر
فلس	٤٠٠	العراق
ليرات	٥	سورية
ليرات	٥	لبنان
درهم	٨٠٠	ليسيا

[illegible]


 وزارة الإعلام
تَهَامَة
 للإعلان والعلاقات العامة
 والبحوث التسويقية